الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

Université Abou Bekr Belkaid
emcen Algérie

جامعة أبي بكر بلقايد
تلمسان الجزائر

كلية الآداب واللغات

قسم اللّغة والأدب العربي

تخصص لسانيات تطبيقية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة "دكتوراه" طور الثالث

الموسومة بـ:

مهارات تعليم وتعلّم اللغة العربية في الزوايا – زوايا توات أنموذجا–.

إعداد الطالب:

– محمد فلاحي

إشراف:

– أ. د عبد القادر بوشيبة

الرقم	اسم ولقب الأستاذ	الدرجة العلمية	جامعة الانتساب	الصفة
01	سيدي محمّد غيثري	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
02	عبد القادر بوشيبة	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي مغنية	مشرفا ومقررا
03	عمر ديـــدوح	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	عضوا مناقشا
04	إبراهيم منّاد	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي مغنية	عضوا مناقشا
05	سليمة دالي	أستاذ محاضر "أ	جامعة تلمسان	عضوا مناقشا
06	الجيلالي بوعافية	أستاذ محاضر "أ	جامعة تلمسان	عضوا مناقشا

العام الجامعي: 1441هـ–1442هـ/2020 م–2021م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝1 خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝2 اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝3
الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝4 عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝5 ﴾

سورة العلق.

الشكر والتقدير

قال الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

سورة النحل، الآية 78.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من لم يشكرِ القليلَ لم يشكرِ الكثيرَ ومن لم يشكرِ النَّاسَ لم يشكرِ اللهَ والتحدُّثُ بنعمةِ اللهِ شكرٌ وتركُها كفرٌ» الترغيب والترهيب.

فالحمد لله رب العالمين الذي وفقني لإتمام هذا العمل وأسأله أن يتقبله خالصا لوجهه.

أتقد بفائق عبارات الشكر والتقدير والاعتراف بالجميل لأستاذي الفاضل فضيلة الأستاذ الدكتور:

عبد القادر بوشيبة

وأكن له عظيم الاحترام والتبجيل من أجل قبوله الإشراف على هذه البحث وما بذله من أجل الوصول به إلى تمامه. فله مني كل معاني التقدير.

وأتقدم بجزيل الشكر إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد وساهم في تقديم المساعدة من أجل هذا البحث.

فجزاهم الله عني كل خير.

الإهداء

إلى الوالد الكريم

إلى والدتي العزيزة

إلى إخوتي وأخواتي: فاطمة، رميساء، فؤاد، سيدي علي

إلى كل من يعرفني من قريب أو بعيد أهدي هذا العمل.

محمد فلاحي.

المقدّمة

بسـم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء وأشرف المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الأكرمين وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

إن أساس تطور الأمم، ونجاح الأفراد، وازدهار المجتمعات هو العلم وللأخذ به أسباب ووسائل، ومن بين أهم وسائل أخذ العلم واكتسابه هي اللغة، وقد أدرك علماء الأمة الإسلامية هذا الأمر مبكرا فعملوا على الأخذ بكل الأسباب التي ترفع من قيمة اللغة، لذا كانت للغة العربية في بداية نشأة الأمة الإسلامية، مكانة رفيعة، والدليل على ذلك هو الجهد المبذول من قبل علماء الأمة في القرون الأولى لأجل جمع مصادر اللغة العربية والتقعيد لها.

وبعد مرحلة الجمع والتقعيد، جاءت مرحلة التعليم والتلقين خاصة بعد اتساع الرقعة الجغرافية ودخول غير العرب للإسلام، فظهر في مختلف بلاد المسلمين مجموعة من المؤسسات التعليمية التي تهتم بهذا الشأن، وفي مقدمتها المساجد والكتاتيب والمحاضر والزوايا، ومما ساعد في انتشار هذه الأخيرة وتوسع نشاطها، هو الارتباط المباشر بينها وبين تعليم القرآن الكريم، وتعليم الفقه واللغة العربية.

ومن بين أبرز المناطق الجغرافية التي انتشرت فيها الزوايا هي منطقة توات الواقعة بالجنوب الجزائري، فإن في هذه المنطقة عشرات الزوايا، وهذا الانتشار الكبير لزوايا في منطقة توات كان سببا في توافد الطلاب والعلماء عليها لأجل تعلّم وتعليم القرآن الكريم وقواعد اللغة العربية وغيرها من العلوم.

وقد برز في منطقة توات عدد كبير من العلماء والشيوخ الذين تولوا تربية وتعليم طلاب الزوايا، وبرع الكثير منهم سواء كانوا طلابا أو شيوخا في تعلم وتعليم اللغة العربية وقواعدها، وهذا بسبب امتلاكهم للكثير من المهارات التعليمية والتعلمية التي ساعدتهم في

التمكن من زمام اللغة العربية سواء في مرحلة التعلّم أو مرحلة التعليم، ومن هذا المنطلق وقع اختيارنا لهذا الموضوع للبحث فيه، بالنظر لما قدمته وما لا تزال تقدمه هذه الزوايا في ميدان تعليم وتعلم اللغة العربية، وخاصة ما تعلق بمهارات التعليم والتعلّم التي تعد أحد أهم مقومات نجاح العملية التعليمية التعلمية.

ولهذا جاء هذا البحث بعنوان "**مهارات تعليم وتعلم اللغة العربية في الزوايا – زوايا توات أنموذجا–**

ومن أسباب ودوافع اختيار هذا الموضوع، هو لكون خريجي الزوايا التواتية من أكثر الطلاب تمكننا من قواعد اللغة العربية كالنحو والصرف والبلاغة والعروض.

ومن الأسباب الموضوعية كذلك وجود نشاط علمي كبير في هذه الزوايا، قديما وحديثا، ولهذا كانت توات محجا للكثير من طلبة العلم والعلماء ولا تزال كذلك، فالكثير من الطلاب والعلماء يتوافدون عليها من كل أقطار الجزائر وحتى من خارجها، رغم تراجع عدد المقبلين عليها بسبب التوجه نحو المدارس الحكومية والجامعات.

ومن جملة الأسباب كذلك هو المكانة المرموقة التي تحظى بها اللغة العربية في توات، فالمنطقة تحتوي على الكثير من خزائن المخطوطات والمكتبات التي بها عدد هائل من المؤلفات التي تتعلق باللغة العربية وعلومها، وفي الكثير منها نلمس وجود ملامح منهج في تعليم وتعلم اللغة العربية، والذي تظهر من خلاله مجموعة من المهارات التي يتمتع بها المُتَعَلِم والمُعَلِم للغة العربية في زوايا توات.

كما أن زوايا توات لا تزال العملية التعليمية التعلمية قائمة بها، وهذا على غرار باقي الزوايا في المناطق الأخرى من الوطن فالكثير منها لم تعد تقوم بهذا الدور، ولكن زوايا توات

لا يزال يتخرج منها كل عام الكثير من الطلبة الحافظين لكتاب الله، والأئمة الذين ينتشرون في مختلف ربوع الوطن والوعّاظ.

ومن الأسباب الموضوعية كذلك هي الرغبة في البحث عن أهم المهارات التعليمية التعلمية التي يتمتع بها طلاب ومشايخ الزوايا التواتية، وهذا لأجل البحث في طرق الاستفادة منها في البرامج والمناهج الدراسية على المستوى الأكاديمي، وإرشاد الباحثين على تشكيل مناهج دراسية منبثقة من بيئة المتعلم.

ومما دفعنا كذلك لاختيار هذا الموضوع هو حب التأصيل لجزئية مهمة من منهج الزوايا في تعليم وتعلم اللغة العربية من أجل دفع الباحثين الآخرين للبحث في باقي أجزاء أقطاب العملية التعليمية، التي تعرفها زوايا توات، وخاصة في ظل تشعب مخارج الدراسات اللغوية واللسانية، وهذا من أجل إثراء البحوث في هذا الميدان.

ولهذه الأسباب اخترنا هذا الموضوع، وكذلك لما له من أهمية رأينا أنها تؤهله ليكون محل للبحث وإعمال الفكر فيه، وتتجسد هذه الأهمية من خلال ما يلي:

- أن هذا الموضوع يدخل في الإطار العام للدراسات اللسانية التطبيقية، التي تهتم بطرق تعليم وتعلم اللغات، وتبحث في مختلف العوامل والوسائل المساعدة على ذلك.
- كما أن لهذا الموضوع أهمية في بيان الشخصية العلمية للمُتعلم والمُعلم في زوايا توات والكشف عنها، والبحث في مميزاتها وخصائصها، والتي بسببها تطور تعليم وتعلم اللغة العربية في زوايا توات وأصبح محل نظر وبحث من قبل الكثير من الباحثين والدارسين.
- تتميز زوايا توات بالحفاظ على المنهج القديم في تلقين العلوم دون غيره، مما يؤهلها لتكون أحد أهم المحطات التي يجب الوقوف عندها لاستخلاص الجوانب السلبية والايجابية ومكامن القوة والضعف في التعليم القديم.

لقد أدى النشاط العلمي في زوايا توات منذ القدم وإلى يومنا هذا وعوامل أخرى إلى تطور الدرس اللغوي، وتشعب الأنشطة المتعلقة به، مما نتج عنه دافع لتطوير مهارات خاصة بالمعلمين وأخرى بالمتعلمين في سياق تعليم وتعلّم اللغة العربية، مما يدفعونا لطرح هذا التساؤل، ماهي أهم مهارات تعليم وتعلم اللغة العربية التي يتمتع بها المُعَلِم والمُتَعَلِم في زوايا توات؟ وماهي العوامل والأسباب التي ساهمت في خلق مكانة للغة العربية في منطقة توات؟

بما أننا نتحدث عن منهج قديم في التعليم والتعلم، ربما يعود الأمر لتراكمات وتجارب مختلفة ساهمت في تولد نوع من المهارات المتجذرة لدى المُعلم والمُتعلم في زوايا توات مما عاد على درس اللغة العربية بالفائدة، كما أن توافد العلماء إلى توات وقيامهم بالعديد من الرحلات من وإلى توات، وانتشار الزوايا والطرق الصوفية وخزائن المخطوطات والمكتبات، ربما يكون كذلك من الأسباب التي كانت وراء المكانة التي تتمتع بها اللغة العربية في منطقة توات عموما وفي زواياها خصوصا.

ومن أجل الإجابة عن التساؤلات التي سبق وأن طرحتها قسّمت بحثي هذا إلى مدخل وأربعة فصول وذيلته بخاتمة، أما المدخل عنونته بـ: "**مصطلحات ومفاهيم البحث**"، حيث عرفت فيه المهارة لغة واصطلاحًا، وكذلك عرفت التعليم والتعلّم لغة واصطلاحًا، ثم تناولت الفرق بينهما، وانتقلت بعد ذلك إلى تعريف الزاوية لغة واصطلاحًا، وبعدها عرفت منطقة توات وموقعها الجغرافي، وفي نهاية المدخل تطرقت لنشأة الزوايا في منطقة توات وأهم الوظائف التي تقوم بها.

ثم جاء الفصل الأول تحت عنوان: **اللغة العربية في منطقة توات –المكانة وطرق التعليم**– بحيث بينت في هذا الفصل في البداية مكانة اللغة العربية في منطقة توات، ثم بعدها تحدثت عن تعليم اللغة العربية في توات، وفي الأخير تطرقت لأهم المميزات والخصائص التي يتمتع بيها المُعلم في زوايا توات.

ثم الفصل الثاني وعنوانه: "**مهارات التعليم في زوايا توات**" وفي هذا الفصل ذكرت أهم المهارات التي يتمتع به المُعلم في زوايا توات حيث تطرقت في البداية إلى مهارتي التحضير والتخطيط للدرس وبعدها جاءت مهارة الشرح وختمت الفصل بالحديث عن مهارة التقويم.

والفصل الثالث تحت عنوان: "**مهارات التعلّم في زوايا توات**" ذكرت فيه أهم المهارات التي يتمتع بها المُتعلم في زوايا توات، بدأت بذكر مهارة الحفظ والتحضير، باعتبارها مهارات تسبق الدرس، ومن ثم تناولت مهارة القراءة وكذا مهارة السؤال والجواب، وصولا إلى مهارة المراجعة لكونها مهارات ختامية.

والفصل الرابع يقع تحت عنوان "**العوامل المؤثرة في ازدهار عملية تعليم وتعلّم اللغة العربية في منطقة توات**" فكان أول ما تطرقت إليه هو عامل انتشار الطرق الصوفية ودورها في تأسيس الزوايا ونشر العلم فيها، وخدمة تعليم وتعلم اللغة العربية، وبعدها ذكرت العامل الثاني وهو الرحلات العلمية، والتي كان له أثر كبير في تطوير الدرس اللغوي في توات ونقل الكثير من المعارف والعلوم والكتب لزوايا توات، وختمت الفصل الرابع بذكر عامل انتشار خزائن المخطوطات والذي هو في الأصل محصلة لما سبق ذكره من العوامل.

أما الخاتمة فكانت حوصلة لأهم النتائج المتوصل إليها من خلال البحث، وأهم التوصيات لتطوير البحث في هذا الموضوع.

وبما أن الموضوع هو في الأصل متعلق بالبحث في النصوص التراثية واستقصاء الواقع والنظر فيه فقد كان المنهج الوصفي حاضرا من خلال تتبع ووصف مهارات التعليم والتعلم في زوايا منطقة توات وتطور الدرس اللغوي فيها.

ومن أجل إخراج هذا البحث إلى الوجود اعتمدت على العديد من المصادر والمراجع وبعض المذكرات والمقالات المتخصصة في موضوع هذا البحث نذكر منها:

في ما تعلق بمنطقة توات والزوايا نذكر: الرحلة العلية إلى منطقة توات للشيخ محمد باي بلعالم بجزأيه، النبذة في تاريخ توات وأعلامها لعبد الحميد البكري، مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات لمبارك جعفري، درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام تحقيق أبو أنس عبد القادر نعيوى، رحلتي لزيارة قبر الوالد لأحمد أبّا الصافي جعفري، توات والأزواد لمحمد الصالح حوتية بجزأيه كذلك، من تاريخ توات أبحاث في التراث من تأليف أحمد أبّا الصافي جعفري، قطف الزهرات من أخبار علماء توات جمعه محمد عبد العزيز سيدي عمر.

أما ما تعلق بالكتب المتخصصة في التعليمية فقد اعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع منها: مهارات التعليم الأساسية تأليف chris kyriacou ترجمه شرين نوفل، أساسيات التعليم والتعلم لحسن شحاته، مهارات التدريس الفعال لجمال بن إبراهيم القرش، التدريس نماذجه ومهاراته لكمال عبد الحميد زيتون، سراج طلاب العلوم للعربي بن عبد الله بن أبي يحي المساري حققه ياسين أزكاغ المكناسي، مهارات التدريس الصفي الفعال والسيطرة على المنهج الدراسي لمحمد عيسى أبو سمو.

ومن بين أهم الدراسات السابقة التي تصب في سياق بحثنا هذا نذكر: دراسة لعبد الله عمّاري وهي موسومة بـ: –الجهود النحوية عند علماء منطقة توات من القرن 11ه إلى القرن 15ه دراسة في الأعلام والمناهج وبوادر الاجتهاد– دراسة أخرى لفاطمة جريو معنونة بـ :الجهود اللغوية لمحمد باي بعالم (ت.2009م) في ضوء الدراسات اللسانية الحديثة، دراسة لسالمي زينب موسومة بـ: "الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرون 08-10 هجرية، وقد تميز هذا البحث عن هذه الدراسات بكونه بحثا يتناول فقط المهارات التعليمية التعلمية ولم يتطرق إلى كل جوانب المنهج التعليمي في زوايا توات، وهو بحث كذلك يبحث في دور هذه المهارات داخل النظام التعليمي في الزوايا التواتية.

ومن الأمور التي لا يُختلف عليها بأن أي بحث جاد في الغالب تعترضه مجموعة من الصعوبات والعراقيل، ويكون تحدي هذه الصعوبات والعراقيل هو سبب اكتساب الخبرة وصقل لمهارة الباحث في التعامل مع التحديات لأجل بلوغ الغاية، وقد كانت هناك بعض الصعوبات واجهتنا أثناء إنجاز هذا البحث، خاصة ما تعلق بالحصول على بعض المراجع، وبعد منطقة توات وطبيعة مناخها الحار جدا، هذا بالإضافة لمجموعة أخرى من العراقيل خارجة عن إطار البحث كانت سببا في تأخرنا عن انجاز هذا البحث، ولكن في الأخير وفقنا الله إلى إنجازه وإتمامه فله الحمد والشكر.

وفي الأخير أرجو أن يكون هذا البحث إضافة يستفاد منها في مجال البحث العلمي، ولا أدعي أنه قد خرج في الصورة المثالية شكلا ومضمونا، بل نعتقد بحق بأننا لا نزال مقصرين في حقه، فإن أصبنا فمن الله صاحب الفضل والمدد، وإن قصرت فمن نفسي وتفريطي، وأسأل الله أن يكون عملا متقبلا أنتفع به في الدنيا والآخرة.

الطالب: محمد فلاحي

تاشتة 2021/05/24.

المدخل: مصطلحات ومفاهيم البحث.

تعد اللغة من أهم مكونات الهوية الفردية والجماعية وهي من أبرز العناصر التي تدخل في تكوين شخصية الفرد، ولها عديد الأغراض منها التواصل والتعبير والتبليغ والإبداع...، تفوق في أهمية كل التوصيفات التي يمكن أن نطلقها عليها وهذا لعديد الاعتبارات في مقدمتها أنها وعاء الفكر وأساس التقدم والتطور والبحث، وهي تساهم بشكل كبير في نقل المعارف المختلفة من حضارة لأخرى، وتساعد في بناء الإنسان بشكل عام فهي تمس مختلف جوانب حياته، "ولذلك فهي تستحق الاهتمام لأنها إحدى أهم مقومات بناء الإنسان، وبناء الأمة، كما أنها إحدى أهم الوسائل التي تمكن الإنسان من عمارة الأرض وترقية الحياة على ظهرها"[1] ولهذا يمكن أن نبرر هذا الكم الهائل من الدراسات والبحوث التي تجعل من اللغة مادة لها، ومنه كذلك يمكن فهم طبيعة الصراعات اللغوية التي شهدها ويشهدها العالم في مختلف العصور والأمكنة، فاللغة سلاح يُسيّطرُ بها على الفكر، والانتماء، والثقافة، والهوية، وهي التي تخلق الولاء لطرف على حساب طرف آخر، وإدراك هذه المسألة على النحو الواجب إدراكه يعطينا نظرة عامة حول ما يدور من صراعات لغوية في العالم، ويجعلنا نفهم أسباب هذا الصراع، والوسائل والطاقات المادية والبشرية والأموال الطائلة التي تنفق على البحوث والدراسات اللغوية دليل على قوة هذا الصراع وأهميته.

وبالعودة إلى التاريخ نجد العديد من الأمثلة التي تؤيد هذا الرأي، وما فعله المستعمر الفرنسي في الجزائر خير دليل، فالصراع لم يكن على الرقعة الجغرافية، وخيرات وثروات البلاد وحسب، بل كان الصراع على الهوية واللغة والدين والثقافة هو الصراع الأكبر، فلم يدخر المستعمر أي جهد لمحاربة اللغة العربية وكل أشكال التعريب وطمس الهوية الوطنية والدين الإسلامي، وهذا إدراكاً منها بأن طريق البقاء في الجزائر واستعمارها يمر عبر هذا الباب، وهو تغيب اللغة العربية والإسلام وكل ما يرتبط بهما، فما كان من هذا الشعب الأبيّ

1 ينظر: تدريس فنون اللغة العربية، علي أحمد مدكور، دار الشواف، ط1، 1991، القاهرة، مصر، ص:28.

سوى أن قاوم بالسلاح والقلم كل أشكال الاستعمار، ولولا فضل الله ثم فضل الكتاتيب والزوايا والمساجد لكانت اللغة العربية في الجزائر مجرد تاريخ يحكى.

فالزوايا والكتاتيب والمساجد هي التي أخذت على عاتقها واجب الدفاع عن اللغة العربية والدين الإسلامي والدفاع عنهما، وبهذا تكون قد استكملت مسيرتها التي كانت تقوم بها قبل الاستعمار، فهي التي كانت تعلّم اللغة العربية ومختلف علومها كالنحو والصرف والبلاغة ... قبل مجيء المستعمر بقرون وأكملت وظيفتها التعليمية إبان الاحتلال ومازال جزء من هذه المؤسسات يؤدي وظيفته في تربية وتعليم المتعلمين مواد الشريعة الإسلامية واللغة العربية إلى يومنا هذا في مختلف ربوع الوطن شرقا وغربا، شمالا وجنوبا.

والمُتحدِث عن تعليم اللغة العربية في الزوايا لابد أن يقف عند زوايا الجنوب الجزائري وبالضبط منطقة توات الواقعة بولاية أدرار حيث تعرف هذه المنطقة تواجد العديد من الزوايا، وهي من أكثر المناطق التي لا تزال الزوايا تحافظ فيها على وظائفها التعليمية وتستقبل الطلاب من مختلف ربوع الجزائر من أجل تعلّم القرآن واللغة العربية وعلومهما، ويسهر على ذلك مجموعة من المشايخ الذين أسسوا هذه الزوايا أو توارثوها عن أجدادهم أو مشايخهم، ويعرف عنهم أنهم يتمتعون بمكانة خاصة جدًا، في قلوب طلاب الزوايا وأهالي المنطقة ويتمتعون مصداقية عالية، والباحث في مسألة تعليم وتعلّم اللغة العربية في الزوايا يجد أن هناك عديد العناصر التي تثير الانتباه بدءا بالمهارات التي يعتمد عليها الشيخ في تعليم اللغة العربية في الزاوية، وكذا المهارات التي يتمتع بها طلبة الزوايا والتي تساعدهم في تعلّم اللغة العربية وقواعدها، وصولا إلى علاقة الشيخ بطلابه وعلاقة الطلاب بالشيخ، والبيئة التي يتم فيها التعليم والتعلّم والمنهج المتبع والوسائل المعتمدة في تدريس اللغة العربية في زوايا توات، والعوامل المتحكمة في مسألة تعلم وتعليم اللغة العربية في توات كالعامل الديني

والعامل الاجتماعي والنفسي والجانب العلمي والأدبي، وانعكاس وتأثير كل هذه العلاقات والعناصر في تعليم وتعلّم اللغة العربية في زوايا توات.

1) تعريف المهارة.

1- تعريف المهارة لغة:

تشتق لفظة مهارة من مادة (م هـ ر) وهي تدل على الإتقان والتمكن من الشيء، يقول ابن منظور: "والمَاهِرُ السَّابِحُ. ويُقَالُ مَهَرْتُ بِهَذَا الأَمر أَمهَرُ به مَهارة أي صرتُ به حَاذِقًا. قال ابن سيده: مَهَر الشيء وفِيهِ وَبِهِ يَمْهَر مَهْرًا ومُهُورًا ومَهارة ومِهارة ...وفي الحديث: مثل الماهِر بالقُرآن مثل السَّفَرَة" [1] هذه بعض معاني لفظة المهارة في جانبها اللغوي.

2- التعريف الاصطلاحي:

تتعدد تعاريف المهارة بحسب الميدان أو التخصص الذي توظف فيه، كما أن أي نشاط أو عمل في مختلف نواحي الحياة يحتاج إلى نوع معين من المهارات فمهارات التعليم والتعلّم تختلف عن مهارات اللعب والرياضة أو مهارات الإدارة والتدبير، " ونجد أن كل نشاط من أنشطة الحياة اليومية يحتاج إلى مهارة خاصة كما أن كل إنسان حي يمارس أعمالا يعتمد بشكل أو بآخر على مهارة" [2] فالمهارة غير مرتبطة بمجال محدد بل هي تشمل كل المجالات والميادين.

وتعرف المهارة في الحياة العامة على أنها "القدرة الفنية أو النوعية على إنجاز عمل ما وعليه نجد هناك العديد من المسميات التي تحتوي على مصطلح المهارة"[3] أما في ميدان

---

1 لسان العرب، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، دار صادر، ط3، 1414هـ، بيروت، لبنان، (مادة مهر) 4286/48.

2 المهارات الحركية لطفل الروضة، ابتهاج محمود طلبة، دار المسيرة، ط1، 2009، عمان، الأردن، ص:110.

3 نظريات التعلم والتطور الحركي، وجيه محجوب، دار وائل للنشر،ط1، 2001، عمان، الأردن، ص:58.

التربية والتعليم تعرف على أنها "استراتيجيات يستخدمها المُعلِمْ ليتمكنَ التلميذ من تعلّمِ شيئا ما ذو قيمة، وهذه الاستراتيجيات تكون معرفة بأجزاء تعرف بالمهارات"[1] وتُعرفُ كذلك على أنها" أنشطة منفصلة ومتماسكة يقوم بها المعلمون لتعزيز التعلم عند التلاميذ"[2] فتمكُن المُعلِمْ من مهارات التعليم أمر ضروري وغاية في الأهمية.

تتعدد مهارات التعليم وتتنوع فمنها ما يجب أن يكون قبل الشروع في التعليم كالتحضير والإحاطة بالمادة المعرفية والتمكن منها والتخطيط لدرس... ومنها ما يكون أثناء التعليم كالشرح وطرح الأسئلة وإدارة الصف... وهناك مهارات تكون بعد الدرس مثل التقييم، كما يعد امتلاك المُتعلِم لمجموعة من المهارات أمر ضروري من أجل التعلم كالانتباه والحفظ والاستذكار والتحليل والتلخيص وغيرها، والباحث في هذا المجال يدرك أن هناك ملاحظة مهمة يجب التفطن لها، وهو أن جملة هذه المهارات سواء ما هو مرتبط بالمعلم أو المتعلم تتفاوت من معلم لآخر ومن متعلم إلى متعلم آخر، وقد يتفوق الواحد منهم في مهارة بذاتها دون غيرها من المهارات، واكتساب هذه المهارات لا ينحصر على الجانب الوراثي وفقط بل هناك العديد من العوامل النفسية والاجتماعية والطبيعية وكذا طبيعة شخصية الفرد والبيئة التي نشأ فيها فالمهارة الواحدة تتطلب تداخل مجموعة من العوامل لأجل اكتسابها.

1 مهارات التعليم الأساسية، chris kyriacou، ت: شرين نوفل، دار الكتاب الجامعي، ط1، 2004، العين، الامارات، ص:23.

2 المرجع نفسه، ص:27.

2) تعريف التعليم والتعلم:

1- تعريف التعليم والتعلّم لغةً:

يشتق كلآ الفعلين التعليم والتعلّم من نفس المادة اللغوية وهي (ع ل م) جاء في معجم العين للفراهيدي "عَلِمَ يَعْلَمُ عِلْمَاً، نقيض جهل. ورجل علاّمة، وعلاّم، وعليم"[1] وللفظة اشتقاقات عديدة تتباين في معناها وتتقارب في بعض الأحيان كما ذكرها صاحب القاموس المحيط "عَلِمَهُ كَسَمِعَهُ، عِلْماً، بالكسرِ: عَرَفَهُ، وعَلِمَ هو في نفسِهِ، ورجُلٌ عالِمٌ وعَلِيْمٌ ...والعَلَمُ محرَّكَةً: الجَبَلُ الطَّويلُ"[2] والمعنى الذي نريد قصده من تعلّم "الأمر أتقنه وعرفه"[3] أما التعليم فيفهم من الإرشاد والتوجيه.

2- تعريف التعليم اصطلاحا:

التعليم في الاصطلاح هو "النشاط الذي يهدف إلى تطوير المعرفة والقيم الروحية والفهم والإدراك الذي يحتاج إليه الفرد في كل مناحي الحياة إضافة إلى المعرفة والمهارات"[4] ونستشف من هذا التعريف أن التعليم هو عملية منظمة، القصد منها إكساب الفرد معلومات ومهارات جديدة وذلك من خلال تفاعله مع ما يقدم إليه من طرف المُعلِّم وهذا بفضل التفكير والممارسة، لأجل تطوير قدراته، وتحقيق أهداف مستهدفة مسبقا فالتعليم "عملية واعية

---

1 كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت: مهدي المخزومي، ابراهيم السامرائي، دار إحياء التراث العربي، ط2، 2005، بيروت لبنان، (مادّة عَلّمَ)، ص:152/2.

2 ينظر: القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار المعرفة، ط2، 2007، بيروت، لبنان، (مادّة علمه)، ص:1140.

3 المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ابراهيم مصطفى/ أحمد حسن الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد علي النجار، مكتبة الشروق الدولية، (مادّة عَلَمَهُ) 624/2.

4 اتجاهات حديثة في في تدريس اللغة العربية، سعد على زاير، سماء تركي داخل، دار المنهجية، ط1، 2015، عمان، ص:99.

موجهة توجيها عقلانيا منظما داخل برنامج دراسي ترعاه مؤسسات تعليمية رسمية"[1] تهدف المؤسسة التعليمية من خلال برامجها التي تكون محددة مسبقا إلى إثارة المتعلم وتحفيزه وتسهيل حصوله على المعرفة وتحقيق الأهداف المسطرة، لتنمية قدراته الفكرية ليصبح قادر على اكتساب طرق وظيفية تساعده على حل المشكلات اليومية التي تعتريه.

والتعليم هو تفاعل بين المُعلِم والمُتَعلِم القصد منه " إحداث تغيرات معرفية ومهارية ووجدانية عند المتعلمين، أو نشاط مقصود من المدرس لتغير سلوك المتعلم. أو عملية تفاعل اجتماعي لتطوير معارف ومهارات وقيم واتجاهات المتعلمين"[2] وتعد وظيفة التعليم من أنبل الوظائف وأجلِّها وهي متصلة في المقام الأول بالأنبياء والرسل حيث يعد كل الأنبياء والرسل ضمن جملة المعلمين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [3] فالوظيفة الأساسية لهم هي تعلّيم الناس ما جهِلُوهُ عن ربهم.

يجمع الكل على أنها من أصعب الوظائف التي يقوم بها الإنسان فهي تتطلب شخصية تتصف بمجموعة من الصفات في مقدمتها الصبر، والصدق، والأمانة، والفراسة، والذكاء، والفطنة، فهذه بعض الصفات الأساسية التي يجب أن يتوفر المُعلِمْ على الحد الأدنى منها، وهناك صفات يجب العمل عليها خارج الصفات الشخصية للمعلم منها التمكُن من المادة العلمية ومهارات الخطاب والتواصل والقيادة و تطوير أسلوب المخاطبة وغيرها من الصفات التي قد تكون في الشخص ابتداء لكن لابد وأنها تحتاج إلى الصقل والتطوير، وهذا ما يجعلنا ربما نقول أن التعليم يحتاج إلى أشخاص يكون لهم استعداد فطري لأداء هذه

1 الواقع التعليمي للغة العربية، –المعوقات والحلول– محمد سيف الاسلام بوفلاقة، المكتب العربي للمعارف، ط1، 2017، القاهرة، مصر، ص:20.

2 اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية، سعد على زاير، ص:99.

3 سورة الجمعة، الآية 02.

الوظيفة لأنه توجد صفات كما سبق الذكر لا تكتسب بل تولد مع الإنسان وتكون جزءا من السمات الفردية لشخصية المعلم.

كما أن لتعليم أشكالا عديدة لا يمكن حصرها ولا عدها فالتعليم شامل لكل النواحي ولا يكاد ينفرد جانب من جوانب الحياة به لوحده، فهناك " التعليم النظامي والتعليم بالمراسلة والتعليم بالتبادل والمدعم والمهني والمفتوح والصناعي..... فالتعليم عملية شاملة وموسعة تغطي جميع جوانب الحياة"[1] ويعرف التعليم أساليب عديدة تختلف من معلم لآخر ومن صف إلى آخر ومن درس إلى درس حيث نجد أن "بعض المعلمين يستخدمون بشكل كبير أساليب التمحور والأنشطة المعتمدة على الشرح"[2] ويعد هذا الأسلوب من الأساليب القديمة ويسمى بالأسلوب المغلق أو الرسمي ونجد في مقابله أسلوب التعليم العام بحيث يتمحور حول "استخدام الكثير من الأنشطة المتمحورة حول التلميذ والتي تشتمل على عمل مجموعة صغيرة وإعطاء التلاميذ الفرصة للتحكم باتجاه عملهم"[3] وتوجد عديد الأساليب التعليمية ولا يمكن تقسيمها إلى قسمين فقط بل هناك عديد الاعتبارات التي على أساسها تقسم الأساليب لا يسع المقام لذكرها.

3- تعريف التعلّم اصطلاحا:

من المصطلح يُفهم أنه فعل ينسب إلى الذات يمكن للفرد أن يقوم به لوحده كما يمكن أن يكون بواسطة هيئة أو جهة معينة، وله تعريفات عديدة في مختلف التخصصات ومن الناحية التربوية فهو " كلُّ فعل يمارسه الشخص بذاته يقصد من ورائه اكتساب معارف

1 ينظر، اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية، سعد على زاير، ص: 100/99.

2 مهارات التعليم الأساسية، chris kyriacou، ت: شرين نوفل، ص:85.

3 المرجع نفسه، ص:85.

ومهارات وقيم جديدة"[1] ويعرفه الدكتور صالح بلعيد على أنه" عملية اكتساب الوسائل المساعدة على اشباع الحاجات والدوافع وتحقيق الأهداف، وهو كثيرا ما يتحذ صورة حل المشكلات، ويقوم التعلم على التفاعل بين عناصر أساسية هي: الفرد المتعلم، وموضوع التعلم، ووضعية التعلم. ولا يمكن أن يتم إلا بالإشارة الضرورية لذلك الفعل بين العناصر السابقة والمراحل التي يمرّ منها"[2] لذا فإن التعلم في أساسه هو فعل يظهر القدرة على التطور والتحول من وضعية إلى وضعية جديدة تظهر من خلال اكتساب سلوكيات معينة.

ولا يختلف التعلم عن التعليم من حيث الغاية وهو اكتساب المعرفة وسلوكيات جديدة والحصول على مهارات تساعد الفرد على تغير سلوكه وحل المشكلات التي تعتريه في مختلف نواحي الحياة ومعالجتها بكفاءة ومهارة عالية، والتعلم قد لا يكون مقصودا بل ينتج أحيانا عن طريق الصدفة أو يكون نتاج تكرار الشيء حتى تتكون لدى الفرد خبرة ومعرفة جيدة بالشيء المكرر، فالتعلّم هو " تغير دائم (أو ثابت) في سلوك الفرد الناتج عن استثارة ما، وقد تكون المثيرات التي يتعرض لها الفرد مقصودة ومخططا لها، كتلك المثيرات التي يخطط المدرس لتنفيذها في الغرفة الصفية وخارجها، وقد تكون غير مقصودة، كتلك المثيرات التي يتعرض لها الفرد في البيئة الخارجية"[3] ومن خلالها يستطيع الفرد بأن يكتسب معلومات ومهارات جديدة ناتجة عن احتكاكه وتفاعله مع النظم الاجتماعية والثقافية المحيطة به، ويمكن أن نلاحظ حدوث عملية التعلّم من خلال "المتغيرات السلوكية التي تظهر عند المتعلمين نتيجة مرورهم بخبرة معينة ويستدل عليها من خلال قياس أدائهم المعرفي والنفسي والحركي والوجداني"[4] وبعد القياس يمكن أن نعطي حكما على عملية التعلم.

---

1 اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية، سعد على زاير، ص:97.

2 دروس في اللسانيات التطبيقية، صالح بلعيد، دار هوم، ط8، 2017/1016، الجزائر، ص:55.

3 اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية، سعد على زاير، ص: 96.

4 المرجع نفسه، ص:97.

وكما أن لتعليم مجموعة من الأساليب يوجد كذلك لتعلّم عديد الأساليب يتم على ضوئها تقسيم أساليب التعلّم فالمتعلمون يختلفون من حيث التركيب الفيزيولوجي والذهني وهذا يؤثر في خياراتهم، لهذا نجدهم يختلفون في اختيار "أنواع استراتيجيات التعلم التي يفضلون استعمالها عند اعطائهم فرصة للاختيار"[1] فنجد منهم من يفضل أسلوب الاستماع بينما يفضل الأخر القراءة ويعمد البعض منهم للعمل في أفواج ونجد منهم من يحب الانفراد والعمل وحيدا، وهذا ما يجعل العمل بطريقة الأسلوب وإعطاء كل فرد منهم ما يريد أمرا صعبا لتباين أسلوب كل منهم عن الأخر.

3) الفرق بين التعليم والتعلم.

مَكّمَنُ الاختلاف الجوهري بين التعليم والتعلّم هو أن التعلمّ نشاط أو مجهود فردي ذاتي، من أجل اكتساب معارف أو مهارات جديدة أما التعليم فهو عبارة عن نشاط منظّم يقوم به طرف ذو خبرة ومؤهلات من أجل المساهمة في تسهيل نقل المعارف والمعلومات للمتعلم وترعاه مؤسسات وهيئات خاصة كالمدارس والجامعات، تعتمد على منهج من أجل تحقيق أهداف مسطرة مسبقا وترصد لذلك مجموعة من الوسائل والامكانيات، " فالتعلّم هدف في حين نجد التعليم وسيلة هامة في تحقيقيه"[2] مع العلم أن التعلّم "أشمل وأعم ويحمل في مضامينه التعليم والتدريس والتدريب، والمثيرات التي يتعرض لها الفرد قد تكون مقصودة ومخططا لها، وقد لا تكون كذلك، والتعلّم يشمل جميع مراحل النمو العقلي، ... ولا يحتاج إلى منهج معين"[3] فالقاعدة أن كل تعليم تعلّم وليس كل تعلّم تعليم، كما أن أهداف التعليم كما سبق الذكر تكون محددة مسبقا أما التعلّم فلا وقد يكون التعلّم موجها في الاتجاه العكسي

1 مهارات التعليم الأساسية، chris kyriacou، ت: شرين نوفل، ص:86.

2 علم النفس التربوي مفاهيم ومبادئ، عباس نوح سليمان محمد الموسوي، دار الرضوان، ط1، 2015، عمان، الأردن، ص:170.

3 ينظر، اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية، سعد على زاير، ص:106.

بحيث يكتسب المتعلم من ورائه سلوكات غير إيجابية ولا يحتاج التعلّم إلى وقت معين أو منهج، بل هو فضاء مفتوح دائما، ويجدر بنا الذكر بأن الدراسات الحديثة لها رؤية مغايرة لما كان سائدا من قبل وهو الاهتمام بالتعليم وإهمال التعلّم بل "الاهتمام الآن انتقل من عملية التعليم إلى عملية التعلّم، ومن الفصل بينهما إلى ربطهما وتوضيح التفاعل بينهما، فيما أُصطلح عليه بعملية التعليم/ والتعلم. فإن دور المعلم لم يعُد هو الوحيد الذي يؤدى أثناء العملية التعليمية، ولكن أصبح للمتعلم دور في هذه العملية"[1] لهذا تنظر الدراسات العلمية الحديثة إلى المتعلم على أنه أبرز عناصر العملية التعليمية التعلمية.

4) تعريف الزاوية

1- تعريف الزاوية لغة:

يقول ابن منظور: "زوي: الزَّيُّ: مصدر زوى الشيءَ يَزْوِيه زيّاً وزُويّاً فانْزَوَى، نحَّاه فَتَنَحَّى. وزَواهُ: قَبَضهُ. وزويْتُ الشيءَ: جَمَعْتُهُ وقبضتهُ. وفي الحديث: إن الله تعالى زَوَى لِيَ الأرض فأُريتُ مشارِقَها ومغارِبَها. ... وانزوى القوم بعضهم إلى بعض إذا تدانوْا وتضامُّوا. والزَّاوية: واحدةُ الزوايا"[2] فلفظ الزاوية إذًا يشتق من الفعل انزوى "بمعنى ابتعد وانعزل وسميت كذلك لأن الذين فكروا في بناءها أوّل مرّة من المتصوفة والمرابطين اختاروا الانزواء بمكانها"[3] وهذا الأمر يرجع لكون التصوف في أصله طريقة للبحث عن الراحة النفسية والصفاء الروحي لذا يتم مراعاة هذا الأمر أثناء اختيار مكان بناء الزاوية.

---

1 أساسيات التعليم والتعلم –توجهات حديثة وتطبيقاتها– حسن شحاته، دار العالم العربي، ط1، 2016، القاهرة، مصر، ص:50.

2 لسان العرب، ابن منظور، (مادّة زَوي)، 14/363-364.

3 الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، صلاح مؤيد العقبي، دار البراق، 2002، بيروت، لبنان، ص:301.

ومن التعريف اللغوي يتبين لنا أن معنى لفظ انزوى يحمل عديد الدلالات المتقاربة من بعضها كالابتعاد والانعزال والاعتكاف بعيدا عن الناس وقد يحمل دلالة عكسية تكون تدل عل التقارب والتضامن حين يستعمل في سياقات مغايرة فحين نقول انزوى القوم يصبح المعنى هنا يدل على التقارب كما رأينا في تعريف ابن منظور، فالزوايا هي كذلك "جمع زاوية مشتقة من زوى أي جمع لأن فيها تجتمع الضيوف والفقراء وطلبة العلم ويجتمع المال لها بالطرق المشروعة لتمويلها وتسير نظمها"[1] فلا يحدد المعنى المراد إلا السياق.

وتعد صفة الانزواء من بين أبرز الصفات التي يتم التركيز عليها حين اختيار موقع بناء الزاوية بحيث يحرص الشيخ أو أصحاب الزاوية على اختيار مكان بعيد ومنعزل يكون في العادة على رؤوس الجبال أو على أطراف القرى والمدن بحيث يكون للمكان مميزات خاصة تجعل منه مكانا روحانيا صالحا للعبادة يتسم بالهدوء والسكينة بعيدا عن الضوضاء.

2- تعريف الزاوية اصطلاحا:

من التعريف اللغوي يتضح أن معنى الزاوية في الاصطلاح يحمل أحد معاني الزاوية من حيث دلالة اللفظ اللغوي بمعنى الانزواء والابتعاد، لأن اسم الزاوية "في الأصل مأخوذ من الانزواء بقصد العكوف على العبادة أو على تلقي العلم بعيدا عن دنيا الناس ومشاغلهم اليومية"[2] وهذا ما يفسر السر من وراء تواجد أكثر الزوايا في مناطق منعزلة بعيدة عن السكان في الخلاء والبراري والجبال كما أن مصطلح الزاوية يحمل معاني أخرى غير هذا المعني فنقول " زوي الشيء أو زواه بمعنى قبضه معه، مما يفيد التركيز والتمكن من الشيء

1 الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والأثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من جهات، محمد باي بلعالم، دار المعرفة الدولية لنشر والتوزيع، 2015، الحراش، الجزائر، ص:340.

2 الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، عبد العزيز شهبي، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2007، وهران، ص:13.

أيضا، وزوي الشيء أي نحاه، وانزوى القوم بعضهم إلى بعض أي تدانوا وتضامنوا"[1] وهذا يحيلنا على معاني أخرى يحملها مصطلح الزاوية وهي جمع الناس ولم شملهم بداخلها، فتعددت دلالة المصطلح بتعدد السياقات التي يرد فيها فيفهم من لفظة الزاوية: البعد، والانعزال، والقبض، والجمع، والتضامن، والتكافل، والركن، وأساس البناء، والزاوية الهندسية.

كما يمكن تحديد المفهوم العام لها من خلال الوظيفة الاجتماعية التي تؤديها فهي "مؤسسة دينية روحية إسلامية"[2] والغرض الرئيسي الذي وضعت لأجله وهو الاعتكاف والانزواء بعيدا عن الناس ومشاغلهم وعن الضوضاء والحركة، من أجل عبادة الله والتقرب إليه بالطاعات والعبادات، فهي المكان المثالي للممارسة التصوف[3] حيث نجد المتصوفة الذين" اختاروا الانزواء بمكانها، والابتعاد عن صخب العمران وضجيجه طلبا للهدوء والسكون اللذين يساعدان على التأمل والرياضة الروحية. ويناسبان جو الذكر والعبادة وهي

1 لسان العرب، ابن منظور (مادّة زَوي)، 363/14.

2 الرحلة العلية إلى منطقة توات، محمد باي بلعالم، ص:340.

3 يقول ابن خلدون عن "التصوف" وأصله أن طريقة هؤلاء القوم، لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة التابعين، ومن بعدهم، طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة ولانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف، فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية، والمتصوفة، تاريخ ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، ط2، 1979، بيروت، لبنان، 863/1.
والتصوف هو علم من العلوم الإسلامية، وهو في حقيقة أمره روح الإسلام وجوهره، لأنه تصفية القلب وتطهيره من رجاسته عن غير الله. وإخلاص العبودية له، وتحرير الجسد، ونبذ الدنيا، وهجر لذائذها، والخشوع والصمت والتأمل، ولقد كان لتصوف يوما ما صولة ودولة، وكانت له مكانته المرموقة في المجتمع الإسلامي، إلا أنه كسائر العلوم الإسلامية، أضيف إليه ما ليس فيه، ودخل فيه رجال ليس من أهله كالدجالين والمنحرفين، فوجدوا فيه مجالا لدجلهم، وخرافاتهم، وشعوذتهم، فأساءوا بذلك إليه أبلغ إساءة، وأصبح التصوف مظهر من مظاهر الفقر والجهل والضعف والتخاذل والاستسلام والفراغ من العمل مما كان له الأثر السيء في المجتمع الإسلامي. الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، صلاح مؤيد العقبي، ص:9.

من الوظائف الإسلامية التي من أجلها وجدت الزاوية"[1] ولكن دور الزوايا تطور مع مرور الوقت وتطورت معها دلالة لفظ الزاوية فأصبح لفظ الزاوية اليوم يعني " مراكز تحفيظ القرآن الكريم وتعليم أصول الدين الإسلامي والعلم الشرعي ونشر الأخلاق والفضائل الإسلامية"[2] وهذه الدلالة هي الأكثر شيوعا في هذا الزمان.

ويختلف مدلول الزاوية بين المشرق العربي والمغرب العربي؟ فالزاوية " هي في الأصل ركن البناء، أطلقت على المصلى أو المسجد الصغير عند المسلمين في المشرق العربي"[3]

وفي هذا يقول العالم الجزائري محمد باي بلعالم:

وَهَي في الشَرقِ تُسمى بالرِبَاطِ *** وكُل مَنْشَأ يُعَدُ لِلنشاطِ[4]

أما في المغرب الإسلامي والذي يعد من أكثر الأماكن التي تنتشر فيها الزوايا وخاصة الجزائر والمغرب فنجد أن اللفظ "أكثر شمولا من ذلك، إذ هو يطلق على بناء أو طائفة من الأبنية ذات الطابع الديني، وهي تشبه المدرسة في تخطيطها وأجزائها ووظيفتها التعليمية"[5]

ولقد لخص كل هذا الشيخ محمد باي بلعالم في الأبيات التالية:

1 الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، صلاح مؤيد العقبي، ص:301.

2 الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، عبد العزيز شهبي، ص:13.

3 المرجع نفسه، ص:13.

4 الرحلة العلية إلى منطقة توات، محمد باي بلعالم، ص:340.

5 الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، عبد العزيز شهبي، ص:13.

أَمَّا الزَّوَايَا فَهَي رُكْنُ يُبْنَى ***كَدَيْرٍ أَوْ صَوْمَعَةٍ فِي الْمَبْنَى

وَفِي شَمَالِ الْقَــارَّةِ السَمْرَاءِ ***يُنْمَى لَمَّا خُصٍّ بِالْأَوْلِيَـــاءِ

وَقِيلَ اِسْـمٌ لِبِنَاءٍ قَــدْ جَمَــعَ ***مَدْرَسَةً وَغُــرَفَ لَهَا تَبِـعَ

فَيَجِدُ الطَّــالِبُ فِيــهَا مَثْوَى ***وَهِي لِلضُّيُوفِ أَيْضًا مَأْوَى

فَهِي عَلَى الْجُمْلَةِ دَارُ الدِّينِ ***وَمَنْزِلٌ لِلضَّيْفِ دُونَ مَيْــن[1]

وقد ذكرها دوماس عام 1847 في كتابه "منطقة القبائل" تعريفا لمفهوم الزوايا بالمغرب حيث قال "إن الزاوية هي على الجملة مدرسة دينية ودار مجانية لضيافة"[2] وقد تشمل الزاوية حيزا أكبر من ناحية المساحة بالمقارنة مع المسجد فهي تظم مجموعة من البيوت والمنازل تشتمل على بيوت للصلاة كمساجد وغرف لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم علوم العربية.

ويرى المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله أن الزوايا "عبارة عن مؤسسات دينية ومراكز ثقافية، ونواد اجتماعية وخلايا سياسية يتعلم الناس فيها مبادئ دينهم وتعاليم شريعتهم وفيها يتلقون مختلف العلوم والمعارف ويقيمون العلاقات الاجتماعية والعسكرية والسياسية"[3] وهذا يعطي لزوايا بعدا وظيفيا جديد ينقلها من مجرد زاوية في المسجد يعتكف فيها المتصوف للعبادة وطاعة الله، ومن مكان خاص يقيم فيه الولي ويجتمع فيه الناس من حوله والتي تحوي فيما بعد "ضريح الولي الصالح، ويكون هذا الولي في الغالب هو مؤسس الزاوية

1 الرحلة العلية إلى منطقة توات، محمد باي بلعالم، ص:340.

2 الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، عبد العزيز شهبي، ص:13.

3 تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الاسلامي، ط1، 1998، بيروت، لبنان، 318/1

أو أحد المرابطين بها ممن سطعت شهرته بالناحية"[1]، ومن مكان يقصده عابروا السبيل والفقراء من أجل المبيت والأكل إلى مكان يحمل بعدًا استراتيجيا تتداخل فيه جوانب عديدة كالتعليم والعبادة والسياسة والدين وإدارة شؤون المجتمع.

5) التعريف بمنطقة توات.

لقد تعددت الروايات في أصل تسمية منطقة توات بهذا الاسم ووصلت حد التباين والاختلاف، وذكر العديد من العلماء والمؤرخين منطقة توات في كتبهم، من بينهم ابن خلدون الذي ذكرها في المقدمة فقال " وفواكه بلاد السودان كلها من قصور صحراء المغرب مثل توات وتكدارين ووركلان"[(2)] وعبد الرحمان السعدي الذي حكى أن سلطان مالي كنكن موسى الذي ذكره بالصلاح والعدل كان ذاهبا إلى الحج في أوائل القرن الثامن في قوة عظيمة وجماعة كثيرة "ومشي بطريق ولات في العوالي، وعلى موضع توات فتخلف هناك كثير من أصحابه لوجع رجّل أصابهم في ذلك المشي تسمى توات في كلامهم فانقطعوا بها وتوطنوا فيها، فسمي الموضع باسم تلك العلة"[(3)] كما توجد رواية ثانية وهي أنه "لما استفتح عقبة بن نافع الفهري بلاد المغرب، ووصل ساحله، ثم عاد لواد نون ودرعة وسجلماسة، وصل خيله توات، ودخل بتاريخ 62هـ، فسألهم عن هذه البلاد يعني توات، وعن ما يسمع ويفشى عنها من الضعف، هل تواتي لنفي المجرمين من عصاة المغرب،... فأجابوه بأنها تواتي، فنطلق اللسان بذلك أنها تواتي، فتغير اللفظ على لسان العامة لضرب من

1 الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، عبد العزيز شهبي، ص:14.

2 مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، دار الفكر، 2001، بيروت، لبنان، ص:70.

3 تاريخ السودان، عبد الرحمن السعدي، ت هوداس بنوة، 1898، باريس، فرنسا، ص:07.

التخفيف"[1] وهناك من يرى أن أصل الخلاف يرجع إلى التباين في اشتقاق كلمة توات "هل هو من الفعل واتى يواتي، أو هو اسم للمغارم، أي الأتوات، أو هو غير هذا وذاك"[2] فنجد في الصحاح أن الفيومي ذكرها بمعنى الأتوات فقال: "توات هو الفواكه الفاكهة، والجمع أتوات"[3] ولقد ذكرها محمد حوتيّة بهذا المعني نقلا عن محمد بن عبد الكريم التمنطيطي في مخطوط –درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام– فقال أن أهل الصحراء "لما طلبهم المهدي ملك الموحدين بالمكوس والمغارم استضعفوا وقالوا لم يكن بأرضنا ذهب ولا فضة وكان ذلك شهر الخريف فأمر عامله أن يقبض في المغارم الرطب والعنب وسائر الثمار والكروم ففعل ثم باعه السلطان للبدو والنازلين قرب تلمسان فحملوه وعظمة بذلك المصلحة فصدر الأمر منه في العام الثاني بتخريص الأشجار وقبض الأتوات كيلاً ووزناً على حسب التخريص فعرف أهل هذه الأرض بأهل الأتوات لأن السلطان قبلها منهم في المغرم"[4] بينما يَعدُهَا آخرون كلمة بربرية تطلق على المكان المنخفض بعض الشيء ويطلقون اللفظة على ذلك "الجزء الداخل من جسم الإنسان، والذي يقع تحت القفص الصدري"[5]. ويعتقد الكثير من المؤرخين لتاريخ المنطقة أن "أهل القطر التواتي قبل الإسلام عجم لا عربية فيه"[6] وبأن البربر هم من سكنوها قبل الإسلام ونزحوا إليها من مختلف المناطق ودخلوها ويحتجوا القائلون بهذا القول بأن " تسميات القصور التواتية جاءت بلغتهم الزناتية الذين دخلوا توات

1 ينظر: الحركة الأدبية في إقليم توات، أحمد أبّا الصّافي جعفري، منشورات الحضارة، ط1، 2009، الجزائر، ص:17.

2 المرجع نفسه، ص:19.

3 المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي، المطبعة الأميرية، ط4، 1921، القاهرة، مصر، 108/1.

4 توات والأزواد، محمد حوتية، دار الكتاب العربي، 2007، الجزائر، 37/1–38

5 أصل أقدم اللغات في أسماء أماكن الجزائر، بوساحة، دار هومة، ط 2002، الجزائر، ص:79.

6 درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، تحقيق: أبو أنس عبد القادر نعيوى، دار صبحي للطباعة والنشر، ط1، 2017، الجزائر، ص:21.

بعد سقوط دولتهم زناتة[1] بالمغرب"[2] بينما يرى الشيخ مولاي أحمد الطاهري أن أصل تسمية المنطقة بتوات هو أنها "تواتي العبادة أي تليق بها، لأن كل من قدم إليها من الأولياء المنقطعين تواتيه للعبادة"[3]

أما المكان الجغرافي الذي أصبح يطلق عليه اسم توات فهو عبارة عن "صحراء في أعلى المغرب ذات نخيل وأشجار وعيون بينها وبين سجلماسة ثلاثة عشر يوما. ومن الغرب عشرون يوما لأول السودان ومن اغدامس عشرون يوما ومن بلاد الزاب عشرة أيام شرقا ومن ناحية أولاد عيسى مقدار أسبوع"[4] وهي تتشكل في الأصل من "مجموعة من واحات الصحراء الجزائرية الجنوبية الغربية تؤلف في مجموعها إقليم عبور ما بين سفوح الأطلس الجنوبي وبلاد السودان يحدها من الشمال العرق الغربي وهضبة تادمايت ومن الجنوب هضبة مويدير ويشكل واد الساورة الطريق التجاري لإقليم توات"[5] وهي تعد من بين أهم الأقاليم الموجودة في الجنوب الجزائري وذلك "بسبب موقعها الجغرافي الذي يتوسط الصحراء، وكونها محطة رئيسية على طريق القوافل التجارية"[6] وهذا جعل العديد من سكان المناطق المحاذية لها يستقرون بها فسكانها "يتألفون من قبائل متعددة نزحوا لها من شمال الوطن وغربه وشرقه ومن المغرب العربي ومن الشرق الأقصى ومن أفريقيا السوداء"[7] كما استوطنها

1 هي مجموعة من القبائل البربرية، كان من أعظمها قبائل بني مرين.

2 النبذة في تاريخ توات وأعلامها، عبد الحميد بكري، دار الطباعة العصرية، ط 2010، برج الكيفان، الجزائر، ص:11.

3 لفت الأنظار إلى ما وقع من النهب والتخريب والدمار بولاية أدرار إبان احتلال الاستعمار، مولاي التهامي غيتاوي، دار الكتب العالمية، بيروت، لبنان، ص:34.

4 درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، تحقيق: أبو أنس عبد القادر نعيوى، ص:19-20.

5 توات والأزواد، محمد حوتية، 28/1.

6 مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، مبارك جعفري، دار الكتاب العربي، ط 2016، لخرايسية، الجزائر، ص:08.

7 الرحلة العلية إلى منطقة توات، محمد باي بلعالم، ص:5.

العرب كذلك "بقصد نشر الإسلام وتعاليم الديانة، وممارسة التجارة "[1] وكان لليهود في توات موضع قدم هم الآخرون ويرجع وجودهم في إقليم توات "إلى قرون بعيدة فنزلوا بتمنطيط وتيطاف وتخفيف وتاسفاوت"[2] ويضاف إلى كل هذا الخليط من السكان، نزوح عدد كبير من سكان السودان الذين هربوا من الفقر والجوع "فمنهم من دخل مجلوبا إليها، ومنهم من دخل مهاجرا يبتغي أرضا غير أرضه"[3] ولقد عرف عن توات بأنها من أبرز المناطق الصحراوية الموجودة في الجزائر التي استوطنها الناس منذ القدم فتواجد الانسان بهذه المنطقة "يرجع إلى ما قبل الإسلام وكانت تسمى بالصحراء القبلية، ثم كثرت عمارتها بعد جفاف (نهر جير) في غضون القرن الرابع للهجرة"[4] ولا تزال عامرة إلى يومنا هذا.

6) نشأة الزوايا في منطقة توات وأهم وظائفها.

1- تاريخ ظهور الزوايا بالمغرب العربي والجزائر وتوات

تعد الزوايا من أهم وأبرز المعالم والمؤسسات الدينية التي يُعرف بها المغرب العربي فكانت ولازالت من أهم مراكز التعليم والإشعاع الحضاري، وبث المعرفة الدينية والفكرية في أوساط المجتمع، ويرجع تاريخ نشأة الزوايا بالمغرب العربي إلى القرن الخامس الهجري وهناك من يرد تاريخ ظهورها إلى القرن الرابع الهجري على حسب بعض الروايات "إذ سميت في بادئ الأمر (بدار الكرامة) كالتي بناها الخليفة يعقوب المنصور الموحدي بمراكش"[5] ومن تلك الفترة إلى يومنا هذا لا يزال المجتمع في المغرب العربي يهتم بالزوايا ويعمل على بنائها وعمارتها، وتعرف الجزائر واحدة من أبرز الدول العربية التي تكثر بها

---

1 مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، مبارك جعفري، ص:12.

2 المرجع نفسه، ص:13.

3 المرجع السابق، ص:16.

4 الرحلة العلية إلى منطقة توات، محمد باي بلعالم، ص:59.

5 ينظر: الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، عبد العزيز شهبي، ص:14.

الزوايا وتنتشر في مختلف بقاعها، بحيث لا نكاد نجد موضعا في الجزائر إلا وفيه زاوية لأنها كانت هي المركز الأساسي في نشر التعليم وبث مكارم الأخلاق وتحفيظ القرآن وتعليم علومه ولهذا "تكونت في الجزائر في القرن التاسع مجموعة من الزوايا منها زاوية الثعالبي في مدينة الجزائر، وضريح محمد الهواري في وهران والزاوية الملارية في قسنطينة وزاوية السنوسي بتلمسان"[1] هذا في ما يخص الشمال أم الجنوب الجزائري فعرف هو الآخر انتشار واسع للزوايا "كالزاوية الزيانية بالقنادسة، وزاوية الأعمش في تندوف، وزاوية الشيخ بن الكبير بأدرار"[2] وتعد هذا الزوايا من بين أشهر الزوايا في الجزائر.

أما منطقة توات فقد عرفت تأسيس العديد من الزوايا منذ دخول الإسلام إلى المغرب العربي على يد عقبة بن نافع وترجح العديد من الروايات أن أول زاوية بها التي بناها "مولاي سليمان بن علي الإدريسي (670هـ/1271م) الذي قدم من فاس ونزل بتنيلان وأسس زاويته التي أصبحت مقصدا للطلبة وملجأ للفقراء وعابري السبيل ومنذ ذلك الوقت بدأت الزوايا تظهر هنا وهناك"[3] واشتهر منها الكثير في توات على غرار "الوزانية، والكرزازية، والبكائية، والبكرية"[4] والتي منها تفرع عدد كبير من الزوايا في مختلف مناطق توات.

2- وظائف الزوايا في توات.

تقدم الزوايا دورا كبيرا في مجتمع توات وهذا الدور يشمل مختلف نواحي الحياة العلمية، والأدبية، والفكرية، وحتى الجانب الثقافي والاجتماعي فهي تؤدي وظائف عديدة في هذا المجتمع الصحراوي المتدين بطبعه والمحافظ، والدور الذي تؤديه الزوايا في توات يتعدى تحفيظ القرآن وتعليم اللغة والتربية للأطفال وتقديم المساعدات، بل يتجاوز ذلك بكثير ويفوق

1 تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ص:1/50-51.

2 الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، صلاح مؤيد العقبي، ص:306.

3 ينظر: مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، مبارك جعفري، ص:235-236.

4 الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، عبد العزيز شهبي، ص:22.

حتى دور المؤسسات التربوية والتعليمية الأكاديمية، فهي تساهم بشكل فعال في مختلف جوانب الحياة اليومية للفرد التواتي، وتعمل على تنشيط الحركة العلمية والأدبية والثقافية في الإقليم وتساهم في حفظ الاستقرار الاجتماعي الذي تعرفه هذه المنطقة من عصور، ويصل الأمر التأثير حتى إلى الجانب السياسي في بعض الأحيان.

وفي العموم فإن الوظائف الظاهرة والأساسية التي تؤديها الزوايا في إقليم توات يمكن على ضوئها تقسيم الزوايا في توات إلى ثلاثة أقسام رئيسية وهي.

أ- الزوايا التعليمية.

وتكون هذه الزوايا في الغالب بجانب المساجد أو تكون هي المسجد في ذاتها "وقد لعبت هذه الزوايا دورا بارزا في تحفيظ القرآن الكريم وتعليم العلوم الشرعية واللغوية"[1] لمختلف الأعمار كزاوية "الشيخ سيدي الحسان بأنزجمير، والزاوية الطاهرية بسالي، وزاوية سيدي لحبيب نتسفاوت، وزاوية الشيخ مولاي التوهامي بأوقديم وزاوية الشيخ العالمي بزاجلو..."[2] ومعظم هذه الزوايا تقوم بوظيفة التعليم حتى الآن.

ب- الزوايا التربوية (التصوّف).

وما يقصد به هنا بالتربية هي تربية الباطن وهي زوايا أسسها رجال التصوف تختص "بعلم الباطن دون إغفال للجانب الظاهر في الشريعة"[3] بحيث يجتمع فيها المتصوفة ويرددون الذكر والأوراد ويمارسون فيها طقوس التصوف على حسب الطريقة التي تنتمي إليها الزاوية، ومن أشهر هذه الزوايا " زاوية الشيخ بن عومر وزاوية سيدي حيدة وفي تيمي توجد زاوية سيدي سليمان بن علي وزاوية سيدي أحمد بن يوسف وزاوية الشيخ البكري وزاوية

1 توات والأزواد، محمد حوتية، ص:233.

2 مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث توات، مبارك جعفري، ص:116.

3 توات والأزواد، محمد حوتية، ص:233.

مهدية..."[1] وفي الغالب يكون لكل زاوية من هذه الزوايا طريقة تتبعها، مما خلق تنوعا كبيرا في الطرق الصوفية المتبعة في توات.

ج- الزوايا الخيرية.

هي زوايا يتم فيها استقبال الضيوف وعابري السبيل بحيث توفر لهم الطعام والشراب والمبيت، وهذه الزوايا نشأت نتيجة لتواجد منطقة توات في إقليم صحراوي مقفر وشاسع يتميز بالبرودة في الليل ودراجات حرارة عالية في النهار، فكانت هذه الزوايا هي الملجأ للمسافرين وعابري السبيل والضيوف من مختلف المناطق.

يعتبر هذه النوع من الزوايا عن كرم وجود أهل منطقة توات ومن أمثلة هذه الزوايا "زاوية الشيخ عبد القادر بن عومر بفنوغيل، وزاوية الشيخ بن سيدي علي بن حنيني بزاجلو، وزاوية سيدي عبد الله بن طمطم بمنطقة أوقورت..."[2] ويمكن لبعض الزوايا أن تجمع بين أكثر من وظيفة فنجدها تقوم بالتعليم ولها كذلك جناح خاص بالضيافة، فتجمع بين هذا وذاك.

1 المرجع نفسه، ص:234.

2 مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث توات، ص:122.

الفصل الأول: مكانة اللغة العربية في توات.

إنّ الباحث في تاريخ منطقة توات سيقف دون شك، أمام العلاقة التي تربط سكان هذا الإقليم بالدّين الإسلام واللغة العربية، ويظهر هذا الارتباط في صور عديدة تتجلى في أخلاق أهل المنطقة وتمسكهم الشديد بالدّين والدفاع عنه بشتّى الطرق خاصة في وجه المستعمر الفرنسي الذي حاول فصلهم عن الجزائر وتغير هُويتهم ولم يفلح في ذلك، كما أن شغفهم بدينهم جعلهم يشتغلون بتأسيس الزوايا والكتاتيب التي تساهم في تحفيظ القرآن الكريم وتعليم أبنائهم تعاليم الإسلام وآدابه وعلوم اللغة، وساهم صنيعهم هذا في جعل أفئدة من الناس تهوي إليهم من مختلف مناطق الجزائر ومن خارجها.

1) مكانة اللغة العربية في توات.

1- دور الإسلام في تعزيز مكانة اللغة العربية في توات.

لقد دخل الإسلام إلى توات مع البدايات الأولى لوصول المسلمين لبلاد المغرب، حيث يعد "أول مسجد بني في هاته المنطقة هو مسجد تايلوت بتمنطيط والذي يحمل محرابه تاريخ: 106هـ"[1] وهذا دليل على تواجد الإسلام في المنطقة منذ بداية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ومن ذلك الحين وأهل توات يحتكون بالعرب الوافدين إلى المنطقة فأخذوا عنهم الدين واللغة والكثير من العادات والتقاليد.

لا يمكن الحديث عن انتشار الإسلام في الإقليم دون التطرق للغة العربية فمكانة اللغة العربية من مكانة الدين ذاته، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢ ﴾[2] ومن هذا المنطلق نلاحظ تلك العناية الخاصة التي تحظى بها اللغة العربية في منطقة توات، بحيث يَدْأَبُ الصغار والكبار في التفنن في حفظ المتون اللغوية كالألفية والآجرومية، ويظهر كذلك اهتمامهم باللغة في إسهامات شيوخ المنطقة وعلمائها في نظم وتأليف العديد من

1 النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص:34.

2 سورة يوسف، الآية 02.

المتون والشروح والكتب اللغوية والأدبية، فلم يتركوا باباً من أبواب علوم اللغة إلا وطرقوه، وهذا ما نجده في مختلف المخطوطات الموجودة في المنطقة، فتوات بها كم هائل من الخزائن التي تحتوي العديد من المخطوطات النادرة والنفيسة.

ولا يخفى على أحد اهتمام سكان توات باللغة العربية، فلقد تشرّب أهلها الإسلام وتمكن من قلوبهم، فانكبوا على دراسة القرآن وعلومه كالفقه والتفسير والحديث والعقيدة، كما كان لهم اهتمام بمختلف علوم اللغة كالنحو، والصرف، والبلاغة، والعروض، ويظهر هذا الأمر من خلال المخطوطات التي تشتمل على عدد من المتون المنظومة، والشروح، والتعليقات، والحواشي، كلها تخص اللغة العربية وعلومها.

ومما يؤكد أن للغة العربية مكانة عند سكان توات، هو مقاومتهم للاحتلال الفرنسي الذي حارب "الثقافة الوطنية، ولما كانت اللغة العربية هي وعاء هذه الثقافة، فقد ركز حربه عليها"[1] لكن سكان منطقة توات كغيرهم من سكان الجزائر حاربوه بشتّى الطرق. ولقد ناهج الاحتلال الفرنسي كل الطرق من أجل طمس هُويتهم العربية الإسلامية فقد وقف مشايخ وعلماء الزوايا في توات كسائر أقطار الجزائر ضد المستعمر وخططه التنصيرية فعملت الزوايا في توات من أجل "الإبقاء على مبادئ الشخصية العربية الإسلامية، ومقاومة سياسة التنصير، وساهمت في حماية المجتمع من الذوبان في ثقافة المحتل وعقيدته"[2]. وبهذا تكون الزوايا التواتية قد ساهمت في أداء الدور المنوط بها، بالطريقة الواجبة.

وحال اللغة العربية وازدهارها في المنطقة اليوم يرجع في المقام الأول لهذه الزوايا وهذا ما يؤكد "أن الزوايا لم تكن دائما مركزا لنشر التخلف كما يروج لها أحيانا ولم يكن التعليم بها جامدا دائما، بل استطاعت أن تقاوم المسخ الاستعماري وبذلك حافظت على المقومات

1 الزوايا والصوفية والعزابة، ص:37.

2 المرجع نفسه، ص:44.

الأساسية للشخصية الوطنية الجزائرية"[1] وساهمت بشكل فعال في ترسيخ الدين الإسلامي واللغة العربية في منطقة توات فلا ينكر هذه الحقيقة إلا جاحد حق، ويمكننا القول بأن "تعليم الزوايا قد نجح نجاحا كبيرا في تحقيق هذا المقوم الأساسي من مقومات الشخصية الجزائرية، وهو المحافظة على اللغة العربية وتعليم مختلف فنونها من نحو وصرف وبلاغة وأدب"[2] وهذا لم يكن ليحصل دون جهود علماء المنطقة في تطوير الدرس اللغوي والحرص على تقديمه بأحسن وجه ممكن، فقد ساهم علماء توات في إثراء الدرس اللغوي بالكثير من المؤلفات التي تزخر بها خزائن المخطوطات وتتزين بيها رفوف المكتبات، كما ساهموا في تطوير منهج التعليم في الزوايا وجعلوا له أسسا ومبادئ يرتكز عليها.

كما كان لزوايا الجنوب بالعموم وزوايا توات بالخصوص، الدور الفعال "في نشر دين الإسلام وتعليمه وتحفيظ كتاب الله في البوادي والأرياف داخل الوطن وخارجه فقد كان معلموا القرآن من بلدة أقبلي وأولف وأدرار وتيميمون يتوجهون إلى ورقلة ومتليلي وسعيدة وتيارت وغيرها من الجهات كهقار ومالي والنيجر وإلى افريقيا السوداء لتعليم القرآن وتدريس العلم"[3] كما توافد على هذه الزوايا الكثير من الطلاب من مختلف المناطق لحفظ القرآن وتعلم الفقه واللغة وعلومها.

1 المرجع السابق، ص:46.

2 المرجع نفسه، ص:41.

3 الرحلة العلية إلى منطقة توات، ص:124/1-125.

ومما ساعد على توافد الطلاب إلى زوايا توات وجود نظام الإيواء في هذه الزوايا، وما ساهم في الحفاظ على هذا النظام إلى يومنا هذا هو عدد الأوقاف التي تمتلكها بعض الزوايا في توات من أراضي وبساتين وعقارات ومحلات تجارية، ويتم استغلالها من أجل توفير الأساسيات لطلبة الزوايا من "مأوى ومطعم"[1]، ويعتبر هذا الفعل –أي تعدد الأوقاف– الذي يعد "تقليدا إسلاميا عريقا معبرا عن حياة الجماعة الإسلامية"[2] وهو دليل آخر على حرص أهل المنطقة على خدمة العلم وطلابه والتزامهم برعايتهم وتوفير ما يحتاجونه من أساسيات كالأكل والشرب والأغطية والأفرشة، كما يُعبّرُ تعدُدُ الأوقاف التي تخص زوايا توات على كرم نفوس أهالي المنطقة وسخائهم، وهذا مكّن العديد من المشايخ من تأسيس زوايا ومدارس من الأوقاف المخصصة لهذا الغرض، منهم الشيخ مولاي أحمد الطّاهري الذي قدم على توات "فوجد في قصورها وأوقافها الخيرية ضالته المعرفية والعلمية بما خصصه سكانها من وقف خاص بالعلم والعلماء، وهو ما مكنه سريعا من تأسيس مدرسة علمية من أوقاف المسلمين"[3]، ساهمت في نشر العلم وتخريج الطلبة.

وهذه الحركية التي تشهدها الزوايا من تنقل الطلبة إليها من مختلف أقاليم الصحراء لم تكن من العدم، بل هي نتيجة قيام علماء توات بالكثير من الرحلات العلمية إلى الأقاليم الكبرى في الصحراء من بلاد السودان ومماليكها وموريتانيا وغيرها من الأقاليم التي سنأتي على ذكرها في باقي فصول البحث، فساهموا بالتعريف بالمنطقة وإعطاء صورة مشرقة عن توات، شدّت قلوب أهل العلم وطلابه إليها من كل البقاع والأصقاع.

1 من تاريخ توات أبحاث في التراث، أحمد أبّا الصّافي جعفري، منشورات الحضارة، ط1، الجزائر، 2011، ص:326.

2 توات والأزواد، ص:340.

3 من تاريخ توات أبحاث في التراث، ص:328.

2- توافد العلماء على منطقة توات.

شهدت منطقة توات توافد العلماء عليها منذ زمنٍ بعيد، فبعد "وصول العرب إلى توات بقصد نشر الإسلام وتعاليم الديانة، وممارسة التجارة"[1] دخل الإسلام إلى الديار التواتية مباشرة هاجر واستقر فيها عدد كبير من العلماء كانوا هم المشعل الذي حمل راية العلم لهذه المنطقة ومازال فيها إلى يومنا هذا، ولم يكن توافد العلماء للمنطقة دون أسباب بل كان لطبيعة المنطقة دور في ذلك باعتبارها تقع في قلب الصحراء وهي بيئة تساعد على الطاعة والتفرغ للعبادة وطلب العلم.

توافد على توات الكثير من العلماء المتصوفة الذين يفضلون الأجواء التي سبق ذكرها، ويضاف إلى ذلك علاقة توات بالأقاليم المحاذية لها فهي ملتقى القوافل والطرق التجارية، ومقصد طلاب العلم من مختلف أقاليم الصحراء فكل هذا جعل العلماء يستقرون بها ويتخذونها مُقاما ومستقرا لهم.

وجاء إليها العرب "أفواجا أفواجا في أزمنة متباعدة مثل أولاد محمد والخنافسة والمحارزة وأولاد طلحة وأولاد باحمو وأولاد أعمر أملوك وأولاد غانم وأوالد الحاج وأولاد المنصور وأولاد عابد وغيرهم"[2] أخذ العلماء في التوافد عليها من داخل البلاد وخارجها، وتباينت وتعددت الأسباب التي حملتهم على ذلك، بدءا بالجغرافيا ووصولا إلى طبيعة سكانها الذين ساهموا "خاصة الميسوري الحال منهم بدعم الطلبة والمدارس بالأوقاف والهبات وبسط النفقات"[3] فكان هذا من عظيم صنيعهم وسخاء نفوسهم وهو دلالة على حبهم للعلم وأهله، ولهذا الفعل دور كبير في استقطاب مجموعة من القامات العلمية من مختلف الجهات فانتعشت الحركة العلمية والثقافية في المنطقة بقدومهم وعلى إثر ذلك تم بناء وتأسيس العديد

1 النبذة في تاريخ نوات وأعلامها، ص:12.

2 الرحلة العلية إلى منطقة توات، ص:112.

3 توات والأزواد، ص:274.

من المدارس القرآنية والزوايا والتي "جمع شيوخها بين العلم والعمل فساهموا في تبسيط المعارف العلمية وتنافست الزوايا في استقطاب الطلبة مما كان له أكبر الأثر في نشر العلم النافع والجاد"[1] وهذا ما شجع العديد لقصد المنطقة لطلب العلم "فراح الناس يقبلون على تلقي العلم والمعرفة من أفواه العلماء في مختلف العلوم الشرعية واللغوية والعقلية، في تلك المدارس والزوايا"[2] كما كان لبعد المنطقة عن الصراعات السياسية دورا فعالا في إتاحة "المجال للنشاط العلمي وجعل الإقليم مركز جذب للعلماء الفارّين من مناطق الصراع السياسي"[3] بحيث عُرِفَ عن توات بأنها منطقة "أمن واستقرار، جعلها محج الكثير من الفقهاء والعلماء، والعديد من الزهاد والعباد"[4] كما يجدر بنا في هذا المقام أن نبين أن الأسباب التي تم ذكرها من قَبْلُ ليست هي الوحيدة التي دفعت العلماء وطلبة العلم للقدوم لتوات فقد كان لكل منهم سبب يخصه.

فكان لهؤلاء العلماء الوافدين الأثر الكبير في تنشيط الحركة العلمية والثقافية في المنطقة، فلقد قدِموا وفي جعبة كل منهم عديد الفنون والعلوم اللغوية والشرعية وغيرها مما خلق نوعا من الثراء والتنوع في العلوم والثقافات فأقبل الناس عليهم والتفوا من حولهم وأعانوهم في بناء الزوايا والمدارس، وأخذوا العلم عنهم وتخرج من بين أيديهم العديد من العلماء فيما بعد.

ويعد الشيخ **سيدي مولاي سليمان الادريسي** من أبرز القامات العلمية التي حطت رحالها في توات ومن أوائلها، وهذا بعد أن تتلمذ على يديه العديد من العلماء، وكان شيخه علي بن حرزهم "هو من أمره بالرحلة، فقصد الشيخ توات سنة 580هـ فنزل بتيليلان ثم انتقل

1 المرجع السابق، ص:274.

2 جهود علماء توات في الدرس اللغوي خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، بقادر عبد القادر، مجلة الأثر، قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، العدد19، جانفي 2014، ص:90.

3 توات والأزواد، ص:274.

4 النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص:62.

بعدها إلى أولاد عيسى فسكن بها"[1] وأصبح قِبلة للعلم يقصدها أهالي المنطقة للتعلّم والتفقه في أمور الدين، وكانت زاويته ملجأً للفقراء والمحتاجين كما كانت مكانا يرتاح فيه الحجاج وأصحاب القوافل، وبقي فيها مدة ثم "انتقل في آخر عمره لقرية أولاد اشن وتوفي بها سنة 670هـ"[2].

وورد على توات كذلك الشيخ **أبو يحي بن محمد المنياري** وكان هذا في عام 815هـ[3] وجاء من المغرب[4] والسر وراء إطلاق لقب المنياري عليه راجع للقبيلة التي جاء منها في المغرب وهي قبيلة بني منيار[5]، "وتقضى على توات، وقدّر السلطان مؤنته على أهل توات خمسمائة مثقال عينا فنزل ببلاد توات وهو الذي جاء بمقادر المكاييل والموازين"[6] فكانت له بصمة واضحة في تنشيط الحركة العلمية والثقافية بالمنطقة ، وعرف عنه الصلاح والعدل في القضاء ويشهد له بالعلم والمعرفة، ووافته المنية سنة 840هـ[7] .

كما جاء إلى توات **يحي بن يدير بن عتيق التدلسي**، وهذا سنة 845هـ[8] وعرف عنه هو الآخر العدل والعلم والاستقامة فكان يُحفظ القرآن ويدرّس علوم اللغة و"كان فقيها علامة"[9] ومن أبرز من أخذ عنه العلم هو الشيخ عبد الكريم المغيلي[10] "فأخذ عنه العلم مدة

---

1 المرجع السابق، ص:67-67.

2 المرجع نفسه، ص:68.

3 درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، ص:41.

4 المرجع نفسه، ص:41.

5 ينظر: نفسه، ص:41.

6 نفسه، ص:41.

7 الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرون 08-10 هجرية، بودواية مبخوت، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، 2011 الجزائر، ص:36.

8 درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، ص:41.

9 كفاية المحتاج لمعرفة من ليس من الديباج، أحمد بابا التنبكتي، مطبعة فضالة، د ط، 2000، المحمدية، المملكة المغربية، 276/2.

10 المرجع نفسه، 276/2.

من الزمن"[1] وهذا بمدينة تمنطيط التي سكنها الشيخ عند دخوله توات[2] فكان من أبرز العلماء الذين وفدوا على توات "فأثْرَوْا بها الحركة العلمية، وقيدوا فيها العديد من المسائل والنوازل فأفادوا الطلبة والعلماء"[3] فكان فضله ظاهر ونوره ساطع على المنطقة كلها.

وهذه الصفات هي التي دفعت إلى اختياره ليتولى منصب "قاضي الجماعة فسلك فيه مسلك العدل والإنصاف فأظهر الحق ورفعه، ووضع الباطل وأزهقه"[4] فكان محلّ احترام وتقدير من قبل الجميع "فأخذ عنه خلق كثير، واستفاد منه جم غفير، فنزل لرأيه العلماء الأكابر، وأخذ بفتواه القضاة الأعيان"[5] وبقي في مدينة تمنطيط حاله هكذا بين القضاء وتدريس العلوم وتحفيظ القرآن للطلبة، يستشيره الأعيان والأكابر ويستفتيه العلماء والقضاة في النوازل، فنذر حياته للعلم وخدمته، حتى توفي بتوات يوم الجمعة عاشر صفر عام سبعة وسبعين وثمانمائة(877هـ)[6].

وبعد أن توفي الشيخ يحي بن يدير ودفن في تمنطيط "خلفه في القضاء **عبد الله بن أبي بكر العصنوني**"[7] الذي يعد هو الآخر من بين أبرز الشخصيات العلمية الوافدة على توات، "ونسله ينتهي عند علي بن أبي طالب جاء إلى توات من تلمسان رفقة أخيه محمد سنة 862هـ وقيل 863هـ"[8] وهناك رواية أخر تقول بأنه دخل "توات بصحبة ابن أخيه سيدي سالم سنة 863هـ"[9] وكان أول موطِن توَطَّنَهُ بعد دخوله توات في "بني تمرت من قرى تيمي

1 الرحلة العلية إلى منطقة توات، ص: 127/1.
2 ينظر: النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص69.
3 المرجع نفسه، ص:68.
4 نفسه، ص:68.
5 نفسه، ص:68.
6 كفاية المحتاج، 276/2.
7 الرحلة العلية إلى منطقة توات، ص:127/1.
8 درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، ص:41.
9 النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص:70.

ثم انتقل إلى بلاد تمنطيط"[1] وتولى القضاء في توات سنة 877هـ[2]وهذا بعد موت الشيخ سيدي يحي بن يدير كما سبق الذكر، وكان الشيخ عبد الله بن أبي بكر العصنوني من بين العلماء الذين عارضوا المغيلي في قضية اليهود، فلقد "خالف المغيلي ونازعه في هدم كنائس اليهود وراسلا في ذلك علماء فاس وتلمسان"[3] وقصة يهود توات من أشهر الأحداث التي وقعت للشيخ المغيلي وكانت من أسباب شهرة اسمه في المنطقة.

تعد عائلة العصنوني من بين أهم العائلات التي كان له دور كبير في تنشيط الحركة العلمية والثقافية في توات، بل وتجاوز تأثير العائلة في الحركة العلمية خارج حدود توات، فقام "علماؤها بنشر الديانة الإسلامية خارج حدود الدولة وخصوصا في بلاد السودان الغربي"[4] واشتهر منهم سالم بن محمد أبي بكر العصنوني الذي كان "كالجبل في الرسوخ، فارس النحو والبيان حائز قصب السبق في علم الحديث بين الأقران مالك الأصول والفصول ماسك أعنة المنقول والمعقول"[5] رحل إلى بلاد السودان واشتغل بالدعوة للإسلام "فأسلم على يده خلق كثير من أهل كابي وساحتها من بلاد السودان"[6] فكان لعائلة العصنوني بالغ الأثر في تنشيط الحركة العلمية والدعوة للإسلام وتولى غير واحد منهم منصب القضاء في توات وعُرفَ عنهم النبوغ والعلم وحسن السيرة والسريرة ولم يذكروا بغير هذا في كتب المؤرخين.

ومن أشهر العلماء الذين كان لهم تأثيرا كبيرا على المنطقة سواء من الناحية العلمية أو الاجتماعية والثقافية وحتى السياسية هو الشيخ **محمد بن عبد الكريم المغيلي**.

---

1 درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام ، ص:42.

2 النبذة في تاريخ توات وأعلامها ، ص :70.

3 الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرون 08-10 هجرية، ص:39.

4 النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص:70.

5 المرجع نفسه، ص:75.

6 نفسه، ص:70.

لقد اختلف في تاريخ ميلاد الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي والأرجح أنه ولد سنة 820هـ[1] وهو من مواليد "قرية المغيلة بتلمسان، ويرجع نسب أجداده إلى الحسن المثنى سبط الرسول الأعظم (ص)"[2] أما وفاته فكانت سنة 909هـ[3] وهو من بين أهم الشخصيات العلمية والفكرية التي عاشت في القرن العاشر الهجري، فلقد كان مصباحا من مصابيح العلم والمعرفة.

وللشيخ المغيلي العديد من المؤلفات والإسهامات في علوم الدين واللغة منها "البدر المنير في علوم التفسير، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، المغني النبيل شرح مختصر خليل، شرح بيوع الآجال من ابن الحاجب، مقدمة في علم المنطق، مقدمة في العربية، شرح على خطبة المختصر، كتاب الفتح المبين، المفروض في علم الفروض، مختصر علم الفروض"[4] ولشيخ المغيلي عديد المؤلفات لا يسع المقام لذكرها فلقد "عد له الأستاذ مبروك مقدم سبعة وأربعين مؤلفا بين مخطوط ومطبوع وأغلب هذه النسخ المخطوطة متواجدة حاليا في خزائن توات"[5]، وهذا ما يعكس مكانته العلمية، ويبرز دوره وتأثيره في الحياة العلمية والفكرية في توات وخارجها.

وبلوغ الشيخ المغيلي لهذه المنزلة من العلم والمعرفة لم يكن من العدم، بل كان نتاج جهد ومثابرة في الطلب، فكان منذ صغره يحب العلم والمعرفة، فقام بالعديد من الرحلات مكنته من التعلم والاحتكاك بالعديد من المشايخ والعلماء فلقد "ترعرع الإمام المغيلي مترددا على مواطن الدرس معلما ومتعلما في مسقط رأسه تلمسان أولا، ثم الجزائر العاصمة، فبجاية

1 المرجع السابق، ص:71.

2 المرجع نفسه، ص:70.

3 نفسه، ص:71.

4 ينظر: الرحلة العلية إلى منطقة توت، 126/1.

5 من تاريخ توات أبحاث في التراث، ص:18.

وتوات، ثم فاس ومنه إلى السودان الكبير، ثم توات أخيرا"[1] ولعل كثرة ترحاله وضربه في الأرض، من الأمور التي زادت في شهرته وخبرته في الحياة .

ذكره أحمد بابا التنبكتي في كتابه كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج فقال عنه "أحد الأذكياء المتقدمين في الفهم وقوة الإدراك مع محبة السنة وبغض أعدائها"[2] كما ذكره محمد بن محمد مخلوف في شجرة النور الزكية في طبقات المالكية فقال "خاتمة الأئمة المحققين والعلماء العاملين مع البراعة والتفنن في العلوم والصلاح والدين المتين"[3] فشهد له أقرانه ومشايخه ومن جاء من بعدهم بالتمكن من العلم والتفنن في مختلف فروعه الدينية واللغوية فكان "جرئ القلب، فصيح اللسان"[4] وبهذا عرف طوال حياته.

وكانت بداية طلبه للعلم "في مسقط رأسه المغيلة، وبعدها اتجه نحو تلمسان، فحفظ كتاب الله عزّ وجلّ وشيئا من أمهات الفقه المالكي على يد الشيخ سيدي محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي"[5] وبعد أن تعلم الأساسيات في علوم الدين واللغة، وأخذ عن الشيخ عبد الرحمان الثعالبي "التفسير والتصوف والقراءات"[6] بعدها قرّر الشيخ الخروج من تلمسان للاستزادة في طلب العلم والمعرفة فكان صاحب همة عالية وحب ظاهر للعلم فخرج نحو "بجاية ثم الجزائر العاصمة"[7] حيث تلقّف العلم من عند علماء بجاية والجزائر، فجالسهم وخالطهم وأخذ عنهم وسمع من عندهم، ومن بعدها قرّر الرجوع لتلمسان، ولكنه لم يمكث بها

---

1 المرجع السابق، ص:14.

2 كفاية المحتاج، ص:213.

3 شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف، المطبعة السلفية ومكتباتها، د ط، 1349هـ، القاهرة، مصر، ص:274.

4 البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ابن مريم أبو عبد الله، تح محمد بن أبي شنب، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 1986، الجزائر، ص:255.

5 النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص:71.

6 المرجع نفسه، ص:71.

7 من تاريخ توات أبحاث في التراث، ص:14.

ولم ينزل عن راحلته فالرجل كانت له "نفس تواقة للعلم والتعلم، راغبة في معالي الأمور، زاهدة في الدنيا ومتاعها"[1] فقرر التوجه نحو توات فدخلها سنة 870هـ[2] وتصادف تاريخ رحلته لتوات مع تواجد "الشيخ يحي بن يدير، وجده بتمنطيط وأخذ عنه علما جما"[3] فتعلم عنه، مدّة من الزمن ومن بعدها قرّر الرحيل فغادر تمنطيط صوب "أولاد عيسى بقرارة ورجع إلى تمنطيط بعد وفاة الشيخ يحي بن يدير"[4] فنزل بأولاد يعقوب، وخلال هذه المسيرة الحافلة والرحلات العديدة تمكن الشيخ المغيلي من التواصل مع كوكبة من العلماء المشهود لهم بالعلم كالشيخ "سعيد المقري، والشيخ يحي بن ايدر والشيخ أبي العباس الوغليسي والشيخ سيدي عبد الرحمان الثعالبي"[5].

والمقام هنا لا يتسع لذكر جميع العلماء الذين توافدوا على توات من أجل التعلم والتعليم، بل اكتفينا بذكر الأعلام منهم، الذين كان لهم الفضل في تطوير علوم اللغة العربية وتعليمها في المنطقة فلقد "تلقوا العلم على أديمها وبلغوه في ربوعها وخارجها فكان منهم العالم المدرس والقاضي والأديب والمؤلف والطبيب والإمام الموظف وبفضلهم انتشر العلم في توات وما حولها من الأصقاع وتخرج من مدارسهم وكتاتيبهم القرآنية الكثير من الفقهاء وحفظة القرآن"[6] ومما لا شك فيه أن هذا الأمر كان يحتاج الى الكثير من الجهد والصبر والمثابرة من أجل تحقيقيه، وهذا كله في وقت لم تكن فيه الوسائل متاحة فلم يعرفوا من الوسائل إلا "المداد والقلم ولا من وسائل النقل إلا المشي على الأرجل ولا من الإنارة إلا الليف والزيت فتعلموا وعلموا وألفوا وكتبوا لنا ثروة هائلة من الكتب فكانوا فوق تلك الظروف

1 النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص:71.
2 الرحلة العلية إلى منطقة توات، 127/1.
3 درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، ص:42.
4 الرحلة العلية إلى منطقة توات، ص:127/1.
5 من تاريخ توات أبحاث في التراث، ص:14.
6 الرحلة العلية إلى منطقة توات، ص:124/1

القاسية وفوق تلك الصعوبات"[1] وهذا من أجل نيل ثواب المعلم والمتعلم، فكانوا منارات للعلم شامخة يضرب بها المثل في تحدي الظروف في سبيل العلم.

3- الزوايا التعليمية في توات.

تعدّ توات من بين أكبر وأكثر المناطق التي تنتشر بها الزوايا في الجزائر، ولها مكانة خاصة في نفوس أهالي توات، وهذا لما لها من وظائف تؤديها في هذه المنطقة فالزاوية "مركز إشعاع حضاري ومكان تنظيم وتربية"[2] فالزاوية في توات تتمتع بنوع من القداسة والخصوصية، وهذا ما يفرض على الجميع احترامها واحترام شيوخها وطلابها، وهي تتنوع بتنوع وظائفها والأدوار التي تؤديها فتنقسم إلى زوايا تعليمية وزوايا التربية (زوايا المتصوفة) وزوايا الإطعام وغيرها، و"يعد التعليم الوظيفة الأساسية للزوايا بالمنطقة، ومعظم الزوايا كان الغرض من تأسيسيها تعليميا، يقصدها الطلاب من كل مكان لتلقي العلم بشكل مجاني"[3] وهي الأكثر انتشارا وخاصة في الوقت الحاضر، ويمكن عدّ هذه الأخيرة من بين أهم وأبرز العلامات الدالة على المكانة التي تحظى بها اللغة العربية في توات، لأن تدريس اللغة وقواعدها هو فرض عين في كل زاوية من الزوايا التعليمية.

توات هي الزاوية والزاوية هي توات، فلا يمكن التفريق بينهما ولهذا ارتبط اسم الزوايا بالمنطقة ارتباطا قويا نظرا لكثرة "الزوايا بداخلها حتى عدت جزء من مكونها الحضاري"[4] وأدت هذه الأخيرة دورا بارزا في تشكيل الخلفية المعرفية والثقافية لسكان المنطقة وحتى تحديد مجموع العادات والتقاليد التي نجدها مرتبطة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بالزاوية فلا يخفى

1 المرجع السابق، ص:125/1.

2 ينظر، توات والأزواد، ص:233.

3مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، ص:115.

4 المرجع نفسه، ص:234.

على أحد بأن الكثير من الزوايا يتمتع شيوخها بمكانة كبيرة في نفوس سكان المنطقة فيكنون لهم المحبة والاحترام والتوقير.

لا يكاد يخلو قصر من قصور توات من زاوية، فهي "منتشرة في سائر قصور توات ويطلق عليها أسماء مختلفة كالجامع بتوات واقربيش بتدكلت"[1]، وكان لهذه الزوايا دور كبير في "نشر الإسلام واللغة العربية"[2] وهذا من خلال السهر على "تحفيظ القرآن الكريم وتعليم العلوم الشرعية واللغوية"[3]. لجميع شرائح المجتمع دون استثناء ويبدأ عمل الزاوية في "تعليم القرآن الكريم للأطفال بمختلف الأعمار"[4]، لأجل استقطابهم وترغيبهم في حفظ كتاب الله والتمكن من قواعد اللغة العربية والفقه وغيرها من العلوم الشرعية لهذا نجد أن جل سكان المنطقة حافظون لكتاب الله وهذه ميزة كانت في الكثير من مناطق الجزائر ولكننا لا نكاد نجدها الآن إلا في توات، وهذا بعد انحصار دور الزوايا في العديد من مناطق الجزائر والتي كانت تعرف انتشارا كبيرا في كل ربوع الجزائر خاصة في منطقة القبائل والغرب الجزائر ولكن بعد انتشار المدارس الابتدائية تراجع دورها كثيرا، ولم تعد مفتوحة بل أغلقت أبوابها، ومنها من يقتصر فقط على تعليم الأطفال في العطل، وهذا الأمر من أبرز الأمر التي أدت إلى تقلص عدد حفاظ القرآن الكريم.

لكن توات لا تزال زواياها تحافظ على وظائفها كلها تقريبا، من التعليم إلى التربية الروحية والإطعام والإيواء ولكن نجدها قد "اختصت أكثر بتحفيظ القرآن، وتعليم ما يستلزمه من العلوم اللغوية والشرعية والتاريخية"[5] فما يميز الزوايا عموما وزوايا توات خصوصا هذا الاشتراك في التركيز على تعليم علوم اللغة والدين، فهي التي "يرجع لها الفضل في الحفاظ

1 توات والأزواد، ص:233.

2 الزوايا والصوفية والعزابة، ص:46.

3 توات والأزواد، ص:233.

4 المرجع نفسه، ص:233.

5 الزوايا والصوفية والعزابة، ص:46.

على اللغة العربية وعلومها، وهو تعليم كان يسير على المناهج القديمة التي تعطي الأولوية لعلوم اللسان والدين[1] ولم يقتصر الأمر فقط على هذه الجوانب بل كانت الزاوية من أهم المراكز التي ساهمت في " بناء المجتمع التواتي وفق القيم الإسلامية على مرّ العصور. كما ساهمت في المقاومة الثقافية والشعبية والحفاظ على الثوابت إبّان الاستعمار الفرنسي للجزائر. ليس في منطقة توات فقط بل كامل القطر الجزائري"[2] ولهذا نؤكد على ضرورة إعادة بعث الحياة في مثل هذه المراكز التي كانت منارات للإشعاع العلمي والفكري والثقافي، ورغم أنه ارتبط في بعض الأحيان ذكر اسم الزاوية بالخرافة والبدعة والمعتقد الفاسد، وهذا راجع لوجود بعض السلوكات والمعتقدات التي يشبوها الغموض والإبهام يمارسها أصحاب بعض الزوايا، ولكن هذا الأمر لا يمنع من تنقيح بعض السلبيات وبعث الجوانب الإيجابية لإبعادها عن الشبهات.

لقد أدّت الزاوية ولازالت "أدوارا هامة، لا يمكن الاستهانة بها أو إغفالها"[3] في العديد من المناطق خاصة في بعض المجتمعات التي اتسمت الحياة فيها بالبساطة كالمجتمع التواتي، فلطالما كان لها حضور في حياة الناس، واكتسبت هذا الحضور من كونها مؤسسة دينية تعليمية وتربوية تلامس الجانب الاجتماعي والثقافي في هذه البيئة، ومما يؤكد لنا دور الزوايا التعليمية في المجتمع التواتي، وبأنها كانت تحرص كل الحرص على أداء دورها المنوط بها على أكمل وجه هو صرف الكثير من الموارد المالية التي تأتيها من الأوقاف "فهي تخصص الجانب الأكبر من أملاكها للجانب التعليمي من جهة، وتوفير الكثير من خزائن المخطوطات التي يتردد العلماء عليها للاستعانة بها في تشكيل حلقة درسهم من جهة أخرى"[4] وبهذا تكون الزوايا ساهمت بشكل فعّال في الحفاظ على تدريس اللغة العربية وما تعلق بها من

1 المرجع السابق ص:46.

2 مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، ص:237.

3 المرجع نفسه، ص:110.

4 ينظر: من تاريخ توات أبحاث في التراث، ص:327.

علوم، "فكانت الزوايا دائما هي الرافد العلمي والفكري"[1] الذي يعتمد عليه سكان المنطقة في تعليم وتربية أبنائهم.

جدول لزوايا منطقة توات الوسطى[2]

الرقم	اسم الزاوية	مكانها	مؤسسها	ت.التأسيس
01	زاوية تيليلان	تيليلان بلدية أدرار	سيّد أحمد بن يوسف	ربيع الثاني 1058هـ
02	زاوية مهدية	مهدية – بلدية تيمي	الشيخ عمر الأصغر	1207هـ/ 1787م
03	الزاوية البكرية	زاوية سيّد البكري بلدية تمنطيط	الشيخ سيّد البكري بن عبد الرحمان التمنطيطي	1109هـ/ 1689م
04	زاوية مولاي عبد الله الرقاني	زاوية الرقاني بلدية رقان	الشيخ مولاي عبد الله الرقاني	القرن 11هـ
05	زاوية سيّدي الحاج المختار	الجديد بلدية تامست	الشيخ سيّد المختار الكنتي	القرن 12هـ
06	زاوية سيّدي باحمو	زاجلو.ز.كنتة	**الشيخ سيّد باحمو بن** حنيني	القرن 12هـ

1 توات والأزواد، ص:233.

2 الرحلة العلية إلى منطقة توات، ص:437-438.

07	سيّدي أحمد بن سيّدي باحمو	زاجلو.ز.كنتة	سيّدي أحمد بن سيّدي باحمو	القرن 12هـ
08	زاوية الشيخ المغيلي	زاوية الشيخ ز.كنتة	الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي	القرن 09هـ
09	زاوية سيدي أحمد الرقاد	زاوية كنتة	الشيخ أحمد الرقاد	القرن 11هـ
10	زاوية سيّدي أحمادو	زاجلوا المرابطين ز.ك	الشيخ سيّدي أحمادو	القرن 12هـ
11	زاوية سيّدي مولاي الحسان	مكيد ز.كنتة	الشيخ مولاي الحسان	1200هـ
12	زاوية سيّدي علي بن حنيني	زاقلو المرابطين ز.كنتة	الشيخ سيّدي علي بن حنيني	القرن 10هـ
13	زاوية بن عومر	بودة. أدرار	الشيخ بن عومر	11هـ
14	زاوية مراقن	بودة. أدرار	بوسبع حجات	11هـ
15	زاوية مراقن	مراقن أدرار	سيّدي محمد السالم	

من المميزات التي تتحلى بها الزوايا في توات هي إعطاء الفرصة لمن لم يتمكن من إكمال مزاولة دراسته في المدرسة أو فاته سن الالتحاق بها فساعد "عدم تحديد سن الدخول فهي لا تعتبر بذلك بل تستقبل كل من يرتادها من طلبة ابتداء من السنة الرابعة من عمر الطفل إلى أن يبلغ ثمانين سنة والباب مفتوح على مصراعيه"[1]وهذا ما وصل بها إلى تحقيق نتائج باهرة في تعليم الكبار والصغار واستقطابهم، وبهذا تكون الزوايا التعليمية من أبرز مؤسسات العلم والتعليم في هذا القطر من الأرض، وأدت ما عليها من أدوار على أتم وجه فكانت "محل إعجاب العام والخاص من علماء المسلمين المترددين عليها"[2] وهذا بالنظر لدورها الهام والفعال الذي تؤديه الزوايا بصفة عامة والتعليمية منها بصفة خاصة في منطقة توات.

2) تعليم اللغة العربية في زوايا توات.

تعتمد زوايا توات على منهج تعليمي كسائر الزوايا في الجزائر وخارجها، وهو منهج يكون في الغالب متصل بالمناهج القديمة فلا نجده قد تغير كثيرا إلا في بعض الجزئيات، فهو لم يخرج شكلا ومضمونا عن سائر المناهج القديمة التي عرفتها الزوايا، ويجدر بنا هنا أن ننوه إلى نقطة هامة وهي أن الزوايا تشترك في المنهج العام إلا أنها تختلف من ناحية طريقة تطبيق المنهج فقد نجد زاوية تعتمد على متن معين في المرحلة الأولى، وأخرى تعتمد على متن مغاير ولكن كلا المتنين يختصان بالمرحلة الاولى، وهذا الأمر موجود حتى الساعة بين زوايا توات، كما أن لزوايا توات جانب آخر يساعدها على تحسن تسيير وتأطير الزاوية وهو الجانب التنظيمي، ويشمل هذا الجانب العديد من الإجراءات تتعلق بتسجيل

1 إرشاد الحائر إلى معرفة قبيلة فلاّن في جنوب الجزائر، ط1، 1433، ص:64.

2 من تاريخ توات أبحاث في التراث، ص:327.

الطلاب الصغار منهم والكبار والمقيمين في الزاوية الذين يأتون من مناطق بعيدة وتسيير أوقاف الزاوية إن وجدت.

1- مرحلة الكُتّاب أو المحضرة.

بعد أن يبلغ الطفل في منطقة توات سن الخامسة في الغالب على حسب إفصاحه يستعد لدخول المدرسة القرآنية والتي تسمى كذلك "(أقربيش) أو المحضرة"[1] وتعرف هذه المرحلة باسم آخر وهي مرحلة الكُتّاب وهو جمع للكتاتيب ويعرف بأنه "عبارة عن حجرة أو حجرتين مجاورة للمسجد، أو بعيدة عنه، أو غرفة في منزل"[2] وكان القصد من بنائها هو تعليم الصغار الكتابة والقراءة وحفظ القرآن الكريم، ويعد الكتّاب "موضع تعلم القراءة والكتابة"[3] وتكون هذا الأماكن في الغالب صغيرة نسبيا، وظهر الكتّاب في إفريقيا منذ دخول الإسلام إليها، فبعد دخول المسلمين الأوائل إلى إفريقيا كان "أول ما أنشؤوا الدور والمساجد، ثم التفتوا إلى تعليم صبيانهم فاتخذوا لهم محلا (كتابا) بسيط البناء يجتمعون فيه لقراءة كلام الله"[4]. وانتشرت عادة بناء الكُتّاب في جميع المناطق التي وصل إليها المسلمون ومن بينها الجنوب الجزائري الذي تقع في توات.

ويتم دخول الطفل إلى الكُتّاب في منطقة توات، وفق طقوس وعادات محددة تتم قبل دخوله فيقام "حفل عظيم يكون فاتحة خير لدخول هذا الصبي للكتاب"[5] ويتم صناعة

---

1 توات والازواد، ص:245.

2 الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900 الى 1977، الطالب عبد الرحمن بن أحمد التيجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص:17.

3 الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما، عبد اللطيف عبد الله بن دهيش، ط1، 1976، النهضة الحديثة، مكة، ص:09.

4 كتاب آداب المعلمين، محمد بن سحنون، ت:حسن حسني هبد الوهاب، الشركة التونسية لفنون الرسم، 1972، ص:33.

5 توات والازواد، ص:245.

مأكولات خاصة بهذا الحفل حيث يتم صناعة "مائدة تشتمل على التمر واللّبن والحريرة والخبز الرقيق المحلى المأدوم بالسمن اللذيذ يدعى لتلك المائدة رجال الحي وفي مقدمتهم تلاميذ المدرسة القرآنية"[1] كما يلبس الجديد من الثياب ويتم تزينه كأنه عريس.

وهذا يظهر أهمية دخول الطفل للكتّاب في منطقة توات ويؤكد على أنه حدث مهم، فهم يستشعرون أهمية هذه الخطوة في حياة أطفالهم لذلك يحتفلون بهم بهذه الطريقة المميزة والتي لها دلالة أخرى تكمن في تحفيز الطفل الصغير وإعطائه دافعا معنويا يجعله يتأقلم مع المجموعة بشكل أسرع ويعطيه هذا الحفل قيمة يستشعرها في نفسه، كما يعتقد أهل توات أن هذا الحفل يطرح البركة والقبول ويجعل الصبي يحب العلم ويرغب فيه، ويرجوا أهل توات من وراء إدخاله للكتّاب في هذه السن المبكرة بأن يحفظ القرآن وهو صغير السن وذلك وهذا يرجع لمعرفتهم "أن التعليم في الصغر أشدُّ رسوخا وهو أصل لما بعده"[2] فجل مشايخ توات يعملون على ترسيخ هذه الفكرة في عقول الناس لكي يعلموا أولادهم القرآن في الصغر.

كما يتم في الحفل القيام بأمر مهم يتمثل فيه تقديم لوح الطفل للمعلم الذي سيشرف على تعليمه فيكتب هذا الأخير فيه "بعد البسملة الآيات الأخيرة من سورة الإسراء ﴿ قُلُ ادْعُوا اللَّهَ أَوُ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ﴾[3] وهو تفاؤل حسن لأن تلك الآيات كما نعلم تدعوا إلا عبادة الله تعالى"[4] ويتضح لنا من خلال هذه الاحتفالية مدى تمسك سكان المنطقة بكتاب الله تعالى وتعلقهم به واعتقادهم في كلام الله على أنه مفتاح الخير كله وأن أي عمل لا يتم فيه ذكر اسم الله فهو مبتور غير كامل وهذا ما دلّ عليه الأثر، وبعد أن يُتم معلمه كتابة الآيات السابق ذكرها من أواخر سورة الإسراء "يكتب بعدها الحروف الهجائية: أ، ب، ت، ث، ثم

1 الرحلة العلية إلى منطقة توات، ص:293/1.

2 مقدمة ابن خلدون، ص:740.

3 سورة الإسراء، الآية:110.

4 الرحلة العلية إلى منطقة توات، ص:293/1.

يُناول الحاضرين اللوح ليكتب كل منهم حرف من الحروف الهجائية"[1] وهذا من أجل أخذ بركاتهم، كما يدعون له بالصلاح والنفع، ويتم تعليم الصبيان في الكتاتيب على مراحل عديدة.

عندما يلتحق الصبي بالمدرسة القرآنية أو المحضرة (الكتّاب) والذي غالبا ما يكون في القصر الذي يسكن فيه، يشرع المعلم في تعليمه الحروف والكتابة ويكون ذلك عن طريق التلقين وتسمى هذه المرحلة المحاكاة " حيث يكتب الشيخ بقلم الرصاص على لوح الطفل ويأمر الطفل بتتبع كتابته وهكذا يتعلم الطفل كيفية تشكل الحروف ويتعود كيف يمسك القلم لتتمرن أصابعه ويده على الكتابة والخط"[2] فتكون هذه الخطوات هي الأولى له في طريق التعلم داخل الكتّاب.

يظهر لنا بأن طريقة التعليم في المدارس القرآنية للحروف والكتابة لا تختلف كثيرا عن المدارس النظامية، تختلف الوسائل إلا أن طريقة المحاكاة تقريبا هي نفسها، فما يقوم به الشيخ في الكتاب من رسم على اللوح بخط رقيق غير واضح بواسطة قلم الرصاص، يقوم الأستاذ في المدرسة بنفس الطريقة بحيث يعمد إلى وضع نقاط على الكراس ويتتبعها التلميذ بالربط بينها لتشكيل الأعداد والحروف، مع العلم أن هذه العملية لم يعد يقوم بها الأستاذ بل أصبح مرافقا فقط لأن كراس الخط الحديث يأتي منقوطا من المطبعة والأستاذ فقط يوجه ويرافق التلاميذ.

وإذا ما حللّنا الأمر من الناحية النفسية نجد أن طريقة الزاوية في تعليم الحروف لها جوانب حسنة، لأنها تخلق نوعا من العلاقة الأبوية بين الصبي ومعلمه، فقيام المعلم برسم

1 المصدر السابق، ص:293.

2 توات والأزواد، ص:246.

الخطوط على اللوح بيده للمتعلم ينمي العلاقة بينهما ويجعلها أكثر متانة لأن الطفل في هذا السن يحتاج إلى المرافقة فهي مرحلة حساسة جدا يتحدد المسار الدراسي للمتعلم من خلالها.

وبعد أن يتم المتعلم حفظ الحروف وإتقان القراءة تأتي مرحلة ثانية ضمن المرحلة الأولى "يتعلم فيها النقل فيأتي بطبق مملوء بالتراب ويجلس إلى الشيخ الذي يكتب عليه الآيات لينقلها على لوحته"[1] وهذه طريقة من الطرق، كما قد يعمد المعلم إلا أن "يكتب له أسفل اللوحة الآيات ثم يأمره بنقلها"[2] مباشرة دون الحاجة للتراب أو الرمل.

ويكتب الطلّاب على ألواحهم "من جهة اليمين بسم الله الرحمن الرحيم وفي وسطه عبارة : وبالله الإعانة والتوفيق، اللهم يسر ولا تعسر"[3] وفي هذه المرحلة يبدأ الصبي يتعلم النقل، وهي تكملة لمرحلة المحاكاة، ويتم في هذه المرحلة دراسة وحفظ القرآن الكريم ومعه مجموعة من المتون بحيث "يكتب الشيخ للطالب المتون الصغرى أسفل اللوحة"[4] وهناك عادة مرتبطة بهذه المرحلة، "إذا حفظ الولد فاتحة الكتاب والمعوذتين وكتب في لوحه سورة الإخلاص التي يكتبها الطالب بنفسه ويرسم له فيها رسوما تسمى الزواقة، فيفرح الصبي غاية الفرح ينال على ذلك دنانير ويلبس من ثيابه الحسن"[5] وهذه العادة هي بمثابة مكافأة للصبي على حفظه وفي نفس الوقت هي تحفيز له ولأقرانه من أجل التنافس في التعلم، وهي عادة لم تكن مقتصرة على الزوايا بل كانت حاضرة حتى في المدارس الابتدائية حيث يعمد المعلم على طبع رسومات على كراس التلميذ الذي يتحصل على تقيم جيد، ولم تعد موجودة في المدارس، فلهذه العادة بالمنظور النفسي جانب إجابي يعود على نفسية الطالب بالكثير بل هو من بين أهم الركائز الأساسية التي يقوم عليها التعلم بواسطة التحفيز.

1 المرجع السابق، ص:246.

2 الرحلة العلية إلى منطقة توات، ص:294/1.

3 النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص:30.

4 توات والأزواد، ص:245.

5 النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص:31.

أما فيما يخص الشطر اللغوي من مرحلة التعليم في المدرسة القرآنية، فقد تم الاعتناء به وهذا بتخصص بعض المتون التي تتميز بالبساطة والسهولة فهي سهلة الحفظ، عذبة الألفاظ، بسيطة المعاني، تشتمل على فوائد عديدة، وتلي هذه المرحلة مرحلة ثالثة يطلق عليها مرحلة الفتوى وهي مرحلة الإملاء فبعد أن يصبح متقنا للخط خبيرا بالكتابة يملي "الشيخ للطالب الآيات المراد كتابتها على اللوحة ويتابعه شيئا فشيئا حتى يكتب الطفل لوحته"[1] وبعد أن يكمل الطفل الكتابة على اللوح ويشكل جميع ما كتبه يأتي الدور على المعلم من جديد من أجل مراجعتها.

وتتنوع المتون التي يتم تدريسها في زوايا توات فمنها ما هو متعلق بالجانب الديني كمتون العقيدة والفقه والتوحيد مثل "ابن عاشر، العبقري، الأوجلي"[2] وتعتبر هذه المتون بمثابة اللبنة الأولى التي يبني عليها المتعلم المسائل المتعلقة بالجانب الفقهي والعقدي، أما فيما يخص اللغة العربية فنجد المتعلم يتلقف مجموعة من المتون المتعلقة بالنحو والصرف والبلاغة على غرار "كتب الآجرومية، وملحة الإعراب والأزهرية"[3] وجميعها مخصص لهذه الفترة وهذا لأنها مناسبة لهذه المرحلة العمرية.

ونجد أحد أكبر المعلمين في منطقة توات الشيخ محمد باي بلعالم يصف الآجرومية فيقول فيها "هي أجمل ما ألف في هذا الشأن لاشتمالها على القواعد النحوية وسهولتها وعذوبة ألفاظها"[4] فاختيار المتون في زوايا توات لم يكن يخضع للصدفة والعشوائية بل كان الأمر يتماشى والمنطق العقلي يراعى فيه التدرج في التعليم كما يقول ابن خلدون في مقدمته عن تلقين العلوم "إنما يكون مفيدا إذا كان على التدريج شيئا فشيئا وقليلا قليلا يلقى عليه أولا

1 الزوايا والصوفية والعزابة، ص:246.

2 توات والأزواد، ص:45.

3 الزوايا والصوفية والعزابة، ص:66.

4 الرحلة العلية إلى منطقة توات، ص:304/1.

مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب. ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال ويراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن"[1] وهذا المنهج نجده حاضرا في تعليم اللغة العربية في زوايا توات، بحيث لم يغفل المشايخ والمعلمون في زوايا المنطقة على هذه النقطة الحساسة فجعلوا لكل مرحلة ما يتناسب معها وهذا بناء على مدركات عقل المتعلم وقدرته على الفهم والاستيعاب، فنجد أن هذه المتون تقدم للمتعلم الأصول الأولية للعلوم اللغوية دون تعقيد أو تعجيز، يجعل المتعلم يستشعر الصعوبة فينفر من الدرس ويشعر بالملل والتعقيد.

ويرافق التعليم في توات مجموعة من العادات التحفيزية نجدها تتكرر مع كل مرحلة من مراحل التعليم في الزوايا التواتية، فهناك محطات خاصة كلما وصل المتعلم إلى إحداها يقام له حفل فيكون "أكبر منشط للطلبة على بذل العناية بالقراءة"[2] وهكذا حتى يصل إلى المحطة الأخيرة وهي حفظ القرآن كاملا فيكون هناك حفل له "حيث يلبسونه أحسن الثياب كالعريس ويكتب له في اللوح الثمن الأخير من سورة البقرة يكتب كل فقيه أو شيخ من الحاضرين آية حتى آخر السورة"[3] ، كل هذه العادات والتقاليد المرتبطة بتعليم القرآن الكريم في توات لها من الفوائد التعليمية الكثير تعود على نفسية المتعلم وعلى المحيطين به من أقرانه وتساهم في جعل الجو أكثر تنافسية، وهناك الكثير من الدراسات العلمية الحديثة التي تعطي التحفيز دورا كبيرا في إنجاح عملية التعليم والتعلم.

1 مقدمة ابن خلدون، ص:734.

2 الرحلة العلية إلى منطقة توات، ص:294/1.

3 النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص:32.

2- مرحلة الدخول إلى الزاوية.

إن اليوم الذي يلتحق فيه الطالب بالزاوية في توات هو يوم احتفال وبركة، وكما سبق الذكر كلما تقدم الطالب في تعليمه وانتقل من مرحلة لأخرى رافق ذلك احتفال يتناسب مع المرحلة التي وصل إليها فبعد "أن يحفظ الطاب القرآن العظيم في المدرسة القرآنية يلتحق بالمدرسة الدينية لتلقي العلوم"[1] وهذا على حسب رغبته فالانتقال إلى الزاوية قرار يعود في نهاية المطاف للمتعلم، فإن "بدت منه الرغبة في العلم، وظهرت منه النجابة في التحصيل، ساقه المعلم إلى الزاوية الأم كي يغرف من شيوخها ويدرس عندهم في مجالسهم"[2] ولا ينتقل الطالب لهذه المرحلة إلا بعد أن يكون قد حفظ القرآن حفظا تاما وعن ظهر قلب، ويتم التعليم في هذه المرحلة في "الزوايا الكبرى والمشهورة مثل تنيلان، تمنطيط، ملوكة، زاوية كنته"[3] فهذه الزوايا كانت ولازالت من بين أهم وأبرز الزوايا التي تشد إليها الرحال لطلب العلم والمعرفة.

ويجدر بنا الذكر أن الزاوية لا يُشترط فيها سنٌّ محدَّدٌ بل أبوابها مفتوحة حتى لكبار السن الذين بلغ بهم العمر الثمانين، فالزاوية "تستقبل كل من يرد عليها من جميع المستويات الثقافية والفئات العمرية والجنسية والاجتماعية تستقبل المبتدئ كما تستقبل العالم فتجدد له معارفه وتوسعها وتعمقها ويرتادها الطفل والشيخ والمرأة والفقير والميسور"[4] وهنا يكمن سر قوة الزاوية وسلطتها التي تتمتع بها في المجتمع التواتي، فهي لا تغلق أبوابها في وجه أحد وتستقبل الجميع لأن غايتها التعليمية لا تقتصر على العلوم اللغوية والمعارف الدنيوية، بل

1 الرحلة العلية إلى منطقة توات، ص:349/1.

2 النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص:48.

3 مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، ص:189.

4 توات والأزواد، ص:250.

تهتم أكثر بتعليم الناس تعاليم الدين وتعريفهم بالأحكام الشرعية، فكان لزاما عليها أن تسهل من طريقة الدخول إليها.

والتعليم في الزاوية يختلف عن التعليم في الكتّاب، سواء من ناحية البرنامج أو المواد المقررة "في هذه المرحلة يكون التعليم أكثر تخصصا وانضباطا"[1] بحيث تكون المواد متشعبة ومتون تدريسها أعقد وأصعب، وفي الغالب "يتولى مهمة التدريس فيها فقيه الزاوية فهو الأساس في تدريس الطلبة"[2] ويشترط فيه أن يكون متبحرا في علوم الدين واللغة، له من القدرات المعرفية والعلمية ما يمكنه من تعليم جملة من الفنون والعلوم لطلبته، وقد ذكر هذه الخصائص أحمد توفيق المدني في كتابه –كتاب الجزائر– فقال "أما التعليم الثانوي والعالي فكانا بالمساجد والزوايا يتولاه شيوخ من المشهود لهم بالعلم والدراية والنزاهة"[3] ويتم التدريس "في صحن الزاوية أو المسجد"[4] حيث يقوم الطلبة بصنع حلقة حول الشيخ والالتفاف حوله لتلقي العلم، وسوف نتحدث في الفصول القادمة عن طريق التعليم بالحلقات إيجابا وسلبا.

أوقات التعليم في الزاوية: يتخير شيوخ الزوايا الأوقات المناسبة للتعليم وهي الأوقات التي يكون فيه الذهن صافياً وخالياً من كل ما يكدّرُهُ أو يشغلهُ لهذا كانت عادات الزوايا في توات هي فتح أبوابها "بعد صلاة الصبح وتشغيل الفترة الصباحية في حفظ الألواح وتلاوة القرآن وحفظ المتون"[5] وتعد هذه الفترة الذهبية للحفظ والتعلم، ونجد الكثير من العلماء يتخيرون هذه الفترة لما لها من خصوصيات سواء من الناحية الطبيعية بحيث تتميز بكونها فترة تكون فيها درجة الحرارة منخفضة خاصة إذا كنا نتكلم عن منطقة مثل توات كما يضاف لذلك الجو الذي يبعث في النفس الانتعاش والسرور مما يحفزها أكثر للاشتغال والجد في

1 مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، ص:190.

2 توات والأزواد، ص:246.

3 كتاب الجزائر، أحمد توفيق المدني، المطبعة العربية، ط1، الجزائر، 1350هـ، ص:304.

4 النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص:48.

5 توات والأزواد، ص:250.

الطلب، كما تتميز هذه الفترة كذلك بكون العقل البشري يكون شبه صافي وخالي من كل الشواغل ويكون المتعلم في هذا الوقت قد نال فترة راحة كافية خلال الليل من خلال النوم.

ونجد أن الزوايا في توات تستثمر في هذه الفترة أكثر من غيرها، ولكن حلقات التعليم تستمر من "صلاة الصبح الى زوال الشمس"[1] بحيث يتم عقد حلقات التعليم خلال فترات منتظمة من النهار، وقد تختلف من زاوية لأخرى فهناك من المعلمين من كان "يلقي دروسه ثلاث مرات في اليوم الواحد، كما أن بعضهم كان يلقيها في الصباح فقط، أو بعد الظهر، أو مرتين في النهار، وقد لا ينقطع بعض المدرسين عن التدريس طوال النهار"[2] وتعد الفترة الصباحية هي الفترة المتفق عليها تقريبا بحيث تحرص كل الزوايا في توات على تقديم الدروس للطلبة في هذه الفترة، ويستمر التعليم على هذا النحو بقية أيام الأسبوع إلا "يومي الخميس والجمعة يتوقف الطلبة عن القراءة فيها"[3] باعتبارهما يومي عطلة وهذه سنة قد عمل بها الذين سبقوهم بل هي ممتدة الى عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

يتلقَّى المتعلّم في الزوايا التواتية العديد من العلوم التي تتعلق بالجانب الديني سواء ما تعلق بالقرآن والقراءات أو ما تعلق بالفقه والتوحيد والتصوف، والجانب اللغوي، فبعد أن يتم الطالب مرحلة الكُتّاب وينتقل للزاوية يجد في مناهجها العديد من المتون المتعلقة بفقه اللغة والنحو والصرف والبلاغة والعروض على غرار "متن الأجرومية وملحة الإعراب للحريري، وألفية ولامية الأفعال لابن مالك"[4] ويتم تعليم هذه المتون للطلبة بتوزيع منتظم وبالتدرج شيئا فشيئا، ويظهر منهج زوايا توات في التعليم من خلال تقسيم التعليم في الزوايا الى مراحل كل مرحلة لها ما يخصها من المواد والمتون.

1 النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص:49.

2 الزوايا والصوفية والعزابة، ص:66.

3 الرحلة العلية إلى منطقة توات، ص:296/1.

4 مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، ص:119.

3- المنهج التعليمي في زوايا توات.

إن طريقة التعليم في زوايا توات لا تختلف كثيرا عن زوايا المغرب بصفة عامة، فهي تتبع تقريبا نفس المنهج، ولا تختلف عن بعضها إلا في بعض الجزئيات التي تفرضها أحيانا البيئة والظروف، حيث يكون أول ما يتعلمه الولد هو القرآن الكريم لأنه "أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعدُ من الملكات"[1] ويكون أول ما يكون في الكتّاب كما سبق الذكر، وفي هذا يقول ابن خلدون "فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المُدارسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب"[2] وهذه الطريقة لا تزال ممتدة ومعمولا بها في منطقة توات فلا ينتقل الطالب للزاوية إلا بعد أن يتم حفظ القرآن وختمه واستظهاره، ويتمكن كذلك من الكتابة والقراءة بشكل جيد، وينال بعد ذلك إجازة من عند الشيخ أو المعلم الذي درّسه في الكتّاب، ولا ينتقل الى الزاوية إلا بإذنه.

وبعد أن يلتحق الطالب بالزاوية ويصبح فردا منها يكون في مقدوره الجلوس في الحلقات التي يترأسها شيخ الزاوية في الغالب أو من يتولى التدريس بها، وتكون على شكل "حلقات تامة أو نصف دائرية"[3] والطالب غير مجبر على علم من العلوم بل له الحرية في أن يدرس ما يشاء سواء فيما تعلق بعلوم القرآن أو علوم اللغة العربية أو غيرها من العلوم التي يتم تدريسها في الزاوية، وكما يحق له كذلك أن يغير المدرس فله الحق أن "يقرر الاستمرار مع الشيخ المدرس أو الانتقال إلى مدرس آخر، أو حتى إلى زاوية أخرى"[4] وهذا الأمر منوط بالطالب لأن المدرسين يختلفون في شرحهم وإمكانياتهم المعرفية والتعليمية.

---

1 مقدمة ابن خلدون، ص:740.

2 المصدر نفسه، ص:740.

3 الزوايا والصوفية والعزابة، ص:63.

4 المرجع نفسه، ص:67.

أما من ناحية المنهج التعليمي المتبع في زوايا توات فإنه منهج متصل بالمناهج القديمة "الذي كان يعتمد إجمالا على التلقين والحفظ، ولا سيما في تعليم القرآن، وكان الحفظ في الواقع من أهم شروط العلم عند المسلمين"[1] وكثير ما نجد هذا المنهج في التعليم في كتب الأولين وفي الغالب يتم التركيز على جانب الحفظ فكان يقال "أول العلم الصمت والثاني الاستماع، والثالث الحفظ، والرابع العقل، والخامس نشره"[2] فهو "مستمد من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وهو منهج إسلامي محض"[3] ومنه يمكن أن نفسر السبب وراء جعل حفظ القرآن أساسا من أساسيات التعليم في زوايا توات، بل هو الركيزة الأساسية "فقد ظلت العلوم الشرعية وعلوم اللغة مادتين أساسيتين في الحركة الفكرية"[4] في منطقة توات، لذلك يعد التخلي عن حفظ القرآن الكريم في المجتمع التواتي بمثابة مؤشر يدل على أن ذلك الشخص سينقطع عن طلب العلم، فكل العلوم التي تعلمها زوايا توات في الأساس مرتبطة بالقرآن الكريم، لهذا نجد أن المنهج الذي تتبعه زوايا توات في التعليم يخدم القرآن بطريقة مباشرة سواء من ناحية المواد التي تدرس أو طريقة التدريس، فالكل في نهاية المطاف يصب في صالح القرآن الكريم.

أما من الناحية التطبيقية لهذا المنهج فنجد أن زوايا توات تفرق بين المتعلمين على حسب مستوياتهم، فهم "يتلقون دروسهم وواجباتهم العلمية بحسب كل صنف من الرواد، فنجد أولا صنف المبتدئين، ثم صنف المتوسطين، ثم صنف الخاصة،"[5] ويتم التعامل مع كل صنف من هذه الأصناف بطريقة معينة فما يدرس للمبتدئين يختلف عن الصنف الثاني

1 التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى اوائل القرن العشرين، عبد الله عبد الدائم، دار العلم للملاين، ط05، 1984، بيروت، لبنان، ص:185.

2 عيون الأخبار، أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الكتب المصرية، ط2، 1996، القاهرة، مصر، ص:122/5.

3 مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، ص:116.

4 توات والأزواد، ص:253.

5 من تاريخ توات أبحاث في التراث، ص:342.

شكلا ومضمونا فالبداية تكون بما هو سهل من المتون والشروح وهكذا يتدرج الأمر إلى أن يصل المتعلم إلى المستويات الأعلى .

فبعد أن يتوجه الطالب للزاوية يبدأ بحفظ المتون الفقهية واللغوية وغيرها، وتُولي الزاوية أهمية كبيرة للغة العربية، فهي لغة القرآن ولا يستوي فهم وتبيان النص القرآني إلا من خلال معرفة أسرار وقواعد اللغة التي أنزل بها وهذا منطق الأولين ولا يقتصر على زوايا توات، فالنظر "في القرآن والحديث لا بد أن تتقدمه العلوم اللسانية لأنه متوقف عليها"[1] فهي المفتاح الذي به يفتح باب معاني القرآن وأحكامه، لهذا تركز زوايا توات على هذا الجانب، "فقد درس الطلاب كل ما يتعلق بها من مؤلفات"[2] بداية من نظم الأجرومية، والتي تعد مقدمة في فهم المبادئ الأساسية للغة العربية ويقول الشيخ باي بلعالم في وصفها "هي أجمل ما ألف في هذا الشأن لاشتمالها على القواعد النحوية وسهولتها وعذوبة ألفاظها"[3] فهي أول ما يبدأ به المتعلم لما لها من خصائص تجعلها أول المراتب في طلب علم النحو، ولها عديد الشروح من بينها شرح باي بلعالم الذي سماه الرحيق المختوم على نزهة الحلوم، وشرح لمحمد محي الدين عبد الحميد المسمى التحفة السنية بشرح الأجرومية.

بعد اتمام المتعلم للأجرومية يتدرج بالتدريج شيئا فشيئا مع باقي المتون ومن بينها "الملحة للحريري، قطر الندى وبل الصدى، الألفية لابن مالك، لامية الأفعال،"[4] وهذا المنهج في التدرج نجده تقريبا في كل زوايا المغرب العربي ولا يقتصر الأمر على زوايا توات، ها هو الشيخ أبي حفص عمر الأكبر بن عبد القادر التنيلاني التواتي يشرح كيف تدرج في طلب تعلم اللغة وعلومها في مختلف زوايا المغرب العربي بدأ بزاوية فاس بالمغرب فيقول "ثم

1 مقدمة ابن خلدون، ص:550.

2 توات والأزواد، ص:254.

3 الرحلة العلية إلى منطقة توات، ص:304.

4 المصدر نفسه، ص:309.

توجهت للعربية، فقرأت مقدمة ابن آجروم، على الأديب سيدي محمد العربي... وقرأتها أيضا قراءة بحث وتحقيق، على الأستاذ النحوي سيدي أحمد الساقط بشرحها... وقرأت ألفية ابن مالك، على جماعة من الأئمة... وقرأت شيئا من توضيح ابن هاشم على ألفية ابن مالك،... وقرأت لامية الأفعال على الأستاذ سيدي أحمد السقاط، وقرأت، جمل المجراد[1]،... وقرأت شيئا من المغني اللبيب لابن هشام،... وحضرت شيئا من التسهيل،... وقرأت الخزرجية في علم العروض،... وأخذت علم المعاني والبيان عن العلامة سيدي محمد بن عبد السلام بناتي،... وقرأت عليه تلخيص المفتاح مرتين،"[2] وهذا يعطينا لمحة عن الكيفية التي كان يتم من خلالها التعليم في الزوايا المغاربية بصفة عامة، ولا تختلف توات عنها في شيء إلا ما كان من قبيل الظروف وخصوصية المنطقة.

كما أن زوايا توات لا تهتم فقط بتدريس النحو العربي بل تهتم بكل ماله علاقة باللغة والأدب فهي تدرس "دواوين الشعر، النحو، الصرف، العروض والقوافي، البلاغة: المعاني والبديع والبيان،"[3] بل نجد الزوايا في توات تحرص أشد الحرص على الجانب الأخلاقي ولا تكتفي بالجانب العلمي فقط، فهي تدرس بعض المتون المتعلقة بالتربية وتهذيب سلوك المتعلم "مثل هدية الألباب في جواهر الآداب للشيخ حسن الجسر المصري (ت 1327هـ/1909م)، والتي يحفظها الطلاب ويرددونها في مجالسهم"[4] ونجد الشيوخ لا يتساهلون في هذا الجانب بالمطلق فأي مخالفة لنظام العام للزاوية، قد توصل الطالب إلى الطرد نهائي من الزاوية.

1 اللامية المجرادية في إعراب الجمل لمحمد بن محمد بن محمد بن عمران الفزراري، السلاوي، المعروف بابن المجرادي أو عبد الله، توفي سنة 778هـ، من ذخائر التراث المغاربي، ت: مصطفى ضيف، محفوظ بوكراع، ص:163.

2 المصدر نفسه، ص:162-163.

3 توات والأزواد، ص:259.

4 مقالات وأبحاث في تاريخ وتراث منطقة توات، ص:119.

وكل هذه العلوم يتم تعلمها في الزاوية من خلال شيخ فهو "يعد المحور الأساسي للعملية التعليمية التعلمية، فجميع العلوم يجب أن تؤخذ عنه"[1] ولهذا يمكن أن نقول بأن مرتكز العملية التعليمية التعلمية في توات هو المدرس أو الشيخ فهو أساس العملية وعليه ينبني كل شيء فيقع على عاتقه الشرح والتحليل والتركيب، ونصح الطالب "بكيفية القراءة، وبالكتب التي عليه أن يدرسها، وبطريقة تحضير الدرس، وبالمتون التي عليه حفظها، ونحو ذلك مما له علاقة ببرنامج التدريس"[2] فكل هذا يعد من عمل المعلم.

وهذا الأمر من بين سلبيات التعليم في هذا المنهج وهذا بالنظر لاحتكار المعلم للمشهد التعليمي لوحده فيصبح بهذا المتلقي مجرد مستقبل ومستهلك للمعرفة ولا يدخل في صناعتها، حتى أنه "لا يسمح للطلبة بالأخذ من الكتب مباشرة دون إذن أو ترخيص من الشيخ"[3] وقد يستساغ هذا الأمر في مرحلة معينة حيث يكون عقل المتعلم غير قادر على فهم المعارف من بطون الكتب مباشرة، بالإضافة إلى وجود نقطة مهمة في هذا الأمر، وهي كون الزوايا تهتم بالدراسات القرآنية ربما يستساغ الأمر من هذا الجانب وذلك لكي لا يخلط المتعلم بين المذاهب العقائدية والمذاهب الفقهية، لهذا يمنع ذلك لأجل الحفاظ على وحدة الاعتقاد والمذهب الفقهي، ولهذا بعض المؤلفات التواتية "لم يظهر عليها إبداع متميز من حيث الموضوع في أسباب العرض والتحليل"[4] وهذا ناتج عن خشية من الخروج عن المذهب السائد والنظام العام، فكان من الحتمية أن يكون المنهج التعليمي في توات يعطي لدور المعلم كل تلك السلطة والمحورية، ولكن بالرغم من هذا إلا أننا نجد أن العلاقة التي تربط الشيخ بطلابه في الغالب علاقة متينة تتميز بالمودة والمحبة "لدرجة أنها أحيانا تغير مجرى

1 المرجع السابق، ص:117.

2 تاريخ الجزائر، ص:344.

3 مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، ص:117.

4 توات والأزواد، ص:253.

حياة الطالب وتؤثر على مستقبله"[1] وهذه العلاقة تكون بالأساس مستمدة من الجانب النفسي والروحي لأن الطالب ينزل شيخه منزلة التقدير والاحترام .

وتعد طريقة التلقين هي الأنسب لمثل هكذا منهج وفي الغالب تكون "الدراسة على شكل حلقات علمية متصلة ومتسلسلة أو ما يعرف بـ(الوقفات) [2]، يلقي خلالها الشيخ الدرس"[3] ويكون الشيخ مسيطر على المشهد في العملية التعليمية التعلمية، لهذا تكون "ميزة الدروس التي تلقى في الزوايا من نوع الشروح والأمالي"[4] حيث يبدأ أحد الطلاب بقراءة المتن أو جزء منه على الشيخ، من ثم يبدأ هذا الأخير بالشرح والتحليل واستظهار المسائل المتعلقة بالموضوع الذي يعالجه المتن ويشترط على المتعلم أن يحفظ المتن جيدا حتى يتسن للمدرس بأن يشرح له المتون التي يريد حفظها "بيتا بيتا وكلمة كلمة حتى يوقفه على معانيها ويطلعه على أسرارها"[5]، ويسوق لها الشواهد ارتجالا وهذه ميزة في مشايخ الزوايا بحيث يعرف عنهم التوسع في المسائل والتمكن من أصولها وفروعها، فمثلا "إذا كان في وقفة في ألفية ابن مالك، فإن الشيخ يشرح معاني البيت ويبين المراد منه ويوضح المقصود، ثم بعد ذلك يورد الشواهد المتعلقة بالبيت، ويبين الخلاف في المسألة إن وجد"[6] وهذا كله على "حسب عقولهم وإدراكهم ومستوياتهم"[7] فلا يجاوز الحد المطلوب في الشرح ولا في جلب الشواهد والأمثلة اللغوية بل يقدم لكل فئة ما تستلزمه المرحلة العمرية والمستوى الذي يكون فيه الطالب.

---

1 تاريخ الجزائر، ص:344-345.

2 هي ما يقف عنده الشيخ في الدرس ليكمله في درس الغد، وقد يكلف أحد الطلبة بتذكيره بمكان التوقف في المتن أو التفسير ..الخ لغاية إتمام الكتاب أو الدرس.

3 مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، ص:116.

4 الزوايا والصوفية والعزابة، ص:67.

5 الرحلة العلية إلى منطقة توات، ص:349.

6 ينظر، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص:49.

7 الرحلة العلية إلى منطقة توات، ص:305.

وبعدها تتاح الفرصة لطرح الأسئلة فتبدأ "المناقشة بين الشيخ وطلابه"[1] وهذا من الأمور المعمول بها، ولعل الجانب السلبي هنا هو عدم إعطاء فرصة للطلبة للتحاور والمناقشة فيما بينهم، فمباشرة بعد طرح المشكل أو الاستفسار يعمد الشيخ إلى الإجابة وهذا مما يعاب على منهج التعليم في الزوايا بصفة عامة، وحين يجيب الشيخ الطلبة على ما أشكل عليهم "وأثناء ذلك يقيد الطلبة الشروح التي يعطيها الشيخ كجواب على ما يستفسرون عليه"[2] وهذا ما يفسر الكم الهائل من الشروح التي تعرف بها المنطقة فلا يوجد كتاب أو متن إلا وعليه عديد الشروح والحواشي، فالكثير منها جاء عن طريق تقييد شروح المشايخ وما يملونه على الطلبة خاصة إذا كان الشيخ "المدرس واسع العلم غير مقيد بالمنقول والمسموع من المسائل"[3]، وهذا ما يثري الدرس ويبعده عن الرتابة والتكرار الممل، ويحفز الطلبة أكثر على الانتباه والحفظ.

نجد الطلاب كما سبق الذكر يتنقلون من شيخ لشيخ آخر، ومن زاوية لزاوية أخرى، وهذا على حسب الشيخ الذي يدرس فيها فكل واحد منهم يحرص على تلقف العلوم من عند الشيخ الأكثر علما فيهم، فالفرق بينهم "في نظر الطالب، بالإضافة إلى العامل النفسي، هو سيطرة المدرس على مادته ومدى حفظه لها ولفروعها، وفصاحة لسانه وقوة شخصيته وإخلاصه في مهنته"[4] وهذا ما يفسر تفاوت عدد الطلاب في بعض الزوايا رغم المسافة القصيرة بينهما فالسبب في الأساس يعود لمدرس الزاوية.

ويحرص أهالي توات على إدخال أبنائهم إلى الزاوية التي يكون فيها شيخ معروف بعلمه وأخلاقه العالية وحسن تدينه، وكل هذا من أجل أن يقتدي أبناؤهم بالشيخ، بل كثيرا ما

1 توات والأزواد، ص:248.

2 المرجع نفسه، ص:284.

3 الزوايا والصوفية والعزابة، ص:67.

4 تاريخ الجزائر الثقافي، ص:344.

يسمون أبناءهم على بعض المشايخ من أجل البركة وطمعا في أن يقتفي الابن طريق الشيخ، ويعرف هذا في النظريات التعليمية بالتعليم بواسطة القدوة وهي طريقة قديمة بل هي من أقدم الطرق تقريبا، فكثيرا ما كان الله يرسل الأنبياء والرسل ليكونوا قدوة للنّاس يقول عزّ وجل في حق نبينا محمد صلى الله وعليه وسلم مخاطبا قومه ومن جاء من بعدهم من أمته ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿21﴾ ﴾ [1] وتكون هذه الطريقة ناجعة إذا كان المقتدى به على قدر من الأخلاق والمعرفة والدراية وهو منهج النبوة، وهذا كثيرا ما نلمسه في حياتنا العلمية فنجد الطلاب غالبا ما يحبون هذا النوع من المعلمين، فهذه الرغبة في الاقتداء بمن هو أحسن، نجدها حاضرة في نوازع النفوس عند طلاب منطقة توات.

3) مميزات المعلّم التواتي.

كما يوجد في المداس النظامية والجامعات والمعاهد ميزات للمدرس الناجح يوجد هذا الأمر في الزوايا كذلك، فينظر إلى أن "ميزة المدرس الناجح هي الخوض في الجزئية الواحدة عدة مرات ومن عدة وجوه، وكلما أطال الشيخ المدرس في المسألة وتشعب وأفاض فيها، كان ذلك من دلائل نجاحه وغزارة علمه"[2] فالشيخ في توات قد يمكث في المسألة الواحدة في بعض الأحيان ساعات أو أيام وهو يفصل فيها ويحشد لها من الدلائل والحجج والشواهد كل ما هو مرتبط بالمسألة، كما يحرص مشايخ توات بعد كل درس على فتح باب "الأسئلة والمناقشات للطلبة"[3] وهذا مما يعطي انطباعا جيدا حول الشيخ ومنهجه في التدريس، فيشيع أمره وينتشر خبره في كامل منطقة توات وحتى خارجها، فالزوايا في توات

1 سورة الأحزاب، الآية 21.

2 تاريخ الجزائر الثقافي، ص:345.

3 مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، ص:116.

تستقبل الطلاب من مختلف مناطق الجزائر، ويحرص الطالب القادم دائما على السؤال عن أحسن شيخ وعن طريقته في التدريس ومكانته بين المشايخ.

ومن المميزات كذلك التي تجعل من المعلم يبلغ منزلة في نفوس طلابه هي "الحفظ والرواية. فالمدرس الكفء (والعالم عموما) هو الحافظ لعدة علوم مع أسانيدها، وليس المراد حفظ المتون ونحوها بل حفظ بعض الكتب كاملة"[1] وهذا من المشهور في مشايخ توات فالكثير منهم يحفظ جملة من الكتب بأكملها خاصة الفقهية منها "كشرح خليل والرسالة وابن الحاجب"[2] وهذه الميزة موجودة إلى يومنا هذا ويتوارثها الطلاب وإن قلت لأسباب كثيرة منها انقطاع عديد الطلاب عن الدراسة في وقت مبكر لاشتغالهم بجوانب أخرى من الحياة كالعمل والدراسة في الجامعات، وعلى العموم فإن الحافظة عند أهل هذا الزمان لم تعد كما كانت قديما.

كما أنه توجد علامة فارقة في مشايخ ومعلمي توات تجعل الكثير منهم يخرج من دائرة التخصص الضيق إلى رحاب التبحر في شتى العلوم ولهذا يعد "الجمع بين عدة علوم أيضاً من الميزات الهامة في الأستاذ الكفء"[3] فالكثير من مشايخ الزوايا في توات نجدهم يدرسون عديد العلوم، فيجمعون بين علوم الشريعة وعلوم اللغة وغيرها كعلم التاريخ والأنساب والحساب، فالكثير منهم "لم يكونوا يلتزمون بالتوفيق عند مادة بعينها بل أنهم كانوا يتصدون غالباً لتدريس مواد عديدة ولكنهم لا يدرسون إلا المواد التي كانوا قد أتقنوها وأجيزوا فيها"[4]، ومما يعاب على منهج الزوايا في هذه الجزئية، هو تعمد بعض المشايخ إلى الخلط بين علمين في نفس الوقت فبينما هو في درس الفقه ينتقل بالطلبة إلى النحو، وقد لا يكون

1 تاريخ الجزائر الثقافي، ص:346.

2 المرجع نفسه، ص:346.

3 المرجع السابق، ص:346.

4 توات والأزواد، ص:248.

الأمر مشينا إذا لم يطل الشيخ واكتفى ببعض التلميحات فقط، بل قد يكون سببا من أسباب انتباه الطلاب وشدهم للدرس، وأما إن استرسل في العلم الثاني مطولا فقط يعيب هذا الصنيع درسه ويشتت انتباه المتعلمين وفي هذا يقول بن خلدون "ومن المذاهب الجميلة والطرق الواجبة في التعليم أن لا يخلط على المتعلم علمان معاً فإنه حينئذٍ قلّ أن يظفر بواحد منهما لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منها إلى تفهم الآخر"[1] وهذا إذا استرسل المعلم في شرح العلم الثاني وأكثر من الخروج والدخول من علم لآخر.

ومما يشتهر به علماء ومشايخ زوايا توات كثرة التأليف، فلهم العديد من الإسهامات العلمية التي ساهمت في نشر العلم والمعرفة في توات وخارج توات، "واعتبر التواتيون اللغة العربية الركيزة الأولى في بحوثهم، فقاموا بأبحاث كثيرة فيها، وألفوا التآليف المفيدة"[2]، وكانت هذه التآليف تتم عن قصد أو عن غير قصد، فالمدرس عندما يقوم بإملاء الدرس على طلابه يقومون بتدوينه، "فينتج عن ذلك عديد من التقاييد والحواشي والشروح، وهي جميعا تتحول إلى تأليف في مختلف الفروع"[3] خاصة الفقهية واللغوية منها، وفي الغالب كان يتم حفظها على شكل مخطوطات، وهذا ما ساهم في تطوير الحركة العلمية والفكرية في المنطقة وبهذا "أثروا مكاتبهم التواتية بالعديد من الكتب والمؤلفات من قبل أهل المنطقة، والتي كانت تبحث في مجالات الفقه والتفسير واللغة والنحو والصرف وغير ذلك"[4] ونذكر منها ما تعلق بالجانب اللغوي مثل:

- نيل المراد من لامية ابن المجرد للشيخ ابن أب المزمري[5]

1 مقدمة ابن خلدون، ص:736.

2 النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص:52.

3 الزوايا والصوفية والعزابة، ص:63.

4 النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص:46.

5 المرجع نفسه، ص:52.

- غاية الأمل في إعراب الجمل لسيدي عبد الكريم بن محمد التمنطيطي[1]
- ملحة الإعراب المسمى تحفة الأخبار وطرفة الأصحاب[2]
- شرح لألفاظ الآجرومية في أصول علم العربية[3]
- فتح الودود في شرح المقصور والممدود[4]
- شرح الرحيق المختوم على نزهة الحلوم لشيخ باي بلعالم[5]
- شرح مقدمة العي المصروم على نظم ابن أب لمقدمة بن آجروم[6]
- منحة الأتراب على ملحة الإعراب[7]
- التحفة الوسيمة على الدرة اليتيمة[8]
- اللؤلؤ المنثور على نثر ابن آجروم[9]
- الدُّر المنظوم شرح مقدمة ابن آجروم لمولاي أحمد الطاهري[10]
- شرح روضة النسرين في مسائل التمرين لمحد بن أبّ المزمري[11]

ولهم العديد من الشروح والمؤلفات في شتى علوم اللغة يطول ذكرها.

---

1 نفسه، ص:52.

2 توات والأزواد، ص:304.

3 المرجع نفسه، ص:304.

4 نفسه، ص: 304.

5 الرحلة العلية إلى منطقة توات، ص:304/1.

6 المصدر السابق، ص:304/1.

7 الجهود اللغوية لمحمد باي بلعالم، ص:10.

8 المرجع نفسه، ص:10.

9 نفسه، ص:10.

10 جهود النحوية علماء منطقة توات، ص:198.

11 المرجع نفسه، ص:198.

والمتتبع لهذه المؤلفات والشروح يدرك القيمة الحقيقية للغة العربية في هذا المجتمع وأن لها مكانة خاصة عند أهلها عامة وعلمائها بصفة خاصة، فلم يترك علما من علوم اللغة العربية إلا وفتحوه وألفوا في التآليف العديدة.

وتعد مهنة التعليم من أكثر المهن الشاقة، فهي تتطلب الجهد والصبر، وقبل كل هذا يجب على المعلم أن يكون محبا لها حتى يكون بمقدوره أن يتفنن فيها، ولا شك لنا في أن مشايخ الزوايا في توات من أكثر المعلمين المحبين للتعليم فإن بعضهم يتصدر لمجالس التعليم من طلوع الشمس إلى غروبها وفي الكثير من الزوايا نجد أن الشيخ يعلم الطلبة بالمجان وبدون مقابل فكانوا "لا ينتظرون من عملهم في التعليم جزاء ولا شكورا"[1] ومنه من كان يعطى ما يكفيه من مؤنته وأهله من قبل أهل المنطقة وهذا يفسر سبب تلك العلاقة المميزة التي تربط سكان منطقة توات بمشايخ زواياهم، والتي تتميز بالحب والمودة والتقدير والاحترام المتبادل.

1 الزوايا والصوفية والعزابة، ص:63.

الفصل الثاني: مهارات التعليم في الزوايا التواتية.

إن المشتغل بأيّ حرفة كانت يحتاج لمجموعة من المهارات والمميزات من أجل أن يحسن أداء هذه الحرفة على الوجه المطلوب، وإن لم تتوفر فيه فعليه أن يحرص أشدّ الحرص على السعي لطلبها، إلا أن الأمر قد يعسر في بعض الأحيان، وهذا راجع إما لطبيعة الشخص في ذاته، أو لطبيعة الحرفة أو الصنعة التي يريد تعلمها، وهذا لأن الأمر يحتاج لاستعداد فطريّ وميول نفسي لهذه الحرفة، وهذا مما تمليه الطبيعة البشرية، فكل شخص له طبائع تجعله يميل لشيء من الحرف دون غيرها، وقد يتحسن أداء الفرد في الحرفة بالدربة والتعلم، وقد يتعذر ذلك، وهذا كما أسلفنا الذكر لا يرجع للفرد في ذاته وإنما لطبيعة الحرفة، فمن المهن والحرف ما يتطلب العقل وحدة الذكاء، ومنها ما يتطلب الخشونة والقوة، ومنها ما يتطلب غير هذا وذاك، فما يفعل العبد إن لم يملك من الصفات ما يؤهله للقيام بتلك الحرفة، والتعليم مما ذكره الأوائل أن لممتهنه ميزات وخصائص مشروطة منها ما هو جوهر فيه ومنها ما هو عارض مكتسب.

ومهنة التعليم من بين أقدم المهن التي عرفها الإنسان، سواء عن طريق الأنبياء والرسل، أو عن طريق الحكماء والعارفين والعلماء، وشهدت هذه المهنة تطورات عبر مختلف الأزمنة والأماكن، وشمل هذا التطور مختلف العناصر المشكلة لعملية التعليم فقد تطورت مجموعة الوسائل المستخدمة والبرامج المسطرة والأهداف المراد تحقيقها وغيرها من العناصر المشكلة للعملية.

وعملية التعليم تشمل مختلف نواحي الحياة ولا تقتصر على بيئة معينة أو مجتمع دون أخر، فقد شهدت الزوايا في توات بالصحراء الجزائرية هذا المظهر الذي هو من بين أهم أسباب نشأتها في الأساس بعد العبادة، ويقوم بهذا الدور مجموعة من المشايخ والمعلمين الذين توارثه عن بعضهم البعض، وعرف عن مشايخ وعلماء توات ومعلميها ومتعلميها بأنهم

يمتلكون مجموعة من المهارات التعليمية والتعلمية والميزات الشخصية التي جعلت من زواياهم قبلة ومحج للمعلمين والمتعلمين من مختلف النواحي قديما وحديثا.

1) مهارات التعليم في زوايا توات.

يعد امتلاك المعلم لمجموعة من المهارات التعليمية من بين أبرز الصفات التي تتدخل في إنجاح عملية التعليم وقد تتوقف العملية عليها في بعض المواقف التعليمية، فكلما كان المعلم يمتلك مهارات عالية في التعليم ومتنوعة وله القدرة على توظيفها بحكمة كلما كان مردود عملية التعليم جيدا.

وهذا ما يجعل المعلم مطالبا بتنمية مهاراته التعليمة والتدرب عليها، فالمعلم الماهر هو الذي يعرف ما هو "ممكن القيام به لتشجيع التلاميذ على التعلم والمقدرة على فعل ذلك"[1] وهذا يعطيه قدرة على ايصال وتثبيت المعلومة في ذهن المتعلم بطريقة سهلة وبسيطة، ويمكنه كذلك من تحليلها وتركيبها واستخلاص النتائج منها، لأن التعليم في الأساس "تأثير خارجي موجه نحو شخصية المتعلم، فالتعليم ينتج من فعل معلّم."[2] ولا يمكن إنجاح هذا الفعل ببساطة فهو يحتاج إلى ذكاء ومهارة من المعلّم، وهذه المهارات لابد كذلك من حسن استغلالها بحيث يتخير لكل موقف تعليمي ما يناسبه من المهارات التعليمة وما يتوافق مع الوسائل المتاحة للمتعلم والبيئة التعليمية وغيرها من العوامل، واختيار مهارة دون غيرها لابد يحتاج لمعلم حذق متمرس له دراية بمسالك التعليم وطرقه.

1 مهارات التعليم الأساسية، ص:31.

2 المرجع في التعليمية الزاد النفيس والسند الأنيس في علم التدريس، عبد القادر لورسي، لورسي. جسور للنشر والتوزيع، ط1، 2016، المحمدية الجزائر، ص:193.

يجب على المعلم أن يدرك أن التعليم الناجح إنما يتم من خلال وضع استراتيجية[1] وفق أطر علمية تسمح له بتنظيم سيرورة الدرس على الوجه المطلوب، فيعرف المعلم أن هناك مراحل متدرجة يسير وفقها الدرس وكل مرحلة تتطلب نوعا من المهارات التعليمية، فهناك مهارات يجب أن يتحلى بها المعلم قبل الشروع في الدرس ومهارات أثناء عملية التدريس، ومهارات بعد الانتهاء من عملية التدريس.

إن امتلاك المهارات التعليمية من بين أهم العناصر التي تحدد مسار العملية التعليمية، وهي من العوامل الأساسية التي يجب توفرها في المعلم للحكم عليه بأنه ناجح أو العكس، لأن افتقاره لبعض المهارات الأساسية يجعل منه معلما غير مؤهل للتعليم ولا يملك الكفاءات اللازمة لأجل تكوين الأجيال، وهذا بسبب أن هذه المهارات التعليمية تساعده في "معرفة احتياجات المتعلمين وقدراتهم، كي يستطيع التعامل مع مهارات عرض الدرس أمام الطلاب كمهارات الإدارة الصفية، والتهيئة للدرس، وطرح الأسئلة الصفية، وإثارة الدافعية، ومراعاة الفروق الفردية، وتعزيز استجابات الطلاب"[2] فكل هذه المهارات لابد من أن يكون المعلم يمتلك الحد الأدنى منها من أجل الشروع في عملية التعليم فكل عنصر منها متداخل مع العناصر الذي قبله والذي بعده وعلى هذا الأساس لا يمكن بحال من الأحوال أن يكتفي

---

1 الاستراتيجية هي: كلمة مشتقة من الكلمة اليونانية استراتيجوس وتعني: فن القيادة ولذا كانت الاستراتيجية لفترة طويلة أقرب ما تكون إلى المهارة "المغلقة" التي يمارسها كبار القادة، واقتصرت استعمالاتها على الميادين العسكرية، وارتبط مفهوما بتطور الحرب، كما تباين تعريفها من قائد لآخر، وبهذا الخصوص فإنه لا بد من التأكيد على ديناميكية الاستراتيجية، حيث أنه لا يقيدها تعريف واحد جامع، ... هذا من كونها فن استخدام الوسائل المتاحة لتحقيق الأغراض أو لكونها نظام المعلومات العلمية عن القواعد المثالية للحرب،.... ولم يعد لاستخدام الاستراتيجية قصور على الميادين العسكرية وحدها وإنما امتد ليكون قاسما مشتركا بين كل النشاطات في ميادين العلوم المختلفة،... وتعرف الاستراتيجية في ميدان التدريس على أنها: خطة من أجل تحقيق الأهداف التعليمية فهي تضع الطرق والتقنيات (أو الإجراءات) التي من المؤكد أن المتعلم يفعلها في الواقع ليصل للهدف. ينظر: التدريس نماذجه ومهاراته، كمال عبد الحميد زيتون، دار عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص:265.

2 مهارات التدريس الفعال، جمال بن إبراهيم القرش، دار النجاح للكتاب للنسر والتوزيع، ط1، 2016م، برج الكفان، الجزائر، ص05.

المعلم بمهارة أو اثنتين فقط، لأن الأمر في نهاية المطاف عبارة عن سلسلة مترابطة إذا قطعت منها حلقة فسد الأمر بمجمله.

وكما أن الأمر مرتبط بنقطة ثانية غير ما ذكرنا من حيث الترابط وهو أن مهارات التعليم لا يمكن أن ينوب بعضها عن بعض، فالفشل في مهارات ما قبل الدرس كالتخطيط والتحضير يعني أن المهارات التي تكون أثناء الدرس أو بعده كالتهيئة وإثارة الدافعية وغيرها لا يمكن أن تقوم مقام التحضير والتخطيط، هذا لأن "التركيز على مهارات معينة على حدة يمكن أن يكون غير مفيد لأنها تصبح أقل معنى بالنسبة للسياق"[1] العام لعملية التعليم فكل مهارة لها وظيفة محددة لا يمكن في الغالب الاستغناء عنها.

فتطبيق مجموع هذه المهارات قبل وأثناء عملية التعليم تساعد المعلم بعد ذلك على الوقوف "على مدى تحقق الأهداف التي حددها في بداية الدرس، ويكتشف مدى تقبل الطلاب لما طرحه من معلومات وقيم، فيقيم طريقة تدريسه، ووسائله، وتحفيزه، فإن رأى نتيجة، فهي إشارة لنجاح طريقة العرض، وإن كان غير ذلك فهو إشارة لضرورة تغير الأسلوب والطريقة التي اتبعها."[2] ولا يمكن للمعلم النظر في مجموع النقاط السابقة وإدراك مكامن القوة والضعف فيها ما لم يكن يتمتع بالمهارة اللازمة لفعل ذلك.

ورغم كل العوامل والعناصر المتدخلة في العملية التعليمة إلا أنه يبقى المعلم والمتعلم من أبرز ركائزها وإذا تحدثنا عن التعليم في الزوايا يمكننا القول أن المعلم أو الشيخ هو أهم عنصر في العملية فيعد الشيخ "المحور الأساسي للعملية التعليمية، فجميع العلوم يجب أن تؤخذ عنه ولابد للمتعلم من شيخ يعلمه ثم يجيزه، طبقا للمقولة السائدة في توات: العلم

1 مهارات التعليم الأساسية، ص:23-24.

2 مهارات التدريس الفعال، جمال بن إبراهيم القرش، ص05.

يؤخذ من أفواه الرجال"[1]، ولهذا لا يمكن للمتعلم في منطقة توات أن يتحدث في أي علم أو يدعي المعرفة إلا إذا كان قد تتلمذ على شيخ وتحصل منه على إجازات، وللعلم بالشيء الأمر لم يكن مقتصرا على توات بل كان عاما في مختلف الأمصار بل ولا يزال، فالمتعلم لا بد له من معلم لأن الأولين يرون أن "الأصل في الطلب أن يكون بطريقة التلقين والتلقي عن الأساتيذ والمشافهة للأشياخ، والأخذ من أفواه الرجال لا من المصحف وبطون الكتب، وقد قيل من دخل في العلم وحده خرج وحده، أي من دخل في طلب العلم بلا شيخ، خرج منه بلا علم"[2] وهذه سنة الأولين فلا عالم من غير معلم فكان السند هو الأساس في كل قول، كما أنه يتخير من المشايخ من كان "الأعلم والأورع والأسن"[3] وهذا ليكون بعد تخرجه واستكمال دراسته في الزاوية ذا مكانة وقيمة فكلما كان شيخه مشهورا ومعروفا بعلمه كلما زاد ذلك من تقدير الناس له.

ولكن مع التطور الحاصل في الدراسات العلمية الحديثة والأبحاث المعاصرة أصبح المتعلم هو الركن الأساسي في العملية باعتباره هو محور العملية، ولكن هذا الأمر لا ينقص من قيمة المعلم ودوره، لأن المتعلم هو في نهاية المطاف منتوج أو مخرج عملية التعلمية، وهذا الأخير تتوقف جودته ونوعيته في نهاية المطاف على المعلم فكلما كان المعلم يمتلك مهارات تعليمة كالتحضير الجيد والتخطيط والشرح وإدارة الدرس وحسن والتقويم كان جيدا وأقرب لطلابه وأنفع لهم.

1 مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، المرجع السابق، ص:117.

2 ينظر: حلية طالب العلم، بكر بن عبد الله بوزيد، مؤسسة الرسالة، ط1، 2002م، بيروت، لبنان، ص:30-31.

3 تعليم المتعلم طريق التعليم، برهان الاسلام الزرنوجي، ت: مروان قباني، المكتب الإسلامي، ط1، 1981م، بيروت، ص:72.

وحتى تتعلم في الزوايا ويعترف بك أنك متمكن لا بد لك من " التأصيل لكل فن تطلبه، بضبط أصله ومختصره على شيخ متقن، لا بالتحصيل الذاتي وحده"[1] فالإجازة شرط من الشروط التي تؤكد أن هذا المتعلم قد تخرج من عند شيخ، فهي تعادل الشهادة التي تمنح عند التخرج من الجامعة.

فالتعليم في نهاية المطاف هو صنعة "وكل صنعة تحتاج إلى صانع، فلا بد إذا لتعلُمها من معلمها الحاذق"[2] ولهذا نجد الطلاب سواء في الزوايا أو المدارس يفضلون هذا المعلم على ذلك وقد لا يجد المتعلم في المدرسة مهربا من المعلم غير الكفء ، ولكن في الزاوية الأمر يختلف فالمتعلم له الحرية في تخير معلمه نجد الطلاب لا يختارون الشيخ أو المعلم حتى يسألوا عنه وعن طريقته في التدريس.

ولا يمكن القول أن المعلم في زوايا توات يتبع نفس النهج الذي يتبعه الأكاديمي أو المعلم في المدارس النظامية، فمهارات المعلم في الزوايا قد تتشابه مع مهارات المعلم في المدارس النظامية والجامعات في بعض النقاط والجوانب، وقد تختلف، وهذا على حسب المعطيات والبيئة التعليمية التي تختلف بدورها فلا الزاوية جامعة ولا الجامعة زاوية.

فالباحث حين يتتبع عملية تحضير الدرس وكيفية التخطيط له وشرحه وتقيمه من طرف المعلم في زوايا توات يجدد عديد النقاط المشتركة بين المنهجين، كما يجد نقاط اختلاف بينهما، وهذا أمر طبيعي لأن منهج المدارس والجامعات يخضع للكثير من الدراسات والنقد والتنقيح بسبب كمية الدراسات التي تتناول هذا الأخير، بينما لا نكاد نجد دراسة متخصصة في هذه الجزئية بالنسبة للزوايا، بل هناك مجرد تلميحات وشذرات ونقاط مبثوثة هنا وهناك، ولكن المهم في الأمر أن هناك طريقة يتبعها المعلم في الزوايا التواتية

1 ينظر: حلية طالب العلم، ص:25.

2 حلية طالب العلم، ص:31.

للتعليم تعتمد على مجموعة من المهارات تساعده على التحضير والتخطيط لدرسه كما له مهارة في الشرح وإدارة الدرس والتقييم... وغيرها من المهارات

ويجب أن ننوه هنا إلى أن قضية مهارات التعليم وكيفية اكتسابها والإعداد لها تختلف من معلم لآخر حتى عند المعلمين النظاميين والأكاديميين، لأن الدراسات المؤدية لطرق اكتسابها وتعلمها والإعداد لها تختلف من دراسة لأخرى ومن باحث لآخر، وقد يكون المشايخ والمعلمون في الزوايا أقرب إلى اتحاد الطريقة وتشابهها من المعلمين في المدارس الحكومية والجامعات، وهذا بسبب أن منهج التعليم في الزوايا منهج متوارث مما يعني توارث المهارات واكتسابها عن طريق الاقتداء.

2) مهارة التحضير والتخطيط.

إن الشروع في أي عملية كانت وفي مختلف الميادين لابد من التحضير والتخطيط المسبق لها ولنجاح العملية دائما ما يرتكز الأمر على لأن النتائج المرجوة من أي عملية لم يتم التحضير والتخطيط لها مسبقا لا يمكن التعويل عليها ولا يرتجى من ورائها تحقيق الغايات المنشودة أو المسطرة وعملية التعليم لا تخرج عن هذه القاعدة.

1- تعريف التحضير والتخطيط.

ويتم تعريف التحضير على أنه "مجموعة من خطط عمل منظمة، يسعى المعلم لتحقيقه والوصول إلى أهدافها، أو هو خطة واضحة لإعداد الدروس والتي هي بمثابة عملية فكرية، والهدف منها رسم صورة واضحة لما سوف يقوم به المعلم أثناء الدرس،"[1] فالتحضير عملية تسبق الشروع في الدرس يتم من خلالها رسم الصورة العامة للدرس والكيفية التي سيكون عليها وذلك من خلال تحديد الأهداف التي يراد التوصل إليها، بينما يعرف

1 ينظر: مهارات التدريس الصفي الفعال والسيطرة على المنهج الدراسي، محمد عيسى أبو سمور، دار دجلة، ط1، عمان، الأردن، 2015. ص:114.

المختصون في علوم التربية التخطيط على أنه "منهج يهدف إلى حصر الإمكانيات المتوفرة، ودراستها، وتحديد إجراءات الاستفادة منها، لتحقيق الأهداف موجودة، خلال فترة زمنية محددة، بالنسبة لإعداد الدرس"[1] فالتخطيط إذا هو عملية يتم من خلالها النظر لكيفية تسخير الوسائل المتاحة للوصول للأهداف المسطرة، في زمن معين.

ومن خلال التعاريف السابقة يتضح لنا بأن التحضير والتخطيط "يتماشيان مع بعض، وأن لكثير من قرارات التخطيط تؤخذ عند القيام بالتحضير"[2] فالعمليتان متداخلتان بشكل كبير بحيث يتم رسم وتحديد الأهداف من خلال التحضير ويتم النظر في الطرق والآليات والأدوات الممكنة للوصول لهذه الاهداف من خلال التخطيط، وهذه نقطة فقط من نقاط التشابك والتداخل بينهما، بينما في الحقيقة هناك نقاط اتصال عديدة بينهما، بحيث يتعلق التحضير "بشكل كبير بتحضير كافة الموارد والأدوات التي ستستخدم في الدرس،"[3] ومن خلال عملية التخطيط يتم النظر في طرق توظيف هذه الموارد والأدوات بالشكل الذي يساعد المعلم على معرفة ما يمكن تقديمه خلال الدرس وماهي الوسائل الملائمة لذلك ويوضح كيفية استخدام هذه الوسائل من أجل تعميم الفائدة وهذا لأجل الوصول إلى تحقيق الغاية المستهدفة من وراء عملية التعليم.

ويتم التحقق من أن عملية التعليم تتم وفق الطريق المخطط لها على الوجه المطلوب "عندما تتم إدارة الحصة على الوجه الأمثل، وعندما يكون هناك اتساق وترابط بين أنشطة المعلم وأنشطة المتعلم طوال الحصة ويتحقق هذا التوافق من خلال التخطيط الجيد والمنهجية المنظمة للمعلم،"[4] لأنه يصعب على المعلم الوصول لغاياته التعليمة المستهدفة دون الإعداد

1 مهارات التدريس الفعال، جمال بن إبراهيم القرش، ص:163.

2 المرجع نفسه، ص:61.

3 نفسه، ص:61.

4 أساسيات التعليم والتعلم، حسن شحاتة، ص:14.

الجيد للدرس وهذا انطلاقا من عملية التحضير والتخطيط ، فأحد أهم المهام التي تجب على المعلم هو البحث عن العوامل التي تساعده على إعداد نشاط تعليمي فعال يمكنه من تقديم نتائج تعليمية جيدة، مما يرسم ملامح شخصية تعليمية متميزة وتملك مؤهلات علمية يمكن من خلالها الحكم القول أن فلان معلم ناجح.

2- أهمية التحضير والتخطيط.

هناك الكثير من الكتب التعلمية والمصادر العلمية المتخصصة التي تثبت أن للتحضير والتخطيط أهمية كبيرة في تحسين الفعل التعليمي وتعزيزه، ويتجسد دور عملية التحضير والتخطيط من خلال العديد من النقاط التي تبرز أهميتهما للمعلم بصفة خاصة، وللفعل التعليمي بصفة عامة.

ويمكن تلخيص هذه الأهمية في النقاط التالية:

- **البعد عن العشوائية في التعليم:**

بحيث يصبح المعلم مرتبطا بموضوع الدرس بحيث لا يخرج عنه إلا بالقدر الذي يفيد المتعلم، فيلتزم المعلم بالوحدة الموضوعية لدرسه لكي لا يخلط الأمور على المتعلم فيتشتت ذهنه.

- **رسم الإجراءات المناسبة لتنفيذ الدرس وتقويمه:**

وبهذا يتمكن المعلم من رسم خطة محكمة يتم من خلالها تنفيذ الدرس وتكون مشتملة على تمهيد وعرض وخاتمة، مما يساعده فيما بعد على تحديد النقائص والوقوف عليها وتقويمها.

- **تجنب الكثير من المواقف الطارئة والمحرجة:**

لأن التحضير المسبق غالبا ما ينبه المعلم على بعض النقائص والثغرات التي توجد في الدرس، ورغم ذلك إلا أن الأمر لا يتم دائما على الوجه المطلوب فمن حين لآخر يتعرض بعض المعلمين لبعض المواقف المحرجة سواء من خلال بعض الأسئلة المفاجئة أو من خلال بعض الأخطاء، ولكن غالب ما يقلل التحضير والتخطيط الجيد من هذه الظاهرة.

- **المساعدة على اختيار وسيلة التعليم المناسبة وإعدادها.**

وهذا يتم من خلال التجارب السابقة التي تعطي المعلم نظرة حول الوسيلة المناسبة التي يتم من خلالها تحقيق نتيجة إيجابية في الوقف التعليمي، كما أن التحضير والتخطيط يجنب المعلم نسيان الوسيلة أو نسان إعدادها وتحضيرها.[1]

- **الإعانة على الاستفادة من زمن الدرس بالصورة المثلى.**

بحيث كلما كان التحضير والتخطيط جيد، كلما كان الاستثمار في الوقت أحسن ففي الكثير من الأحيان يواجه المعلم صعوبة في إيجاد وقت كاف لتحقيق هدف تعليمي خلال فترة زمنية معينة، مما يصعب العملية التعليمة.

- **تحديد جوانب القوة والضعف، ومقترحات تحسينها.**[2]

ويكون هذا من خلال ملاحظة المشكلات والعقبات وإيجاد الحلول لها.

كما يساعد التخطيط الجيد على:

- التعرف على الأهداف التربوية العامة.
- يساعد على تبين مقدار ما يساهم به تخصصه ومادته في تحقيق الأهداف التربوية العامة.

---

1 ينظر: مهارات التدريس الفعال، ص:163.

2 ينظر: المرجع نفسه، ص:163.

- يقلل مقدار المحاولة والخطأ في التدريس، ويشجع على استخدام الوسائل الملائمة.
- يكسب احترام التلاميذ فهم يقدرون المدرس الذي يعد عمله وينظمه، كما يتوقع هو منهم.
- يساعد المدرس على كسب الثقة بالنفس والتغلب على شعور الاضطراب وعد الاطمئنان.
- يساعد على تحديد الأفكار.
- يحمي المدرس من النسيان.
- يساعد المدرس على التحسن والنمو في المهنة، والوقوف على المادة العلمية للدرس المراد إعطاؤه للتلاميذ.
- يساعد التخطيط الجيد على مراعاة النواحي الزمنية المحددة لتنفيذ خطة الدرس داخل الفصل الدراسي.[1]

3- التحضير والتخطيط في زوايا توات

نجد المعلم في زوايا توات والذي يلقب في الغالب بالشيخ له عديد المسالك والطرق في التحضير والتخطيط لتقديم درسه للمتعلمين وينتج عن ذلك مهارة متجذرة مع طول الزمن وكثرة التكرار تتيح للشيخ التحضير الجيد لدرسه وتساعده على وضع مخططات واضحة تمكنه من تسيير عملية التعليم، وتساعده على معرفة ما يحتاجه المتعلم وهذا ما يعطيه مقدرة على عرض الدرس بطريقة جيدة.

وتتجسد مهارات المعلم في زوايا توات في التحضير والتخطيط لدرسه من خلال نقاط عدةّ منها ما يتعلق بطريقة اختيار الكتب والمتون التي سوف تدرس، انطلاقا من مستوى كل فيئة عمرية، وهذا ما يطلق عليه في الزوايا بمنهج التدرج، كما تتجلى هذه المهارة كذلك من

1 ينظر: مهارات التدريس الصفي الفعال والسيطرة على المنهج الدراسي، ص:105-106.

خلال كثرة المطالعة والقراءة وتخير الأوقات المناسبة لفعل ذلك وهذا لأجل اختيار المسائل ومراجعتها وتحديد الوسائل المناسبة لتعليم المتعلم هذه المسائل.

وهذا النوع من التخطيط يعمل به المختصون في علوم التربية والأساتذة في مختلف الأطوار ولا يكاد الشيخ أو المعلم في الزوايا يبتعد عنه كثيرا فهو يعمد إلى تحضير درسه والتخطيط له مسبقا وهذا من خلال كثرة القراءة والمطالعة والبحث في مسائل درسه بحيث يتخير الشيخ لكل فئة طلابية ما يناسبها من المعلومات حول مسائل الدرس التي يريد تعليمها لهم وهذا على حسب السن والمرحلة التي هو فيها بحيث يتم مراعاة التدرج في التلقين في الزوايا فيتخير المعلم لطلابه ما يساعدهم على فهم الدرس وحفظه "فيبدأ الطالب فيها بالمبادئ الأولية عبر متون للمستوى الأول فإذا أتقن ذلك انتقل لمستوى التدرج، فإلى التعليم العالي"[1] فيبدأ الطالب في الزوايا التواتية متدرجا من كتابة الحروف ومعرفة نطقها، إلى الكلمات ومعرفة تهجيتها ثم يحفظ سور القرآن الأقصر فالأقصر وهكذا إلى أن يصل لمستوى يخوله لاستيعاب المحفوظ وفهمه.

ونجد هذا التدرج في تعليم مختلف الفنون والعلوم في توات ونختص بالذكر ما كان في ميدان اللغة العربية فنجد المعلم يبدأ لطلابه في علم النحو مثلا "بالمقدمة الأجرومية نظمها محمد ابن أبّ، الملحة للحريري، قطر الندى وبل الصدى، الالفية لابن مالك، لامية الأفعال"[2] وهذا التدرج لا يكون عشوائيا بل له صلة مباشرة بالقدرات العقلية للمتعلمين فالطفل الصغير غالبا لا يقوى عقله على فهم الأشياء والمعاني البعيدة عن ذهنه والموغلة في التجريد والمعقدة التركيب، لهذا يلجؤ المعلم في زوايا توات إلى التحضير والتخطيط المسبق لدرسه لكي يتمكن من تلقين كل فئة عمرية وكل مستوى تعلمي ما يحتاجه وفقط، "عن العلم

1 المنهج التعليمي للمدارس والزوايا الدينية بحاضرة توات. عبد الخالق قصباوي، الملتقى الدولي الوسطية في الغرب الإسلامي وأثره في نشر الإسلام في إفريقيا وأروبا، ديسمبر 2017، جامعة الوادي، ص:554.

2 الرحلة العلية، ص: 309/1.

والتعليم في توات نجده زاخرا وركنا هاما جدا فقد ضبطوا بدايته ونهايته بأصول تتماشى وطبيعة المنطقة. فأول ما كان يبتدئ به التواتيون في مرحلتهم العلمية والمعرفية هو الجلوس عند الطالب المدرس بالكتاب، وكانت عادته أن يبدأ للصبي اللوحة بتعليمه الحروف الأبجدية، كي يتمكن من معرفتها أولا، ويحصلها ضبطا وإثباتا"[1]. "وبعد معرفة الصبي للحروف يتدرج به الشيخ في حفظ كتاب الله عز وجل حتى يتمه فإذا أتمه حفظا ودراية، انتقل به إلى تعلم شيء من المعارف الفقهية واللغوية، كمتن ابن عاشر والأخضري والأجرومية والقطر"[2] وهكذا يتدرج وفق منهجا محكم يراعي قدراته العقلية.

يجتهد معلم الزوايا في النظر والمطالعة لكتب الأولين لأجل البحث عن أصول وفروع المسائل وحشد شواهد لها، ويكون هذا البحث مقرونا بمراعاة المستوى الذي يوجد فيه المتعلم، ولعل ما يميز معلم الزاوية عن معلم المدرسة النظامية هو تواجد مستويات متعددة من المتعلمين في نفس القاعة "وقد أثنى بعض الباحثين على هذه الخاصية التي تتوفر في (الكتّاب) ولا تتوفر في غيره .... فنجد مجموعة في مرحلة التهجي وأخرى في مرحلة التعليم بالمحاكاة، وأخرى بدأت تعتمد على نفسها...فالتلميذ الذي يحفظ ما يكتب له بسرعة ينتقل يوميا من مستوى لآخر، حيث لا ينتظر المتعثرين"[3] ولكن بقدر ما يخدم هذا النظام طائفة المتفوقين بقدر ما قد يؤثر على الطبقة الوسطى والضعفاء، وأصل النظام التعليمي أن يبنى على الطبقة الوسطى لأنهم في الغالب هم الأكثرية.

فنجد علماء التربية يؤكدون على ضرورة التحضير والتخطيط لأجل تحسن أداء المعلم وتحقيق الأهداف المسطرة وتكون عملية التخطيط والتحضير دائما قبل عملية التدريس وتتم

1 النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص:47.

2 المرجع نفسه، ص:48.

3 ينظر: حياة الكتّاب وأدبيات المحضرة صور من عناية المغاربة بالكتاتيب والمدارس القرآنية، عبد الهادي حميتو، دار أبي رقراق، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 2006، الرباط، المغرب، ص:2/582-583.

عملية التخطيط، "بعد تحديد خبرات الطلاب السابقة، ومستوى نموهم العقلي، والوسائل المتاحة للتدريس، وتحليل مادة التدريس، لتحديد محتوى التعليم، ثم صياغة أهداف التعليم."[1] لهذا قلنا بأن المعلم في زوايا توات يراعي هذا التدرج الذي تفرضه الطبيعة البشرية، ومن خلال مهارة التخطيط والتحضير يستطيع المعلم السير بالعملية التعليمية على أحسن حال لأنه يكون قد تجهز لمختلف العوائق والعراقيل التي يمكن أن تصادفه أثناء التعليم.

من أبرز ما يعتمد عليه المعلم التواتي في تحضيره لدرسه هو النظر في كتب الأولين وشروحها والبحث عن المسائل التي تفيد الطلبة وهذا يكون بالمطالعة وكثرة القراءة ولا نكاد نصادف سيرة لشيخ من مشايخ توات إلا وتذكر له هذه الخاصية فقد ذكر صاحب الرحلة العلية إلى منطقة توات الشيخ المختار بن إسماعيل السلاوي فقال "فإنه من أجل علماء توات أعطي من الذكاء والفطنة وحسن الخلق والكرم ما لا يكاد يعد ولا يحصى وكان لا يمل من المطالعة ليلا نهارا"[2] ذكر أيضا الشيخ محمد عبد القادر بلعالم القبلاوي فقال عنه "لقد صرف لحظات عمره في طلب العلم وتعليمه ومطالعة كتبه فكان لا يمل ولا يفتر من المطالعة ومن قراءة القرآن ليلا نهار وكان حيثما حل وارتحل إلا وتجد معه أكواما من الكتب"[3] فكثرت القراءة والمطالعة هي المفتاح الأول للتحضير والتخطيط الجيد، فلا يمكن تخيل حدوث عملية التحضير والتخطيط دون قراءة ومطالعة الكتب والنظر فيها.

والنظر هنا ليس مقصودا لذاته وإنما يراد من ورائه تحصيل جملة المفاهيم والمعارف والقدرة على فهمها وشرحها ويورد صاحب الابتهاج بنور السراج جملة من الأبيات في هذا المعنى فيقول:

---

1 مهارات التدريس الفعال، جمال بن إبراهيم القرش، المرجع السابق، ص:163.

2 الرحلة العلية، ص:280/1.

3 الرحلة العلية، ص:280/1.

أُنْظُرْ نَصِيبَكَ إِلَى أَنْ يَحْصُلَا ***تَفْصِيلُهُ بِالفِكْرِ مِنْكَ مُجْمَلاَ

بِحَيْثُ لَا يَبْقَى بِهِ مِنْ سَطْـــرِ ***إِلَّا وَقَدْ حَوَاهُ لَـوْحُ الفِكْــرِ

وَلَسْتُ أَعْنِي حِفْظَكَ العِبَـــارَةْ ***بَلِ الْمَعَانِي إِفْهَمِ الإِشَـــارَةْ [1]

فكلما كان المعلم يكثر من البحث والتنقيب في الكتب كلما تمكن من اكتساب القدرة على التحضير الجيد لدرسه وقد تم شرح الأبيات السابقة المتعلقة بالنظر على أنه لا يقصد من وراء النظر هنا "النظر في النصاب وتحصيله في الفكر مجرد حفظ ألفاظه، بل المراد هو فهم معانيه وتحصيلها، بحيث يعبر عنها بأي عبارة شاء، فإنه لا عبرة بالحفظ دون الفهم؛ إذ من هذا شأنه تجده يحفظ ألفاظ الكتاب الذي يقرؤه، ثم يسردها في مجلس الدرس سردًا، وربما لا يدري معناها"[2] فالواجب على المعلم فهم ما يحفظ ويطالع من المعارف قبل تقديمها للمتعلم، .

كما تساعده كثرة القراءة والمطالعة على اختيار المعلومات التي تصب في سياق الدرس، وتتيح له فكرة عن الوسائل التي تساعده على بلوغ أهدافه، وكيفية توظيفها، فالتحضير والتخطيط في زوايا توات يشبه منهج التحضير والتخطيط في المدارس النظامية في هذه النقطة فكما يعتمد هذا الأخير على الكتاب المدرسي في تحضيره يعتمد معلم الزوايا هو كذلك على قراءة الكتب والمطالعة فيها.

1 الابتهاج بنور السراج، أحمد بن المأمون البلغيثي العلوى الحسني، جمعه عبد الله بن الصديق، طنجة، المغرب، ص:2/65-66.

2 ينظر: سراج طلاب العلوم، العربي بن عبد الله بن أبي يحي المساري، ت: ياسين أزكاغ المكناسي، دار الحديث الكتانية، ط1، 2015، ص:103-104.

ويختار المعلم في زوايا توات أفضل الأوقات للقراءة فـ "أجود الأوقات للمطالعة والفهم هو الليل"[1] وهذا من أجل الاستيعاب والفهم الجيد ويولي المعلم في زوايا توات هذه النقطة أهمية بالغة لمعرفته بأسرار النفس البشرية والأوقات التي يكون فيها العقل قابلا للاكتساب والاستيعاب والفهم والحفظ، وقد قيل: "أجود الأوقات للحفظ الأسحار، ثم وسط النهار، ثم بالغداة، وحفظ الليل أنفع من حفظ النهار، ووقت الجوع أنفع من وقت الشبع، وهذا مالم يشغله الجوع، ....وقال بعضهم لابنه: يا بني اجعل نظرك في العلم ليلا، فإن القلب في الصدر كالطير ينتشر بالنهار، ويعود إلى وكره في الليل، فهو في الليل ساكن ما ألقيت إليه من شيء وعاه،... في الليل تجم الأذهان، وتنقطع الأشغال، ويصح النظر، وتؤلف الحكمة، وتدر الخواطر، ويتسع مجال القلب، والليل أحرى في مذهب الفكر"[2] لهذا لا نكاد نجد ذكر للمطالعة والقراءة في سير وتراجم المعلمين في زوايا توات إلا وذكر أنه كان يفعل هذا الأمر ليلا كما سبق الذكر، وهذا مظهر من المظاهر التي تبن لنا اكتساب المعلم في زوايا توات لمهارة تخير الأوقات للتحضير دروسه والمراجعة لها.

ومن مظاهر التحضير والتخطيط عند معلم الزوايا التواتية هو حسن اختياره لمجموعة الأدوات والوسائل التي تساعده في اكساب وايصال المعلومة لذهن المتعلم، فنجده يختار المتون والشروح والكتب التي تناسب المتعلم وتناسب المرحلة التي هو فيها، فأول ما يختاره المعلم لمتعلمه في النحو مثلا المقدمة الأجرومية والسبب في ذلك أنها من "أجمل ما ألف في هذا الشأن لاشتمالها على القواعد النحوية وسهولتها وعذوبة ألفاظها"[3] فيختارها المعلم لهذا السبب لتكون أول ما يبدأ به المتعلم لقواعد النحو في زوايا توات، ومن مظاهر البراعة

1 سراج طلاب العلوم، ص:98.

2 ينظر: المرجع نفسه، ص:98.

3 الرحلة العلية، ص:304/1.

والإبداع في التخطيط والتحضير للدرس ما يعمد إليه معلم الزوايا في توات من نظم مختلف الفنون على شكل منظومات (المتون) لكي يسهل على المتعلم تلقي المعارف والعلوم.

ولهذه المنظومات أهمية كبيرة في الحياة العلمية في زوايا توات بحيث تعد من بين أبرز وأهم الوسائل التعليمية التي يعتمد عليها التعليم في توات، والسبب وراء أهمية هذه المنظومات، أنها مبسطة وسهلة الحفظ، فهي لون من ألوان الشعر يعرف بالشعر التعليمي فلقد "كانت توات وبفضل ما توارد عليها من علماء المغرب والمشرق، تعيش جميع أنواع الشعر المعاشة في المناطق الأخرى"[1] ومن أمثلة نظم الفنون في توات وتسهيلها لطلاب العلم ما قام به الشيخ محمد بن أبّ المزمري من نظم للأجرومية وسمى نظمه نزهة الحلوم في نظم مقدمة بن آجروم التي يقول في مطلعها:

نَحْمَدُكَ – اللّهُمَّ ! يَا مَنْ أَنْعَمَا ***وَعَلَّمَ الإِنسَانَ مَالَمْ يَعْلَمَا–

وَبِـــتتكَ أَسَـــأَلُكَ أَن تُصَـلِّيَا ***عَلَى نَبِـــيٍّ بِالْبَهَاءِ حُلِّيَا

سَيِّـــدَنَا مُحَـــمَّدٍ خَيْرِ الْبَـشَرْ***وَآلِه؛ مَا لَاحَ فَجْرٌ وَانْتَشَرْ

إلى أن قال:

كَلَامُ أَهْلِ النَّحْوِ لَفْظُ رُكِّبَا ***وَلِإِفَـــــادَةٍ بِوَضْعٍ صَحِبَـــا

لِاسْمٍ وَفِعْلٍ ثُمَّ حَرْفٍ قُسِمَا ***بِالْخَفْضِ وَالتَّنْوِينِ الِاسْمُ وُسِمَا[2]

1 النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص:55.

2 نزهة الحلوم في نظم مقدمة ابن آجروم، محمد بن أبّ بن حميد بن عثمان المزمري التواتي، ك، ت: خبيب بن عبد القادر الواضحي، ص:03.

وساهم كذلك الشعر الملحون (شعر من دون أوزان) في تعليم المتعلمين ف "لقد لعب الشعر الملحون في توات دورا بالغ الأهمية نظرا لأن شغل العلماء الشاغل تكيف الدروس حسب مستوى الطلاب وميلهم إلى أدنى درجة فقاموا بوضع الشعر الملحون لما رأوا من ميل بعض الفتيات وبعض الأميين له أكثر من ميلهم للشعر الموزون"[1] فمعلم زوايا توات لا يترك وسيلة تساعد طلابه على أخذ العلم إلا وكان له فيها أثر.

ومن الوسائل كذلك التي يعمد المعلم في توات إلى تحضيرها وإعدادها من أجل تيسير الدروس على المتعلمين هو الاطلاع على الشروح التي تساعد على فهم وفك ألفاظ المنظومات العلمية، فيختار لكل فن منظوماته مع شروحها، وذلك على حسب المستوى الذي يكون فيه المتعلم، وقد يلجؤ المعلم بذاته إلى وضع شرح على بعض المنظومات وهذا كثير في توات، ومن أمثلته ما قام به الشيخ محمد باي بلعالم على نظم نزهة الحلوم التي ذكرنها سابقا فله عليها شرح ذكره في كتابه الرحلة العلية فقال "فلم يحظ هذا النظم بشرح من علماء توات فيما أعلم وشرحته بشرح سميته الرحيق المختوم على نزهة الحلوم"[2] وتساعد هذه الشروح في فك ألفاظ النظم وشرح المشكل منه وتباين الغامض والبعيد عن الأذهان وغالبا ما تحتوي على "الكثير من الأشعار والأمثلة والفوائد"[3] مما يجعل منها وسيلة تعليمية مثالية تعادل في قيمتها الكتاب المدرسي، وهذا لما تحتوي عليه من قيمة علمية كبيرة، ومن بين أكثر الشروح التي يعتمد عليها الشيوخ والمعلمون في توات بالنسبة للألفية "المكودي فابن عقيل"[4] فتستغل هذه الأخيرة في تعليم وبيان قواعد اللغة العربية في معظم زوايا توات.

1 الرحلة العلية، ص:309/1.

2 المصدر نفسه، ص:304/1.

3 نفسه، ص:305/1.

4 المصدر السابق، ص:309/1.

وبما أننا نتحدث عن التعليم في الزوايا وطرق التحضير والتخطيط فلابد من تباين أن شيوخ الزوايا لا يعتمدون على الجانب المادي وفقط أثناء عملية التحضير والتخطيط لدروسهم، فالشيخ بقدر ما يؤمن بالأسباب المادية له كذلك تعلق بالجانب الروحي فالأمر يكون روحيا ومعنويا، فلا يخرج لدرس إلا بعد أن يصلي ويقرأ الأوراد والأدعية، والتضرع إلى الله من أجل التسهيل والتمكين، ونذكر هنا على سبيل المثال وليس الحصر ما كان يقوم به الشيخ **أحمد ديدي بن محمد العالم (1879م)** فكان "بعد صلاة الصبح مباشرة، يدخل إلى بيته لقراءة أوراده وأذكاره، ثم بعد ذلك أي في حدود الثامنة شتاء، وفي السابعة صيفا، يتوجه لمجلس الدرس، وكان لا يذهب إليه إلا بعد قراءته لورد خاص بالدرس"[1] وهذا لأجل دعاء الله عزّ وجل وطلب التسهيل في قضاء حاجته وتحقيق أهدافه والنفع للمتعلمين، وهذا الأمر نابع من الثقافة الإسلامية والدينية، التي نشأ عليها جل علماء توات فلا يذكر منهم واحد إلا وقرن علمه بالزهد والعبادة كما قيل في الشيخ **محمد صالح بن سيدي البكري**. كان "ملازما للمطالعة، عابدا زاهدا"[2]

ومن الأوجه المطلوبة في التأهب للدرس كذلك، والمتعلقة بما سبق ذكره أن يخرج المعلم للدرس بعد أن يكون قد استكمل الجانب المعرفي في نفسه وفي ذهن، فيخرج "إلى المسجد على أكمل حال، وكماله هو ما أمر به قبل هذا من المطالعة للنصاب حتى يحصل في الفكر"[3] وبهذا يكون قد تحقق من استكمال الجانب المتعلق بالمعرفة، فيتم كمال هذا التحضير من خلال استكمال الجانب المتعلق بالمظهر والجانب الروحي فيتأهب للخروج صوب الكُتاب أو المسجد أو الزاوية التي يدرس فيها وهو على أفضل صورة، فيستحب في حقه أن يكون على طهارة حسية ومعنوية فمن حسن التحضُرِ للدرس "أن يخرج من منزله

1 النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص:178.

2 المرجع نفسه، ص:143.

3 سراج طلاب العلم، ص:105.

ذاكرا، خاشعا، متطهرا من الحدث والخبث، لابسًا أرفع ثيابه مما يليق نوعه بمثله في زمانه وبلده، قاصدًا بذلك تعظيم العلم، وتبجيل الشريعة، لا رياء وفخرا"[1] فكلما كان المعلم على كمال صورة ظاهرا وباطنا زاد ذلك في احترامه، وتقبل الانقياد له من المتعلم والسامع منه والأخذ عنه، فتحصل الفائدة وتدرك الغاية من وراء عملية التعليم.

ولو كان المعلّم على غير ما تم ذكره سابقا من حسن الصورة والمظهر مع مراعاة الجانب العلمي كذلك، لما تم تقبله من طرف المتعلم ولحصل خلل في عملية التعليم فقد يقوم المتعلم بالاستخفاف به أو ازدرائه والانقاص من قدره، وهذا يفضي إلى كسر القناة التي تربط المعلم بالمتعلم ويحدث اضطراب في سلوكيات المتعلمين تؤدي إلى تخطي حدود الآداب والتربية، كما قد يزهد المتعلم في المعلم في هذه الحالة فلا تتم عملية التعليم.

إن مهارة التحضير والتخطيط التي تسبق الدرس مهارة متجذرة في معلمي توات فلا يحضر المعلم في زوايا توات إلى مجلس التعليم إلا بعد أن ينقح درسه ويبحث فصوله ويراجع أصوله وفروعه وينظر في الكتب ليستخرج نفائسها، ويختار لهذا الفعل أفضل الأوقات، مسترشدا بأفضل وأجود الكتب وشروحها، وكل هذه العمليات إنما لأجل تبين مسالك الدرس والوقوف على الهفوات والأخطاء التي يمكن أن تعرض له أثناء التدريس لتجنبها وعدم الوقوع فيها، لكي لا يظهر أمام طلابه في ثوب المقصر أو غير المتمكن فينزل قدره عندهم، فينفضوا من حوله ويتركوا درسه، وهذا مما يعاب على أي معلم.

ويجدر بنا الذكر هنا أن التخطيط والتحضير المقصود في الزوايا قد يمكن في مرحلة معينة بعد اكتساب الخبرة الكافية أو الإطالة في تدريس علم واحد والثبات عليه أن تحصل للمعلم منه ملكة في هذا العلم، فيصبح يمتلك زمامه ويقدر على الغوص فيه دون التحضير والتخطيط الدائم بل على حسب الحاجة و الظروف، فقد تضطره لذلك مسألة أو درس معين

1 المصدر السابق، ص:105.

أو سؤال من متعلم، فيصبح التحضير والتخطيط في حق هذا المعلم ليس بالأمر الواجب دائما، خاصة إذا كان هذا المعلم له "حدة ذهن لا يحتاج معها إلى تكرار النظر؛ بل بأول نظر يهتدي إلى المراد، ويحصل على المقصود؛ بل ربما يستغني المحصل الممارس عن المطالعة في إقراء الكتب المتداولة من العلوم السهلة، كالنحو، وبعض كتب المعقول،"[1] وهذا يحصل كما سبق الذكر من طول الممارس أحيانا وكثرة التكرار، وفي بعض الأحيان قد يحصل فقط من حدة الذكاء واتقاد الذهن، فيكون المعلم لا يحضر التحضير الدائم وأن ما في بعض الحالات فقط. كيف لا وهذا حال الكثير من المعلمين في توات، فلقد ذكر عن محمد الصالح بن الشيخ سيدي البكري أنه كان "معروفا بالحكمة والدهاء، واليقظة والفطنة، متميزا بكثرة علمه وسعة صدره، مشتغلا بالعلم والتعليم مدرسا مفيدا وقارئا مجيدا"[2] فوجب في حق من له كل هذه الصفات أن يكون محيطا بجل المسائل اللغوية وغيرها لذا نجد في الغالب من يتصف بمثل هذه الأوصاف لا يرجع للتحضير إلا في بعض الحالات.

3) مهارة الشرح.

إن مهارة الشرح من بين أهم المهارات التي تتوسط عملية التعليم، بحيث تكون هذه الأخيرة أثناء أداء التعليم وتقديم الدرس، وهي من المهارات الأساسية التي لا يمكن الاستغناء عنها.

لا بد أن المعلم أثناء إدارته للدرس، وتسير مراحله من البداية حتى النهاية يقوم بالكثير من الوظائف، والمهام التي تتداخل مع بعضها البعض "وهذا يشمل الشرح، وإعطاء التعليمات، طرح الأسئلة، توجيه نقاش الصف"[3] وما يهمنا من هذه المهارات هي مهارة الشرح، هذا لأنها المهارة التي يقضي فيها المعلم الكثير من وقت الدرس وتستغرق منه

1 المصدر السابق، ص:103.

2 النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص:143.

3 مهارات التعليم الأساسية، ص:74.

الكثير من الجهد والوقت، بل هناك الكثير "من البحوث التي أكدت على أن فكرة وضوح الشرح (غالبا ما يشار إليه بوضوح المعلم)"[1] فالمعلم الذي يمتلك زمام القدرة على الشرح، في الغالب يكون مؤهلا للتعليم، وهذا لتوفره على سمة بارزة من السمات التي ترشحه ليكون معلما يمتلك شخصية تعليمية متفردة.

والشرح هو من المهارات الشفهية التي يعتمد عليها المعلم أثناء أدائه للفعل التعليمي، وقد يلجأ أحيانا للإشارة. فالمعلم "أثناء شرحه يستخدم صوته بطبقاته المختلفة، كما يستخدم يديه للإيضاح، بل وبقية أعضاء الجسم، مراعيا الحركات التي تعبر حقيقة عن الأفكار التي يريد توصيلها للطلاب"[2] بحيث يعد هذا الأمر وهو المزج بين الصوت والحركات الجسدية من بين أهم القدرات التي تظهر براعة المعلم في طريقة الشرح، لأن الحديث وحده دون التحرك وفق لغة جسدية واضحة تعزز من تركيز المتعلم وتثير لديه دوافع الانتباه، يعتبر من العيوب الشائعة المعروفة في طريقة الشرح وخاصة إذا أطال المعلم الشرح فـ "نادرا ما يأخذ شرح المعلم شكل المحاضرة لوقت طويل ولكن هذا لا يجب أن يحدث"[3] فهو كذلك من العيوب الشائعة في الشرح لأنه يصيب المتعلم بالملل من طول الاستماع وهذا بسبب استخدامه لحاسة السمع فقط لمدة طويلة لهذا يجب على المعلم الحاذق أن يريح سمع المتلقي ويستهدف الجانب البصري وهذا يكون من خلال الحركات الجسدية التي يقوم بها المعلم.

كما أن هناك طرق أخرى لكسر رتابة الشرح وجذب انتباه المتعلم وهذا من خلال الأسئلة لأن الشرح في الغالب "يتماشى جنبا إلى جنب مع طرح الأسئلة، مع انتقال المعلم

1 المرجع نفسه، ص:74

2 مهارات التدريس الفعال، ص:147.

3 المرجع نفسه، ص:74.

من سؤال آخر كلما كان ذلك مناسبا"[1] فمن شأن هذا الأمر كذلك أن يخفف على المتلقين من طول الاستماع لأن المعلم يستخدم "طريقة الشرح عندما يعجز المتعلمون عن فهم ما هو يدرس وبحاجة لتوضيح، فكلما تحدث المعلم وشرح أكثر كلما فهم المتعلم ما هو مطلوب."[2] ولهذا السبب يكون الشرح في الغالب هو المهيمن والسائد على طريقة المعلم في التعليم لأنه كثيرا ما يساعد المعلم على إفهام المتعلم.

وبما أننا نتحدث عن مهارة الشرح وقلنا بأنها مهارة تكون أثناء عملية التعليم، وتستغرق معظم مراحل التعليم ابتداء من التمهيد للعملية فالعرض ثم الخاتمة، لذا فهي مهارة مهمة جدا، فنوعية الشرح والطريقة التي يعتمدها المعلم "في بداية الدرس مهمة بشكل خاص لأنها تخدم عدد كبير من الوظائف"[3] فهي التي تربط المتعلم بالدرس وتشد اهتمامه اتجاهه، وتعطيه فكرة عامة حول ما هو بصدد دراسته وعن أهمية هذا الدرس.

1- شروط الشرح الجيد.

ومن الأمور التي يجب أن يتوفر عليها الشرح ليكون ذو فعالية وخادم لعملية التعليم ويصب في سياقها العام ليحقق الأهداف المسطرة ما يلي:

- **الوضوح:** بحيث يكون الشرح يتناسب مع عمر المتلقي فلا يخرج عن اطار استيعابه سواء من ناحية اللغة المستخدمة أو من ناحية القضايا العلمية التي يعالجها بل يكون الشرح مناسبا مع مستوى المتعلم.

1 المرجع السابق، ص:75.

2 أصول التدريس النظري والعملي، أحمد عيسى داود، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، ط1، 2014. عمان، الأردن، ص:255.

3 مهارات التعليم الأساسية، ص:74.

- **البناء:** ويكون من خلال ترتيب الأفكار وتقسيمها تقسيما مرتبا وتكون كل فكرة مرتبطة مع غيرها من الأفكار بطريقة منطقية تساهم في تكوين الفكرة العامة حول الدرس.
- **المدة:** لأن ذهن المتعلم لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يبقى مشدودا ومنتبها لمدة طويلة، فغالب ما يفقد المتعلم تركيزه إما من خلال الشواغل أو الإرهاق، لهذا يجب أن تكون مدة الشرح مدروسة بحيث تكون موجزة وشاملة لمختلف محتور الدرس.
- **الانتباه.** وهذا يكون من خلال تنويع طريقة الشرح بين ما هو لغوي وبين ما هو حركات جسمانية يقوم بها المعلم لزيادة تركيز واهتمام المتعلم.
- **اللغة.** يجب استخدام لغة مناسبة تكون بعيدة عن الغموض والتعقيد قريبة للأذهان غير مبتذلة ولا عامية تساهم في توسيع مدارك المتلقي واكسابه قاموسا لغويا سليما.
- **الأمثلة.** دائما ما يتم تذلل الصعب من خلال ضرب الأمثلة وخاصة إذا كانت هذه الأمثلة من محيط المتلقي سواء المحيط الثقافي والاجتماعي أو المحيط الجغرافي فهي نقطة مهمة أثناء الشرح.
- **الفهم.** بحيث يتوجب على الشارح دائما التأكد من فهم المتعلم لما هو فيه قبل أن ينتقل إلى غيره ويتبن الأمر من خلال الأسئلة أو بعض ردود الأفعال التي تظهر على ملامحهم.[1]

1 ينظر: المرجع السابق، ص:75-76.

2- مهارة الشرح داخل زوايا توات.

تعتمد زوايا توات في التعليم بصفة كلية تقريبا على أسلوب التلقين كما سبق الذكر، أي أن المعلم يتجه بطريقة مباشرة للمتعلم ويستهدفه، وغالبا ما يعتمد هذا الأسلوب على الإلقاء، بحيث تعد طريقة الإلقاء من بين أكثر طرائق التدريس انتشارا بين المعلمين وفي مختلف المراحل، وكما هي منتشرة في الزوايا والكتاتيب نجدها كذلك في المدارس والجامعات، وهي طريقة تعتمد على "عرض المعلم للمعلومات والمعارف على التلاميذ في عبارات متسلسلة، بأسلوب شائق جذاب، ومن صورها: المحاضرة، والشرح، والوصف، والقصص." [1] فالشرح إذا من بين أبرز صور الإلقاء.

تعد طريقة الشرح في المجمل طريقة قديمة في التعليم ولا تزال إلى يومنا هذا، فهو أحد "طرائق التدريس الأكثر شيوعاً منذ القدم وحتى هذا الوقت الحالي"[2] فكل الزوايا تعتمد على المعلم في التعليم والذي يعتمد بدوره على طريقة الشرح.

لذا نجد أن مهارة الشرح متجذرة عند مشايخ توات ومعلميها، فكانت ولا تزال مجالسهم شاهدة على طريقتهم المتفردة في الشرح، فمعظم وقت المعلم في الزوايا يقضيه في "تناول المتون بالشرح والتعليل العلمي المفصل"[3]، فنجد المتعلم في زوايا توات، يعتمد كل الاعتماد على شيخه فإذا كان مثلا في وقفة "في ألفية ابن مالك، فإن الشيخ يشرح معاني البيت، ويبن له المراد ويوضح له المقصود"[4] وهذا ديدانهم في الزاوية فالمتعلم لا يأخذ الأخذ المباشر من الكتب والمتون بل لا بد له من حفظها ثم عرضها على المعلم "فيعرض الطالب بمفرده عبارة من المتن على الشيخ، فيشرحها له، أو يتم العرض بصوت واحد من قبل مجموعة طلبة

1 مهارات التدريس الفعال، ص:147.

2 أصول التدريس النظري والعملي، ص:255.

3 مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، ص:118.

4 النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص:49.

الحلقة فبشرح الشيخ النص مع تقوية ذلك بالاطلاع على الشروح الخاصة لتلك المتون"[1] ومما يتوجب على الشيخ قبل الشروع في الدرس وبيان معاني مفردات المتن ومدلولاتها يقوم قبل ذلك بالتوطئة لدرسه لأنها " تزيل عن نور عقول الطلبة غطاء الجهل،"[2] وأما كيفية التوطئة فبأن "تذكر وجه الارتباط بين الكلام المتقدم لك تقريره في النصاب قبل، وبين الكلام الذي تريد أن تقرأه في نصاب يومك؛ إذ بذلك يعلم موضوع الكلامين، ويسهل الفهم على الطالب بمعرفته مناسبة هذا الكلام للسابق"[3] وأثناء الشرح غالبا ما "يورد الشواهد المتعلقة بالبيت، ويبين له الخلاف في المسألة إن وجد فيها"[4] وكل هذا يتم على حسب مستوى المتعلم فإن "الشيخ المدرس يشرح للتلميذ المتون الصغار ارتجالا حسب عقولهم وإدراكهم ومستوياتهم،

أما متون الكبار مثل العاصمية ومختصر خليل والألفية في النحو فإنه يشرحها لهم من الشروح ويفسر لهم مشكلاتها الفقهية ومفرداتها اللغوية والأمثلة الأدبية"[5] وهذا الأمر إنما يكون من خلال "فتح ما حفي من معانيه وتبيان مشكله، وشرح الألفاظ الغريبة منه بأن يبدلها بالواضحة عند المخاطب، لأن الإشكال والغرابة هما من أسباب عدم فهم الكلام، إذا كل كلام لم يفهم معناه فذلك لأحد الأمور الثلاثة: إما لعلة في الكلام، أو علة في المعنى، أو علة في السامع"[6] وفي الغالب لا يخرج الأمر عن هذه العلل.

ويحرص المعلم في زوايا توات كل الحرص على تفصيل وتبيان وشرح المتون التي يحفظها المتعلم سواء في النحو أو الصرف أو البلاغة فلا ينتقل للمتن الذي هو فيه حتى

---

1 المنهج التعليمي للمدارس والزوايا الدينية بحاضرة توات، ص:548.

2 سراج طلاب العلم، ص:107.

3 المصدر نفسه، ص:107.

4 النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص:49.

5 الرحلة العلية، ص:305/1.

6 ينظر: سراج طلاب العلم، ص:107-108.

"يحفظها ثم يدرس تفسيرها ومعانيها على الأستاذ المدرس المتخصص فيها فيفسرها له بيتاً بيتا وكلمة كلمة حتى يوقفه على معانيها ويطلعه على أسرارها"[1] وأثناء الشرح لا بد للمعلم من أن يحسن استخدام صوته كما يقول صاحب سراج طلاب العلم "ارفع صوتك أيها المدرس بقدر ما ينتفع به من هو في أبعد الجمع الحاضرين في درسك، ولا ترفع صوتك زيادة على ذلك فإنه مكروه"[2] ومما يجب كذلك مراعاته أثناء شرح المتن للطلاب هو بيان الضمائر على من تعود، "لأن ذلك أول وسيلة للفهم، وأعظم سبب للإدراك والعلم"[3] وجلب النفع في التعليم.

والمعلم في زوايا توات غالب ما يعمد أثناء شرحه للدروس إلى إدخال العلوم بعضها ببعض، فالزوايا التواتية "تجمع بين مختلف العلوم في المادة الواحدة أثناء التدريس"[4] فكثيرا ما نجد "أن المدرسين على اختلاف مستوياتهم لم يكونوا يلتزمون بالتوفيق عند مادة بعينها بل أنهم كانوا يتصدون غالبا لتدريس مواد عديدة "[5] فالمعلم في الزوايا ينتقل من علم إلى علم أثناء شرحه، فقد يكون في النحو فينتقل إلى الحديث، وذلك ربما بسبب حديث أورده على سبيل التمثل أو ينتقل إلى التجويد وعلم القراءات بسبب آية صادفته أثناء شرحه أو أوردها كشاهد على مسألة، والعكس صحيح فكثير ما يجنح أثناء شرحه من الفقه للغة والنحو، "فمثلا يقف الشيخ عند المعاني اللغوية والأدبية أثناء الشرح لجملة من جمل متن ما، إضافة إلى المادة الأساسية للمتن التي ينصب عليها الشرح، فيضم هذا المنهج أثناء الشرح التربية والتعليم"[6] وهذه الطريقة في الشرح والتدريس هي الغالبة في معظم زوايا توات، ومازال شيوخ

1 الرحلة العلية، ص:349/1.

2 سراج طلاب العلوم، ص:106.

3 المصدر نفسه، ص:108.

4 المنهج التعليمي للمدارس والزوايا الدينية بحاضرة توات، ص:555.

5 توات والأزواد، ص:248.

6 المنهج التعليمي للمدارس والزوايا الدينية بحاضرة توات، ص:555.

الزوايا يعملون بها إلى يوم الناس هذا، بحيث يقوم المعلم بالوقوف "عند البعد اللغوي والفقهي والأصولي للفظ وإيحاءات المعنى التربوي أيضا، كشرح عبارة مصنف محمد بن علي بن عاشر مثلا في قوله:

الحمدُ للهِ الذي علمنَا *** مِن العلومِ مَا بِهِ كَلفنَا

فيعرب الشيخ مفردات الجملة لغويا، ثم يقف عند المعنى الاصطلاحي لها، ليختم بالتوجيه العقدي"[1] ويعد إعراب المتون بصفة عامة سواء ما تعلق بالمتون اللغوية وغير اللغوية أثناء الشرح من أبرز النقاط التي تميز المعلمين في الزوايا، فيتوجب على المدرس دائما الرجوع بعد تبيان معنى المتن "إلى بيان إعرابه، لأن الإعراب هو الموصل إلى الصواب"[2] وعلى المدرس أثناء الإعراب أن يحرص على بيان "عامل كل محرك أو مسكن كيفما كان ذلك العامل، كان عاملاً بالأصالة، أو بالحمل على الفعل، كان حرفاً، أو فعلاً، أو اسماً، أو اسم فعل"[3] فلا يمكن في الزاوية الخوض في شرح المتون دون إعرابها وهذا ما يعزز من تمكن طلبة الزوايا من قواعد اللغة العربية كالنحو والصرف والبلاغة.

ومن أمثلة ذلك أيضا ما أورده صاحب رحلة بن زكور في رحلته مبينا ما دار بينه وبين النحوي أبو عبد الله محمد بن زكريا وهو يدرسهم الفقه، حين قوله "ونكاح التفويض جائز أن يعقداه ولا يذكران صداقا"[4] فقال الشيخ بأن الواو هنا "ولا يذكران صداقا، واو الحال، والفعل المضارع بعدها في محل نصب على الحال، وليست واو للعطف،... فأوردت عليه أن هذه الجملة لو كانت حالا لوجب حذف الواو منها، لأن الفعل المضارع المنفي بـ: (لا) إذا وقع حالا يجب أن لا يقرن بالواو، نحو قوله تعالى : وما لنا لا نؤمن بالله المائدة :الآية

1 المرجع السابق، ص:556.

2 سراج طلاب العلم، ص: 108.

3 المصدر نفسه، ص:109.

4 من ذخائر التراث المغاربي، ص:185.

84. فأجاب بديهة، بأن مجيء الواو هنا على رأي من جعل الواو قبل (لا) أكثريا فقط، لا كلّيا وأنشد على ذلك قول الشاعر:

وكُنتُ لاَ يَنْهَنْهَنِي الوَعِيدُ" [1]

ويبين لنا هذا المثال كيفية الشرح التي كانت ولا تزال عليها الدروس في الزوايا، رغم أن هناك من له موقف من هذا الخلط بين العلوم كابن خلدون الذي ذكرنا موقفه من هذه القضية فيما سبق من الفصول، وقيده بشرط عدم الإكثار لكي لا يحدث تشتت لذهن المتعلم، بينما هناك من يرى فيها جوانب إيجابية حيث "تخدم كل مادة غيرها وفي نفس الوقت يأخذ الطالب من هذه الطريقة الجوانب الروحية والأخلاقية التي تنبعث من إيحاءات الألفاظ ولو كانت مواد لغوية أو منطقية"[2] ومما يبرر هذا الخلط هو كون المواد التي يتم تدريسها في الزوايا تكون في الغالب مرتبطة ومتداخلة مع بعضها البعض.

كما يعتمد المعلم في الزوايا أثناء شرحه كذلك على المزج والمزاوجة بين ما هو منقول وما هو معقول، معتمدا على أمهات الكتب من المصادر والمراجع التي تحتوي تفاصيل المسائل التي يعالجها فينقل من هذه الكتب الشواهد والأدلة لبيان أصول المسائل ووجه الخلاف فيها فلقد كان الشيخ عبد الله بن أحمد الحبيب البلبالي "مبسطا للطلبة في جلب النقول بالمعقول... مع أنه قد شفع المنقول بالمعقول"[3] وهذا دليل على أن الشيخ كان "عارفا بصناعة التدريس"[4] وكان الشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم "لسان الحكمة ودونها، مجلي غياهب المشكلات، ورافع القناع عن وجوه المعضلات، المذلل ببلاغته رقائق العويصات"[5]

1 ينظر: المصدر نفسه، ص:185.

2 المنهج التعليمي للمدارس والزوايا الدينية بحاضرة توات، ص:555.

3 ينظر: قطف الزهرات من أخبار علماء توات، محمد عبد العزيز سيدي عمر، دار هومه، 2002م، الجزائر، ص:45.

4 المرجع نفسه، ص:45.

5 النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص:133.

وبهذا يتم فتح وتوسيع مدارك المتلقي ويتعلم كذلك طريقة الاستدلال وتوثيق الأدلة وحسن توظيفها في سياقاتها المعرفية.

وينصح للمدرس في الزوايا كذلك "أن يرتل كلامه ويبينه، ولا يعجل به أثناء تصوير المسائل التي يقرؤها، ويكرر ما كان مشكلا من المسائل حتى يفهم، فإن المقصود من الإقراء هو تفهيم الحاضرين، فربّ مسألة تفهم من أول الأمر لسهولتها، وربّ أخرى لا تفهم إلا بعد تكريرها وبيانها"[1] لذا يقوم الشيوخ في الزوايا على التأكد من فهم الطلاب واستيعابهم لدروس قبل الانتقال من متن لآخر أو من شرح لغيره، ولهذا يعمد الشيخ لبيان المتن سطرا بسطر ولو اضطر للإعادة لأنه لا "عيب على المستفيد الذي لا يحفظ من مرة إذا استعاد، ولا عذر للمفيد إذا لم يعد، بل الإعادة عليه آكد من الابتداء"[2] فلا يجب على المعلم الانتقال مما هو فيه حتى يتأكد من فهم الطلاب لقوله واستيعابه.

ومن شروط الشرح الجيد هو امتلاك الأداة التي بها يتم الشرح وهي اللغة العربية الفصحى، يزيد في براعة معلمي توات هو فصاحة اللسان فمعلوم أنه كلما كانت اللغة سليمة كلما كانت أنفع في الشرح وأرسخ في أذهان المتلقي، ولهذا نجد في زوايا توات أنه لا يتصدر للدرس والتعليم إلا من كان فصيح اللسان بليغا، حتى يقدر على تبيان وشرح الدروس على أحسن حال، ومن أمثلة ذلك ما روي عن الشيخ عبد الله بن أحمد الحبيب البلبالي فقد قيل أنه "اتفق العدو والصديق على براعته وحسن لهجته، ... فكان فصيح اللسان محض الجنان."[3] وهذا ليس شأنه وحده فورد عن أحمد ديدي بن محمد العالم أنه "كان في مجلس الدرس لا يتكلم إلا العربية الفصحى، ولا يحبذ العامية ولا ينطقها في مجلسه، لأنه كان يرى أن التلميذ لما يسمع الدرس بالفصحى يكون ذلك أقرب إلى رسوخ لفظ

1 ينظر: سراج طلاب العلم، ص:106.

2 المصدر نفسه، ص:107.

3 ينظر: قطف الزهرات من أخبار علماء توات، ص:44-45.

العربية في ذهنه وعقله."[1] وهذا مما أدركه شيوخ زوايا توات حول سر أخذ اللغة العربية ، أنه يكون في الغالب من السماع فلا يعقل أن يتحدث المعلم بالعامية ويعتقد من بعدها أن الطالب يكون فصيح اللسان.

ولا يعني أن المعلمين في زوايا توات كانوا أثناء الشرح يتقعرون في اللغة العربية ويتكلفون البعيد منها، بل "أثناء الشرح كان الشيوخ يختارون العبارات المبسطة لكي يتمكن طلابهم من استيعاب ما يقولونه"[2] وقال أبو حفص عمر الأكبر التنلاني التواتي عن مجلس درسه أنه "كان الطلبة يزدحمون على مجلسي في التدريس ويرغبون فيه، لا لكوني أفقه من غيري، بل غيري أفقه مني وأحسن، ولكن لكوني كنت أوضح لهم المسائل، وأُفَهِّمها وأبينها لهم جهدي، بعبارة سهلة، وأختار الفهم والبيان لهم، على تحسين العبارة والتأنق فيها، بنية خالصة، فانتفعوا بسبب ذلك عليّ انتفاعا كثيرا"[3] فالأصل أن يعرف المعلم ما يحتاج إليه الطالب في كل مرحلة على حسب عقله، فلا يعطيه إلا قدر الكفاية.

وقد يسأل السائل كيف يمكن لمعلم الزاوية في توات الجمع بين كل هذه الأمور في شرحه لدرسه، وأن له هذه المهارة؟ والسر وراء ذلك هو ما كان يتميز به معظم معلمي توات من جمع شتى العلوم والتبحر فيها فأغلبهم كان يدرس علوم اللغة مع الفقه مع الحديث والمنطق، وكثير ما يجيد صناعة التأليف وقرض الشعر، فلقد كان ابن أبّ مثلا " شاعرا مفلقا بليغا لغويا تصريفيا عروضيا رائق الخط"[4] وكان الشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم قد تميز "بمعارف عديدة، وعلوم كثيرة، فقد كان الأديب الشاعر، الفصيح اللغوي البارع، الإمام العارف والتقي الورع، صاحب المعرفة والدراية، من كانت له اليد الطويلة في العلم كم حديث

1 النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص:178.

2 توات والأزواد، ص:248.

3 من ذخائر التراث المغاربي، ص:193.

4 الرحلة العلية، ص:134/1.

وفقه ونحو وتفسير."[1] وكذلك كان الشيخ عبد الله بن أحمد الحبيب البلبالي فقد كان يدرس المتون من حفظه وذلك "بأسلوب عظيم تطمح إليه البصائر والأبصار، وتستمد منه الفهوم، فهو لا يفتر من طول المطالعة والتقيد، ولا يسأم من طول مدارس التقرير والتحرير واقفا موقف التجريد"[2] فكان "لا يسأم من بذل العلم والإفادة إذا فاتح الدرس خامر عقول الحاضرين بقريره الزاهر. وإذا تكلم عن مسألة رايته كالبحر الزاخر. يقطف من الأزهار ما يشفي غليل السائل"[3] فلا يسأم ولا يمل المعلم في زوايا توات بل يبذل كله للعلم والتعليم وهذا حال أغلبهم، لهذا نجد كل جيل قد عمل على تكوين الجيل الذي بعده أحسن تكوين.

ومن أبرز ما يمكن أن نعيب على طريقة الشرح في الزوايا هي سيطرة المعلم على المشهد التعليمي مما يفقد المتعلم في الكثير من الأحيان التركيز والانتباه، كما أن سكوته وتلقيه للعلم بتلك الطريقة في الغالب يفقده القدرة على النقد وحل المشكلات والإبداع.

4) مهارة التقويم النهائي (الختامي).

وكما سبق الذكر من قبل أنه يتوجب على المعلم أن يتسلح بالعديد من المهارات التي تساعده على القيام بعملية التعليم على أحسن وجه، وأن يمتلك الكفاية فيها، وتكون هذه الكفاية تشمل مختلف مراحل التعليم بحيث يتوجب على المعلم أن يمتلك مهارات قبل وأثناء الدرس وأخرى في نهايته.

ويعد التقويم من بين أهم مهارات التعليم، لذلك يجب أن يتحلى المعلم بهذه المهارة وأن يعمل على اكتسابها وتطويرها وفق آليات وطرق منهجية، وهذا لما لها من أهمية بالغة في عملية التعليم والتعلم، فالتقويم "عنصر هام من عناصر المنهج، وهو عملية تشخصية

1 النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص:133.

2 ينظر: الرحلة العلية، ص:98/1.

3 قطف الزهرات من أخبار علماء توات، ص:43.

علاجية وقائية، تستهدف الكشف عن مواطن الضعف ومواطن القوة في العملية التعليمية، بقصد تحسين عمليتي التعليم والتعلم وتطويرها بما يحقق الأهداف المتوخاة"[1] من ورائها فيساعد التقويم على معرفة الخلل في وقته ومعالجته.

تعريف التقويم.

ويتم تعريف التقويم من قبل علماء التربية بالعديد من المفاهيم منها.

أن التقويم هو "قياس مدى تحقق الأهداف التربوية"[2]

ويعرف كذلك على أنه "عملية إصدار حكم بناء على معايير معينة في ضوء بيانات أو معلومات (كمية أو كيفية) عن فكرة، أو ظاهرة، أو موقف، أو سلوك.[3] فالتقويم عبارة عن طريقة يمكن من خلالها قياس أداء المتعلمين ومدى تحكمهم في المادة العلمية وتحقيقهم لتقدم السلوكي المطلوب منهم.

1- أنواع التقويم.

والتقويم يصاحب المعلم من بداية العملية التعليمية إلى غاية النهاية وبناء على هذا ينقسم التقويم إلى ثلاثة أقسام.

- **التقويم القبلي:** "له دور المهيئ لعملية التعليم بشكل عام"[4] ويكون قبل الشروع في عملية التعليم.

1 أساسيات التعليم والتعلم –توجيهات حديثة وتطبيقاتها–، ص:144-145.

2 مهارات التدريس الفعال، ص:171.

3 التدريس نماذجه ومهاراته، كمال عبد الحميد زيتون، دار عالم الكتب، ط1، 2003، القاهرة، مصر، ص:542.

4 مهارات التدريس الفعال، ص:173.

- **التقويم البنائي:** "يصاحب العملية التعليمية وتساعد نتائجه في بناء أسس سليمة وتوجيهها نحو تحقيق الأهداف المرجوة منها"[1]. وهذا النوع يكون أثناء العملية التعليمية ويلجؤ إليه المتعلم لمعرفة مدى التقدم الذي تحرزه عملية التعليم.
- **التقويم النهائي:** "يأتي في نهاية عملية التدريس، ويهتم بالكشف عن الحصيلة النهائية من معارف ومهارات وقيم"[2] وهو تقويم يساعد المعلم على تثمين المتعلم وإطلاق حكم عليه.

والتقويم كما أسلفنا الذكر ينقسم إلى عدة أنواع وهذا على حسب الاعتبارات، والذي يهمنا في هذا البحث هو التقويم النهائي الذي يقوم به المعلم تجاه المتعلم، ولهذا النوع من التقويم أهمة أكبيرة تساعد في تحقيق الأهداف التربوية التي ننشدها من وراء عملية التعليم والتعلم، لهذا "ينبغي أن يلجأ المعلم إلى جميع المصادر التي تمده بالأدلة والحقائق والشواهد على نمو المتعلم نحو الأهداف المنشودة سواء كانت الأدلة كمية أو فرعية أو وصفية أو موضوعية أو ذاتية"[3]، وتكمن أهمية التقويم النهائي باعتباره قادرا على قياس درجة التعلم بعد تمام المرحلة التعليمية أو الدرس، فالكل يولي الاختبارات أهمية كبيرة وهي شكل من أشكال التقويم النهائي.

2- أهمية التقويم.

توجد عديد النقاط التي تبرز أهمية التقويم في تحسين عملية التعليم والتعلم، والدور الذي يؤديه في تطوير الدرس التربوي بصفة عامة، وهذه الأهمية الكبيرة التي يكتسبها التقويم في العملية التعليمية التعلمية راجعت لكون التقويم يشمل مختلف العناصر المكونة لهذه

1 المرجع السابق، ص:173.

2 نفسه، ص:173.

3 المرجع في صعوبة التعلم "النمائية والاكاديمية والاجتماعية والانفعالية"، سليمان عبد الواحد يوسف إبراهيم، مكتبة الانجلو المصرية، ط1، 2010، القاهرة، مصر، ص:114.

الأخيرة بحيث يستفيد من التقويم كل من المعلم والمتعلم والمنهج الدراسي، فكل عنصر منها يستفيد في جانب من الجوانب التي نرمي إليها من خلال التقويم.

- يعد التقويم من بين أبرز المهارات التي تساعد على تشخيص العملية التعليمية فهو "يساعد القائمين على أمر التعليم على رؤية الميدان الذي يعملون فيه بوضوح"[1]
- تنمية الشعور بالرضا والشعور الجيد[2]
- يساعد التقويم على إعطاء حوصلة عامة حول الأهداف التربوية المسطرة بحيث يمكن من خلالها "الحكم على قيمة الأهداف التربوية، ويبين مدى صحتها أو خطئها، والبقاء على الأهداف الصحيحة"[3]
- يتم الاعتماد على التقويم في بيان مدى نجاعة طرق التدريس وبيان أوجه القوة ومكمن الضعف في المنهج الدراسي، ولهذا يساعد التقويم على "اتخاذ القرار بشأنه سواء كان ذلك القرار يقضي بإلغائه أو الاستمرار فيه وتطويره"[4].
- تنمية القدرة على التفكير الناقد[5]
- يعتبر التقويم عنصر فعال في تحفيز المتعلمين نحو التقدم للأهداف التعليمية والتربوية وهذا من خلال "التعرف على نواحي القوة والضعف في تحصيل المتعلمين"[6]
- اختبار واستخدام المصادر والوسائل الأكثر فعالية للتعليم[7]

1 مهارات التدريس الصفي الفعال والسيطرة على المنهج الدراسي، ص:71.

2 أساسيات التعليم والتعلم، ص:145.

3 أصول التدريس النظري والعملي، ص:357.

4 مهارات التدريس الصفي الفعال والسيطرة على المنهج الدراسي، ص:71.

5 أساسيات التعليم والتعلم، ص:145.

6 أصول التدريس النظري والعملي، ص:357.

7 أساسيات التعليم والتعلم، ص:146.

- وكما يساعد التقويم المعلم في إدراك مواضع الخلل وعلاجها يساعد كذلك المتعلم في "جعله يدرك موقعه من تقدمه هو ذاته ومن تقدمه بالنسبة لزملائه، وقد يدفعه هذا نحو تحسين أدائه"[1]
- ويعنى التقويم كذلك بنقطة مهمة تخص المتعلم بحيث يتيح لنا التعرف على "قدرات الطلبة والمهارات التي يمتلكونها والوقوف على مدى ملاءمة تلك القدرات والمهارات التي يمتلكها الطلبة للتعلم"[2]

5) **التقويم في زوايا توات.**

وبعد أن تطرقنا في السابق إلى مهارات تكون في بداية الدرس ومهارات في أثناء الدرس نتطرق في هذا الموضع إلى التقويم وكيف يتم في زوايا توات، والتقويم هو في الأصل مهارة تتماشى مع المعلم من بداية الدرس حتى النهاية، لذلك لا يمكن القول أنه مهارة ختامية، إلى في الجزء المتعلق بالتقويم الختامي الذي يكون في نهاية الدرس، ويكون كذلك في نهاية مرحلة أو برنامج دراسي.

يختلف التقويم في الزوايا عما هو عليه في المدارس والجامعات، وهذا الاختلاف يرجع لخصوصية التعليم في الزوايا، سواء في ما تعلق بالمنهج أو الوسائل التعليمية، أو الأهداف المسطرة، ولكن من ناحية المفهوم والغايات يتشابهان، فكما يرمي المعلم في المدرسة من وراء التقويم الوقف على مكامن النقص والضعف ويسعى لتداركها ويثمن مكامن القوة، كذلك يفعل معلم الزوايا فهو يسعى من وراء التقويم لاكتشاف عيوب طريقة التدريس وكذا اختبار قدرة كل طالب وقدرة المجموعة على التعاطي مع اكتساب العلم والمعرفة.

1 ينظر: مهارات التدريس الصفي الفعال والسيطرة على المنهج الدراسي، ص:72.

2 ينظر: أساليب تدريس العلوم في المرحلة الأساسية، زيد الهويدي، دار الكتاب الجامعي، ط2، 2010، العين، الإمارات العربية المتحدة، ص:267-268.

والتقويم في الزوايا ليس له ذلك المنهج البين وتلكم الطريقة الواضحة، كالذي نجده عند المعلم في الجامعة أو المدرسة بحيث يملك هذا الأخير مجموعة من الأدوات والطرق والآليات التي تكون في الغالب مرسومة له مسبقا، ولكن التقويم في الزوايا مختلف في طرقه وأدواته، بحيث بل نلمسه من خلال بعض المواقف التعليمية هنا وهناك التي تكون في بعض الأحيان عبارة عن سؤال أو توجيه، وقد يكون حتى تفرس للمعلم في حق المتعلم يعتمد فيه على حسه وخبرته في التعليم.

1- مظاهر التقويم في زوايا توات.

يختلف التقويم في زوايا توات فأول مظاهر التقويم تكون في مرحلة الكتاتيب فالمتعلم لا ينتقل من مرحلة إلى أخرى حتى يتقن أولا كتابة الحروف، فـ "إذا أتقن الحروف فإن المعلم يكتب له أسفل اللوح الآيات ثم يأمره بنقلها"[1] وبعد ذلك يتم اختبار تمكن الطالب من الكتابة فـ "إذا أحسن الخط وصار خبيرا بالكتابة والإملاء فإن المعلم عندئذ يملي عليه الآيات ليكتبها في لوحه ليقوم بشكلها أولا ثّم يقوم المعلم بمراقبتها ثانيا"[2] وبعد أن يتأكد المعلم من أنه قد أتقن الخط يقوم و"يرتل لكل طالب ما هو مكتوب في لوحه مرة أو مرتين حتى يتمرن على قراءة ذلك لوحده"[3] وهذا العملية تعطي المتعلم فرصة للاقتداء بمعلمه لكي يحسن مخارج الأصوات عنده.

ولا تنتهي هذه المرحلة إلا بعد أن يتأكد الشيخ أو المعلم من أن الطالب أصبح "يهتم بتصحيح ما كتبه في لوحه وتقويم رسمه وضبطه وقراءته له قراءة سليمة خالية من اللحن"[4]

---

1 الرحلة العلية، 294/1.

2 المصدر نفسه، ص:294/1.

3 نفسه، ص:348/1.

4 حياة الكتاب وأدبيات المحضرة صور من عناية المغاربة بالكتاتيب والمدارس القرآنية، عبد الهادي حميتو، ج2، دار أبي رقراق، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 2006م، الرباط، المغرب، ص:579.

بعد أن يتم كل أطوار هذه المرحلة تأتي مرحلة الزاوية، ولا ينتقل إليها إلى بعد أن يتقن كل ما سبق ذكره.

2- تقويم الحفظ

يعد اختبار الحفظ لدى المتعلمين من أهم المظاهر التي تجسد التقويم في زوايا توات، فإنه لا يمكن للمتعلم في زوايا توات الانتقال من مرحلة إلى مرحلة ثانية إلى بعد أن يقوم القائم بالتعليم فيها من التأكد أن الطالب حفظ ما اكتسبه في المرحلة التي سبقتها، فمثلا لا يمكن للطالب أن ينتقل لمرحلة تعلم المتون إلى بعد أن يتحقق المعلم من أنه "حفظ القرآن حفظا صحيحا دقيقا سليما على رواية ورش"[1] فلا يتم تدريس الطلبة المتون إلى بعد يتحقق المعلم من أنهم "أتموا حفظ القرآن وقاموا بعرضه عن ظهر قلب على مسامع الشيخ"[2] فإذا كان الأمر قد تم، ينتقل الطالب بعدها إلى الزاوية.

فكان الشيخ أحمد ديدي بن محمد العالم لا يفتح لأي طالب في المتون التي يدرسها إلا بعد أن يتأكد من حفظه للقرآن "فقد كان الطالب بمجرد أن يحضر للمدرسة، يسأله: هل ختمت القرآن أم لا ؟، فإن تبين له حفظه، وذلك بعد استظهاره أمام المكلف بالتدريس بدأ له الوقفة في ابن عاشر، والأجرومية، وإن وجده غير حافظ بدأ له ابن عاشر فقط، والباقي حتى يكمل حفظ كتاب الله"[3] وبعدها ينتقل لحلقة تعلم المتون.

ومما ورد في هذا الباب هو ما وقع للحاج محمد بن عبد الكريم بن امحمد حين التقاه الشيخ أبو سالم العياشي أخذ "يسأله المسألة بعد الأخرى، والكتاب بعد الكتاب، حتى قال له

1 توات والأزواد، ص:247.

2 المرجع نفسه، ص:251.

3 النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص:177.

العياشي: ما بقي لنا إلا علم العروض،"[1] ومن بعدها قام الشيخ في اليوم الذي يليه "وقال له: اليوم يوم العروض قال أي نعم، فبدأ يسأله ويجيبه حتى أتم أسئلته ومباحثاته، فقال له: إنك عالم وابن عالم."[2] فلم يكن حكم الشيخ على الطالب إلا من بعد ما أخضعه لكل هذه الاختبارات، وبهذا يكون قد قام بتقويمه.

3- الإجازات.

كما في المدارس النظامية تعطى للطالب بعد نجاحه في كل مرحلة من المراحل شهادة تؤكد أنه نجح في الامتحانات النهائية، كذلك يتم امتحان واختبار المتعلمين من قبل المعلم لمعرفة إلى أين وصل الطلاب في فهم وحفظ واستيعاب الدروس في الزاوية، وكما يتم تكريم الطالب المجد والمجتهد في المدرسة والجامعة وهذا من خلال منحه علامة جيدة أو تقدير شفهي نحو حسن وجيد وممتاز وكذا منحهم شهادات نهاية مرحلة معينة نجد كذلك هذا الأمر يتم في الزوايا التواتية ولكن بنمط آخر، حيث "يتحصل المتعلم بالزوايا عن طريق شيخه إجازة تثبت استيعابه للمواد التي درسها على شيخه"[3] وبهذه الطريقة يتم تقدير المجتهد والمتفوق في الزوايا، وعند الانتهاء من متن معين، يتم تقويم الطالب باختبار في الغالب يكون شفهي، ويمنح إجازة من قبل الشيخ أو المعلم وتكون هذه الإجازة أما شفهية أو كتابية.

ومن شروط المُجيز أن يكون هو الآخر مجازا لأنه لا يتصدر لأمر التعليم في زوايا توات إلا من كان يملك إجازة في ذلك وهذا من مظاهر تقويم المعلمين ومما ذكره الشيخ باي بلعالم في كتابه الرحلة العلية وخص بالذكر تدريس كتب الحديث أنه "لا يتصدى لقراءتها إلا

1 المرجع السابق، ص:128.

2 المرجع نفسه، ص:128.

3 توات والأزواد، ص:265.

من له كفاءة تؤهله لتدريس الحديث من مجاز عالم أو حضور شيخ ماهر"[1] فلا يتقدم إلا من تم التأكد من قدرته وتمحيص مهاراته.

وأول الإجازات التي يتحصل عليها المتعلم في زوايا توات هي إجازة حفظ القرآن الكريم فمن العادات التي تسود زوايا توات أنه "إذا ما حفظ الطالب القرآن العظيم واستظهره على شيخه فإن له الإجازة في القراءة والإقراء بالأسانيد التي تلقاه عن مشايخه"[2] وبهذا فقط يمكن أن يقول المتعلم للقرآن أنه قد حفظ القرآن فلا يأخذ القرآن من المصحف بطريقة مباشرة بل لا بد له من شيخ يجيزه.

وكلما أتقن الطالب علما أو فنا تحصل على إجازة من شيخه "ومن العادة الحسنة أن الطالب إذا أتقن فنا من الفنون العلمية يمنح إجازة من طرف شيخه بمقتضى ذلك"[3] ومن عجائب التقويم التي صادفنها في الكتب والتي كان يعتمد عليها بعض المشايخ قديما في تقويم طلابهم، أنه كان الطالب إذا طلب الإجازة من شيخه كان يقول له: "اذكر لي تصريف الإجازة ووزنها فإن أحسنت ذلك أجزتك، ويزيد على هذا الطلب شرطا أخر هو أن يقرأ عليه مقامات الحريري في اللغة"[4] ويظهر هذا الأمر حقيقة التعليم في الزوايا، وأنه مبني على الكثير من الأسس العلمية المتينة.

وعلى العموم فإن الإجازات التي تمنحها الزوايا التواتية تنقسم إلى ثلاثة أنواع.

- إجازة سماعية: وهي تعني أن الطالب يمتلك القدرة على تتبع أقوال العالم وحفظها.
- إجازة عرض: تعني سرد الطالب على شيخه ما حفظه من معلومات مع استذكار للنصوص ومعرفتها بشروحها

1 الرحلة العلية، ص:300/1.

2 المصدر نفسه، ص:297.

3 نفسه، ص:297.

4 ينظر: النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص:219.

- إجازة كاملة: فهي عادة ما تكون في آخر مرحلة تعليمية وهي المرحلة التي يصل فيها الطالب إلى ذكر الأسانيد وإرجاعها إلى مصادرها الأولى ومعرفته للروايات بعد التمكن من العلم الذي درسه[1]

4- التوجيه والإرشاد.

ويكون هذا من خلال تعديل سلوك معين، وإما أن يكون هذا السلوك فرديا أو جماعيا، فالفردي يكون أما بالضرب، أو النصح، فالضرب التأديبي هو من أبرز الأدوات التي يعتمد عليها المعلم في زوايا توات ومما ورد في هذا الباب أن الشيخ أحمد ديدي أن أخاه البكري "كان يقسوا عليهما هو وأخوه سيدي محمد صالح في بعض من الأحيان، وذلك من أجل المعرفة والتعلم"[2] تقويم سلوك المتعلمين تجاه بعضهم البعض ويذكر الشيخ أحمد ديدي أنه لما كان في مجلس شيخه "سأله عن مسألة من المسائل فتورع الشيخ عن الإجابة، وكان هذا في بداية دراسته، فضحك الطلبة استهزاء به، فقال لهم الشيخ وفي حدة من غضب: إن هذا الذي رأيتم منه ما حصل الأن، سوف بفضل الله يعرف من السماء الحمام الذي يمر فوق سطح بيتهم"[3] وهذا من طرق التحفيز ورفع همة الطالب ومعالجة الموقف الذي تعرض له الطالب، بهذه الطريقة يدل على مهارة المعلم في تدارك ما قد يكون سببا في انكسار نفس المتعلم.

ومما وقع لشيخ سيدي عبد الكريم بن امحمد بن أبي محمد التواتي "أنه أول ما حضر درس أبي الفرج سيد سعيد، كانت عزيمته الرحلة إلى تلمسان، لكن الشيخ تفرس ما حاك في خاطره فقال له حين فرغ من درسه: يا فلان: هذا نحن، اشتر ما رأيت، اتفقت أهل الفنون، أنه لا يترك المحقق للمظنون، وذلك أن قراءتنا هذه محقق أن تصيبها، وقراءة تلمسان قيل

1 ينظر: توات والأزواد، ص:264/265.

2 النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص:175.

3 المرجع نفسه، ص:176.

تصبها وقيل لا تصيبها،... فانتقل رحمه الله عن تلك العزيمة"[1] وفي هذا الأمر دلالة على حرص المعلم على إخلاص النصح للمتعلم وإرشاده لما ينفعه.

وكان الشيخ بن الكبير كذلك يعمد إلى تقويم طلابه وذلك من خلال التفرس فيهم فكان يكرم من "رأى فيه أهلية للتحصيل... سيما من ظهرت له فيه النجابة"[2] فكثيرا ما يقوم المعلم في زوايا توات بإكرام المتفوقين والإشارة إليهم ليكونوا قدوة لغيرهم.

وبهذا يمكن القول بأن مهارات التعليم في زوايا توات هي عديدة ومتعددة تخدم في الكثير من الأحيان كل العملية التعليمية وتشمل جميع مراحلها وعناصرها، في الغالب، وهي مهارات متجذرة فيهم قد ورثها كل معلم عن معلمه وعمل على توريثها لمن بعده، فجاءت مهاراتهم التعليمية تتسم بالعفوية والتلقائية بعيدة عن التكلف.

وهذا ما خدم الدرس اللغوي في زوايا توات وحافظ على اللغة العربية حية في المنطقة كلما ذهب جيل جاء بعده آخر حمل المشعل عمن سبقهم، فهذا يؤلف وذاك يدرس والأخر يرحل في طلب العلم خارج توات، وكل هذا ساهم في بقاء منطقة توات إلى يوم الناس هذا مكانا يتخرج منه الكثير من الرجال ممن حملوا هم اللغة العربية وعكفوا على خدمتها.

1 المرجع السابق، ص:122.

2 قطف الزهرات من أخبار علماء توات، ص:12.

الفصل الثالث: مهارات التعلّم في الزوايا التواتيـة.

يعد العقل ميزة خص بها الله الإنسان، فهو مناط التكليف ومكمن الفكر والمعرفة ومصدر الإبداع والإلهام والأداة التي يميز بها بين الحق والباطل وبين الصحيح والخاطئ، ولا يصل الإنسان بعقله لتلك المرحلة –أي مرحلة الإبداع والإلهام والمعرفة والتميز...– إلا إذا عمل على شحذ عقله والأخذ بأسباب تزويده بمصادر العلم والمعرفة.

ويعد التعلم من أبرز الأسباب التي تمكن الإنسان من إنارة عقله وتغذيته وتطوير تفكيره، لهذا كان أول ما نزل من رب العالمين على الرسول صلى الله عليه وسلم هو قوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ سورة العلق الأية 01، وفي هذا دلالة واضحة على أن القراءة بمفهومها المطلق والكلي، هي من أهم أسباب التعقل والمعرفة، والتعلم أحد أهم مفاتيح القراءة، لهذا يتوجب على من يرمي الوصول إلى كمال العقل أن يأخذ بلجامه ويشد عليه للوصول إلى طرق أبواب العلم.

وبما أننا في معرض الحديث عن العقل والعلم والمعرفة لابد من أن نذكر أحد أهم وأبرز العوامل والوسائل المساعدة على ذلك ألا وهو اللغة، وهذا باعتبار أن اللغة هي وعاء الفكر وأداة المعرفة، لهذا يتوجب على من يريد التعلم أن يمتلك لغة تمكنه من ذلك، وهذا الشرط لا بد من تحققه، فنجد على مرّ التاريخ والأزمنة أن مختلف المؤسسات التعليمية سواء كانت مدارس أو معاهد جامعات أو زوايا وكتاتيب، تقوم بتعليم المتعلمين لغة تساعدهم على اكتساب المعارف والعلوم، ويتكفل بهذا الأمر في الغالب مجموعة من المعلمين والأساتذة والمشايخ لهم مجموعة من المهارات التي تساعدهم على التكفل الأمثل بأداء هذه المهمة، وهذا ما سبق وأن تطرقنا إليه في الفصل السابق فيما يخص مهارات التعليم في الزوايا التواتية.

ولابد من القول بأن التعلم في زوايا توات كذلك يقتضي من المتعلم امتلاك مجموعة من المهارات تساعده على التمكن من اكتساب اللغة، كمهارة التحضير الانتباه والمراجعة والاستذكار.

1) مهارات التعلّم في الزوايا التواتية.

يرتكز التعلّم على المتعلم ويخصه هو بذاته، وهذا ما نلمسه من خلال مختلف التعاريف التي ذكرتها في مدخل هذا البحث، فالتعلّم هو "كل فعل يمارسه الشخص بذاته يقصد من ورائه اكتساب معارف ومهارات وقيم جديدة"[1] ولهذا يمكن القول بأن التعلّم في مجمله هو عبارة عن طريق يسلكه أو سلوك يكتسبه الفرد الغاية منه هو الانتقال من حالة اللامعرفة إلى المعرفة والذي يعتمد في ذلك على جملة من المهارات والخبرات والمعارف.

وما يدفع الإنسان إلى التعلّم هو تلك الرغبة التي أودعها فيه الخالق فقبل أن يكون السبب وراء البحث عن التعلّم سبب خارجي تُمليه العوامل الطبيعية، والحضارية، والدينية، هناك تلك النزعة الروحية ومبعثها كون "الإنسان بطبعه كائن متسائل، وقد زوده الخالق – جل وعلا – بقدر من الفضول وحب الاستكشاف، مما يدفعه دائماً إلى أن يعرف المزيد"[2] وهذا الشغف والتساؤل هو مبعث حب المعرفة والاستكشاف.

ونتفق على أنّ الحثَّ على التعلّم في تاريخ الأمة الإسلامية قد أخذ نصيبه من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال العلماء، فالتعلّم في الحضارة الإسلامية "هو عندها من أعظم القربات إلى الله – تعالى– ويصل التعلم في أحيان كثيرة إلى الواجب الشرعي، وهو في كل حين واجب حضاري"[3] لابد من الإتيان به.

وبالنظر إلى الطبيعة الدينية الغالبة على الصحراء الجزائرية التي تقع فيها منطقة توات، يمكن القول بأن الدين الإسلامي هو من بين أهم البواعث والحوافز على التعلّم في زوايا توات وهو الحافز الأول لسكان المنطقة لطلب العلم، وذلك لتعلقهم الشديد بتعاليم

---

1 اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية، ص:97.

2 المسلمون بين التحدي والمواجهة حول التربية والتعليم، عبد الكريم بكّار، دار القلم، ط3، 2011، دمشق، ص:131.

3 المرجع نفسه، ص:133.

الإسلام والذي يحث الفرد المسلم على طلب العلم والمعرفة، لهذا نجد زوايا توات تعج بعدد هائل من الطلاب، "الذين لم يكونوا من الساكنة فقط وحدود الإقليم التواتي، بل تجاوزت إلى مختلف أرجاء الوطن الجزائري، فشملت مختلف حدوده شمالا وجنوبا وشرقا عن طريق استقبالها لطلبة العلم بمختلف الدول كتونس والمغرب وليبيا، ومالي وموريتانيا والنيجر... الخ"[1] وتعمل هذه الزوايا في عمومها على "الحفاظ على الهوية والشخصية العربية الإسلامية، والحفاظ على اللغة العربية وترقيتها كما تعمل على نشر العلم والتفقه في الدين، وتساهم في الحركة العلمية والثقافية في إقليم توات"[2] لهذا هي محج لطلاب الصحراء وباقي مناطق الوطن.

ولكن لا يمكن أن نقتصر أسباب التعلّم التي تدفع الناس إلى دخول إلى الزوايا التواتية على الجانب الشرعي والديني والحضاري وبعض النوازع الفردية وغيرها من الأسباب المادية والاجتماعية وفقط، بل الأمر متعلق بطبيعة العلم بذاته فـ "الذي يدعو العقل إلى المزيد من التعلّم، هو العلم نفسه، إذ أنه كلما زادت المعرفة، اتسعت منطقة المجهول، وهكذا تزداد الأشياء المجهولة بازدياد الأشياء المعروفة"[3] وهذا مرده لكون حب التعلّم هو في أصله شهوة من الشهوات الإنسانية تزيد وتنقص على حسب كل فرد، فكما هو معلوم أن الشهوات التي يتركب منها الإنسان بصفة عامة تحتاج إلى نوع من الإشباع لهذا يجنح المتعلم إلى التعلّم لإشباع هذه الشهوة الإنسانية السوية.

وحقيقة أن ما توصل إليه الإنسان في هذا الزمان من انفجار معرفي هائل، بحيث أصبحت المعلومات تصل إلى الإنسان من كل جهة وأصبح العالم في عالم العولمة قرية

1 المنهج التعليمي للمدارس والزوايا الدينية بحاضرة توات، ص:558.

2 ينظر: علماء توات وإسهاماتهم في حفظ التراث النحوي محمد باي بعالم أنموذجا، عبد القادر بقادر، مجلة الذاكرة، مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، العدد 07، ماي 2016، ص:47.

3 المسلمون بين التحدي والمواجهة حول التربية والتعليم، ص:132.

واحدة، سار هذا الأمر حافزا آخر يحتم على كل فرد في مختلف المجتمعات إلى السعي وراء التعلّم لأجل التمكن من التحكم في هذا التدفق الكبير للمعارف والعلوم، فهذا "التقدم نفسه يعمل على زيادة حاجة الإنسان الشديدة إلى المعرفة"[1] بل أصبح التعلّم أكثر تعقيدا في ظل هذا التقدم، لهذا هو أكثر من ضروري فلكم واسع النظر في حال إنسان غير متعلم في هذا الزمان تتقاذفه الإيديولوجيات، والتيارات الفكرية، والآراء الحزبية، والتوجهات المذهبية. ولهذا تعمل زوايا توات على معالجة هذا النقطة من خلال تربية "طلبتها على الجمع بين المنطق والروح في النظر للأشياء، وهذا ما اتضح في تعاملها مع تثبيت العقائد والنظر للتصوف وتراثه،"[2] لهذا نجد الكثير من الأولياء يقدمون أبناءهم للتعلّم في هذه الزوايا بغية الحفاظ عليهم من الزيغ والتحريف الذي تمارسه جهات عدّة ضد أبناء هذا الوطن والأمة بصفة عامة.

وبالعودة للحديث عن التعلّم ومكانته في الأمة الإسلامية، يمكننا القول وبدون أي مقدمات أنّ مصائب هذه الأمة سواء فيما تعلق بقضية التعليم والتعلم داخل المدارس والجامعات أو ما تعلق بالنواحي الأخرى للحياة، في مجملها ناتجة عن عدم السعي للتعلّم الصحيح والبحث في طرق ومهارات تعزيزه، ونتج عن هذا الأمر أي ترك التعلّم نوع من الأمية بالمصير الحقيقي لما تؤول إليه الأمور داخل هذه الأمة "وهذا النوع من الأمية هو الأشد خطراً، والأسوأ عاقبة، حيث يسحب ذيوله على كل مناشط الحياة، ويجعلها إما تافهة، وإما غير ذات معنى!."[3] والأمة تعيش في هذا الزمان كلا الأمرين، وفي هذا الإطار تحاول الزوايا في توات توعية طلابها بمختلف قضايا الأمة العربية والإسلامية، كالحفاظ على الهوية وشعائر الدين الإسلامي "ونفس الأمر ينسحب على القضايا الفكرية كترسيخ فكر

1 المرجع السابق، ص:132.

2 المنهج التعليمي للمدارس والزوايا الدينية بحاضرة توات، ص:559.

3 المسلمون بين التحدي والمواجهة حول التربية والتعليم، ص:138.

المواطنة والذي نجده حاضرا في منهج الأدب الذي تعلمه للطلبة"[1] وبهذا الفعل هي تساهم في الحفاظ على ما تبقى من معالم الهوية الوطنية.

ومن المعالم الأساسية للهوية التي تسعى زوايا توات للحفاظ عليها هي اللغة العربية، فهي تعمل على تعليمها ونشرها في أوساط المجتمع التواتي وحتى خارجه من باقي مناطق الوطن والبلدان المجاورة للجزائر، وكما قلنا في الفصل السابق من البحث أن لعلماء ومعلمي ومشايخ توات مجموعة من المهارات التي تساعدهم على تعليم أصول وقواعد اللغة العربية، فكذلك الأمر بالنسبة لرواد وطلاب زوايا توات، لعل لمعظمهم مجموعة من المهارات التعلُمية التي تساعدهم على اكتساب اللغة العربية، وتسهل عليهم استيعاب الدروس، والتمكن من فهم قواعدها كالنحو والصرف وعلم البيان والبلاغة والعروض...، وواقاع حالهم يدل على وجود هذه المهارات.

ويعد البحث في مهارات التعلّم وآليات تطويرها واكتسابها وسيلة حقيقية لأجل تطوير مناهج التعليم والتربية، بحيث أصبح هذا الأمر أكثر من ضروري نظرا للحالة التعليمية المتأزمة التي تعاني منها الأمة، لهذا وجب علينا البحث والتنقيب عن منهج تعليمي يكون مستمدا من رحم هذه الأمة وقادرا على السير بهذا الجيل نحو تعلّم أفضل مع مراعاة ما يمكن تعديله وتطويره وفق الرؤية الحديثة لمناهج التعليم والتعلم، ولعل من الأمور المساعدة على تحقيق هذا الأمر هو النظر في طرق الأولين في التعلّم والبحث عن بعض المهارات التي يتمتع بها المعلم والمتعلم وفق الطُرق القديمة، وتعد زوايا توات أحد أهم الأماكن التي يمكن مباحثة هذا الموضوع فيها، باعتبارها مؤسسات موجودة وفاعلة إلى يوم الناس هذا، وهي تعتمد على المنهج القديم في التدريس، ومن دواعي البحث في منهج هذه الزوايا هو

1 المنهج التعليمي للمدارس والزوايا الدينية بحاضرة توات، ص:559.

"اكتمال نضج الدرس اللغوي في إقليم توات"[1] مما يوجب علينا البحث في الأسباب والعوامل التي وصلت بهذا الأخير لتلك المرحلة من النضج.

ومن المعلوم أن اكتساب اللغة يحتاج إلى أخذ الدروس وبذل الجهد فيها، والتقدم في أخذ هذه الدروس يعتمد على مدى فهم واستيعاب المتعلم لهذه الأخيرة، وهذا الأمر لا يكون إلا إذا كان هناك مجموعة من العوامل المساعدة على ذلك، وفي مقدمتها نجد عامل امتلاك الطلاب لمجموعة من المهارات التعلمية التي تساعده في فهم وحفظ مختلف قواعد اللغة، ومما يشترط في هذه المهارات أن تكون موزعة على كامل فترات الدرس من قبل البدء، وأثناء العرض والتلقي، وفي الختام أو بعد ذلك.

ولهذا اهتم طلاب زوايا توات لاكتساب مجموعة من المهارات التعلمية التي لها أهمية في تمكنهم من دروس اللغة العربية التي يتلقونها في الزوايا التواتية، فنجد طالب الزاوية في توات يجتهد في تطوير مهارة الحفظ لديه وكذا مهارة التحضير وهي من المهارات التي تسبق الدرس، كما يهتم بالقراءة والاستفهام حول ما هو مشكل لديه من المسائل من شيخه، وهذه المهارات هي من المهارات التي تكون أثناء الدرس، يعمل طالب الزوايا في توات على اكتسابها وتطويرها إما عن طريق الاقتداء بأقرانهم والتعلم منهم، أو من الشيخ المعلم، كما سنلاحظ من خلال البحث كذلك أن للمتعلم في زوايا توات مهارات ختامية تكون في نهاية كل درس كالمراجعة والتثبت، وهي من الأهمية بما كان حيث تجعل العملية التعلمية تبدو في تناسق وتكامل تام من هذه الناحية، فضعف المتعلم وعدم امتلاكه للمهارات اللازمة خلال أي مرحلة من المراحل السابق ذكرها ينجم عنه ضعف في التحصيل بصفة عامة، ويؤدي إلى خلل في العملية التعلمية.

---

1 جهود علماء توات في الدرس اللغوي خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين (دراسة في الأنماط والأشكال)، بقادر عبد القادر، مجلة الأثر، العدد 19، جانفي 2014، ص:95.

والعملية التعلمية عملية متصلة ومستمرة فهي مترابطة الأجزاء كل حلقة منها تتداخل مع التي تليها، لذا يتوجب على المتعلم في الزوايا التواتية عدم الاكتفاء بمهارات أولية أو مهارات ختامية وفقط، بل الأمر يحتاج في الأصل إلى أن تكون المهارات التعلمية متوزعة على طول مراحل التعلّم وتلقي الدروس، لكي يتمكن من التعلّم باستمرار لكون هذا الأخير أي "التعلّم المستمر هو الأداة التي تمكن الإنسان من مسايرة التغيرات، وتجعله قادراً على تقبلها والاستفادة منها"[1] ودليل الاستفادة من التعلّم هو تغير سلوك المتعلم من السلوك السلبي إلى الايجابي، وانتقاله من مرحلة الجهل إلى مرحلة العلم، وهذا مؤشر على التقبل والاستفادة "ولا يلحظ التعلّم مباشرة، ولكن يستدل عليه من الأداء الذي يصدر من الفرد"[2] وتغير الأداء هو المقياس الذي نقيس به نجاح عملية التعلّم من عدمها.

2) مهارة الحفظ.

وقبل الحديث عن المهارات التي تخدم عملية التعلّم في زوايا توات نذكر بأن أهم ما يجب على المتعلّم في زوايا توات قبل القيام بأي خطوة في سبيل أخذ العلم، هو البحث عن شيخ ماهر تتوفر فيه جملة من الشروط والصفات تجعله على لسان كل من رام التعلّم في زوايا توات، وهذا الأمر قد يأخذ من الطالب بعض الوقت فأحيانا يلجأ الطالب إلى التجريب بنفسه، فكثيرا ما نجد الطلاب في زوايا توات ينتقلون من عند شيخ لآخر حتي يحصل في الأخير "على شيخ ذكي، حاذق، ورع، مطهر الأخلاق، قد قتل هوى نفسه، وصار يغلب عليها إذا راودته على ما لا ينبغي شرعاً وطبعاً"[3] فإذا وجد الطالب في شيخه هذه الصفات لازمه ومكث عنده في زاويته للأخذ عنه.

1 المسلمون بين التحدي والمواجهة حول التربية والتعليم، ص:140.

2 اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية، ص:97.

3 سراج طلاب العلم، ص:119.

ويمكن أن نعتبر أن أول مقام المهارة في التعلّم منطلقه من هذه النقطة، بحيث يعد إيجاد المعلم، الذي يتمتع بصفات النبوغ والعلم والذكاء والحلم، "مشتهراً بين الناس بالفهم والتحرير، متصفاً عندهم بالعالم النحرير، لأن مثل هذا الذي تطمئن النفس للأخذ عنه"[1] وتميل الأفئدة إليه، وهذا مما يساعد الطالب على التعلّم، فكل طالب يختار الشيخ الذي يناسب تفكره وطمحه، وإذا لم يكن المتعلّم مدرك لأهمية الشيخ في التحصيل والتعلّم قد يمكث سنين عند بعضهم وما حصل شيء.

وهذه الطريقة في التعليم والتعلّم في الزاوية أي ترك المتعلم يختار شيخه، يمكن القول بأنها من أبرز النقاط التي تحسب للتعلم في الزوايا، لأن الزاوية لا تلزم المتعلم بمعلم معين بل له أن يختار وأن يجرب وينتقل من زاوية لأخرى حتى يجد مراده، كما أن هذا الأمر يساهم بشكل كبير في خلق نوع من التنافس بين المشايخ والمعلمين لتحسين قدراتهم في التعليم واكتساب مزيد المعارف والعلوم التي يبحث عنها الطلاب، وهذا يعود بالنفع العظيم على التعليم والتعلم ويخدم مختلف الأطراف المتدخلة في عملية التعليم.

1- أهمية الحفظ في زوايا توات.

وبعد أن يختار الطالب الزاوية والشيخ الذي يدرس عنه، توجب عليه أن يكون ذا مقدرة على استيعاب وفهم الدروس، ولا يتم له ذلك إلا إذا كان قوي الحفظ وسبب هذا الشرط هو كون عملية التعليم والتعلم في كل الزوايا تعتمد على التلقين، لهذا تعد مهارة الحفظ من أهم المهارات التي تساعد المتعلم في زوايا توات على أخذ العلم والمعرفة، وغالبا ما يكون سريع الحفظ هو الطالب النجيب في الزوايا لهذا نجد الطلبة يتنافسون على تطوير مهاراتهم في الحفظ وتحسينها.

1 المصدر السابق، ص:119.

فالحفظ من أبرز المهارات، التي تمكن الطالب من تعلم العلوم بصفة عامة واللغة العربية بصفة خاصة وهذا لأنه "لا يستطيع الإنسان إجادة اللغة دون معرفة كثير من الألفاظ وقواعد النحو والصرف"[1] والمتعلم في زوايا توات مدرك لهذا الأمر، فهو يعرف بأن إتقان اللغة العربية يتطلب حفظ الكثير من المفردات والمصطلحات، وحفظ وفهم الكثير من القواعد النحوية والصرفية والعروضية والبلاغية ليتمكن من زمام اللغة العربية.

ومن خلال تتبع عملية التدريس في زوايا توات يتضح لنا أن حفظ المتن الذي هو بصدد قراءته على شيخه هو أول ما يجب عليه القيام به قبل كل درس "حيث نجد الطلبة حول الشيخ يقرؤون ما حفظوا من المتون، وهاته المتون كان كل طالب منهم يحفظ من المكان الذي توقف فيه، وفي أثناء الدرس يمليه الطالب على الشيخ من رأسه لأنهم كانوا يشترطون الحفظ الكامل للوقفة، وإذا حصل وكان غير حافظ لها فإن الشيخ يلومه، ويعد ذلك من التهاون، وأما إذا كان يحفظها كما هي عادة القوم فأنه يقف به على معاني البيت."[2] فالمعلم لا ينتقل لمرحلة شرح المتن وفك مصطلحاته وبيان غامضه، حتى يستظهر الطالب حفظه للمتن حفظا تاما.

لذا نجد حين البحث في سير علماء توات ومشايخها، أنه ما كان يذكر تميز أحدهم وتفوقه حين كان يتعلم، إلا وقرن ذلك بسرعة حفظه وقوة ذاكرته، فقد ذُكر عن الشيخ الحاج محمد بلكبير أنه كان" يحفظ حفظا عجيبا حتى روي أنه قرأ باب الحج على الشيخ في يومين، والمعلوم أنه يقرأ في أكثر من شهر لأن فيه ثلاثين وقفة"[3] وهذا باب كامل في الفقه لا يسع حفظه في يومين إلا لمن كانت له مهارة خاصة في الحفظ وذكر كذلك عن محمد بن عبد الكريم في مرحلة تعلمه أنه كان "حافظا نابغة،...ختم ألفية ابن مالك بشروحها في مدة

1 الكتاتيب القرآنية بندرومة، ص:54.

2 النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص:48.

3 المرجع نفسه، ص:106.

قصيرة جدا"[1] وهذا ليس بالأمر السهل، فألفية ابن مالك هي زهاء ألف بيت ومع حفظ شروحها يصبح الأمر غاية في الصعوبة، بل قد يأخذ الأمر من الطالب العادي مدة من الزمن، وهذا ما يعطل عملية التعلّم، ولكن إذا كان الطالب يمتلك مهارة الحفظ كان تعلمه أسرع وأنفع مما يخلق له نوعا من التحفز الايجابي الذي يساعده في الثبات على طلب العلوم، وينمي فيه الملكة اللغوية.

ومن العناصر التي يخدم فيها الطالب الحافظ نفسه كذلك وشيخه أنه يجعل العملية التعليمية سهلة فهو يقلل من جهد المعلم في تعليميه مما يرغب فيه شيخه ويعود بالفائدة عليه، وعلى باقي الطلبة من حيث ربح الوقت والجهد، بحيث يتفرع المعلم لمن هم دونه في الحفظ، فكلما كان الطالب سريع الحفظ خفّ تعلميه على شيخه، فلا يكلفه جهدا كبيرا فلا يتعبه بالتكرار بل يلقي بسمعه لشيخه ويتلقف درسه، وكان الشيخ عبد الله بن سيدي أحمد من خير من يضرب بهم المثل في هذا حيث "كان فتى عجيبا، يحفظ كل ما يسمع،... كان يدخل الدرس، ويخرج منه ما نسي شيئا."[2] فحين تكون ذاكرة الطالب على هذا القدر من الحفظ، يكون قادرا على توسيع الوعاء اللغوي وهذا من خلال التوسع في اكتساب مفردات المعجم وبهذا تتحسن اللغة عنده.

كما أن الطالب الذي يمتلك مهارة الحفظ ويسعى في تطويرها، يخلق نوعا من التحفيز والمنافسة لباقي الطلبة مما يجعله قدوة لهم فيكون بهذا الفعل يساهم في تحسين مهاراته في التعلّم ومهارات غيره وتحسن قدراتهم ومردوديتهم في الصف الذي يكون فيه، مما يخلق نوعا من المنافسة الإيجابية بينه وبين غيره من الطلبة، وهذا يجعل المتعلّم يتحفز أكثر ويصبح

1 المرجع السابق، ص:15.

2 ينظر: المرجع نفسه، ص:107.

هناك دافع خارجي للتعلّم يدفع به لبذل المزيد من الجهد والتعب في سبيل التعلّم، ويحسن الجو التعليمي بصفة عامة.

ولا يكون الطالب قدوة لغيره من الطلاب ويؤدي الوظيفة السابق ذكرها حتى يصبح مضربا للمثل في الحفظ وبهذا يكون بحق ذلك الحافز والمشجع الخارجي لباقي الصف، وكان في زوايا توات ولا يزال الكثير من هذه النماذج فالشيخ عبد الله بن سيدي أحمد هو أحد الذين عرف عنهم شدة الحفظ حين كانوا طلابا وهذا بشهادة أقرانه فلقد كان "ذلك الطالب المجتهد، المكد المحصل، والفتى السميد، يحفظ كل ما يسمع بشهادة أقرانه وزملائه"[1] والمعروف أن المقارنة تقتضي المنافرة، ولكن لما يكون الطالب يمتلك مهارة كبيرة وتفوقا واضحا على أقرانه لا يسعهم إلا الاعتراف له بتفوقه، وتعد شهادة القرين خير شهادة لأنه لا تكون في الغالب إلا عن يقين، فمن شهد له بالحفظ في الزوايا لا يمكن بأي حال أن ننكر عليه ذلك.

ومن الأمثلة العجيبة عن سرعة الحفظ عند طلاب توات ما روي عن الحاج عبد القادر نومناس أنه كان معه من يكتب له اللوح "فكان بمجرد أن ينتهي من كتابتها يكون قد حفظها، الأمر الذي أثقل عليه المهمة"[2] فمن شدّة حفظه لم يقدر من اتخذه كاتبا له أن يجاريه في الحفظ، وهنا يمكن أن نشير إلى نقطة مهمة أن مهارة الحفظ بقدر ماهي مهارة يمكن أن تكتسب من خلال التمرن والتكرار وكثرة الحفظ بحيث تتسع الذكرة في كل مرة وتصبح أسرع في الحفظ، بقدر ما هي موهبة فطرية عند البعض الأخر ولكن في العموم يتطلب اكتساب مهارة الحفظ جهدا ذاتي يجب على المتعلّم أن يبذله للوصول بذاكرته

1 المرجع السابق، ص:15.

2 المرجع نفسه، ص:200.

لمستويات جيدة في الحفظ، وإذا اجتمعت الموهبة مع صقل المهارة يمكن للطالب أن يصل بذاكرته إلى الأمثلة التي ذكرنها من قبل.

وبما أننا نتحدث عن التعلّم في الزوايا فلا بد أن للمعلم دور كذلك في تكون مهارة الحفظ لدى طلابه، وهذا يكون بالطبع من خلال تقويمهم وإعطائهم طريقة في الحفظ يمكن اتباعها لأجل تحسين مهاراتهم في الحفظ، ومن بين الأمور التي تبين أن الشيخ في زوايا توات يولي لمهارات الحفظ أهمية كبيرة ويشجع طلابه على تحسينها هو ما نجده من الثناء والتحفيز لطلبة الحافظين بل نجد في بعض الأحيان من يرصد للمجتهد في الحفظ مكافئة وهذا ما كان يفعل شيخ الحاج امحمد بن عبد القادر بن أحمد ديدي له حيث "كان يحفظ لوحه كل يوم، ويعطيه فولا وعدسا وبيضا ثمنا لذلك"[1] وهذا يظهر مدى ترغيب المعلم لطلابه في التمكن من مهارة الحفظ إدراكا منه لأهميتها في التعلّم

ويتم تنمية مهارة الحفظ في زوايا توات بمختلف الطرق حيث يحرص المتعلم على البحث عن الطريقة المثلة لتقوية ذاكرته وذلك من خلال التمرن بمختلف الحواس المتدخلة في عملية التعلّم كالبصر والسمع والحركة وهذا لأن "الاستفادة من مجموع الحواس أفضل من استعمال حاسة واحدة، على الأخص إذا عرفنا أن بعض الناس بصريون، وبعضهم سمعيون، وبعصهم حركيون، فهناك من يحفظ عن طريق البصر بالقراءة الظاهرة الصامتة، وهناك من يستفيد عن طريق السمع بالقراءة جهرا بصوت عال، وهناك من يستفيد بالحركة عن طريق الكتابة."[2] وهذا حال الناس جميعا فكل فرد له حاسة معينة تعينه على الحفظ أكثر من غيرها، فهناك من لا يحفظ إلا من خلال القراءة بصوت مرتفع معتمدا على سمعه، وغيره يحفظ معتمدا على بصره من خلال القراءة الصامت وتتبع الكتابة، كما أنه يوجد كذلك

1 المرجع السابق، ص:201.

2 الكتاتيب القرآنية بندرومة، ص:54.

من يحفظ من خلال كتابة المراد حفظه في لوحه وتكرار كتابته عديد المرات حتى ترسخ في ذهنه، لذا نجده عند طلاب زوايا توات يعمل كل واحد منهم على البحث عما يناسبه من طرق الحفظ.

2- نقد مهارات الحفظ

بينما تمجد الزوايا الحفظ وترفع من مقامه، وتجعله منه أحد أهم السمات التي تميز الطالب المجتهد عن غيره، وترى في الحفظ مهارة يجب العمل على اكتسابها بشتى الطرق الممكنة، وهذا بطبيعة الحال راجع لكون طريقة التدريس التي تعمل بها الزوايا غالبا هي طريقة التلقين المباشر مما يجعل مهارة الحفظ مهارة ضرورية لأجل استيعاب الدروس، تأتي الدراسات العلمية الحديثة بنظرة مغايرة لما هو موجود في الزوايا، بحيث ترى أن مهارة الحفظ "تشكل خطرا عندما تصبح في التدريس مركز النشاط العقلي وحدها دون غيرها من سائر الملكات العقلية."[1] وهذه النقطة بالضبط هي التي رسمت معالم التعليم الحديث.

وثار هذا الأخير على التعليم القديم الذي تنظر إليه الدراسات الحديثة في ميادين علوم التربية والتعليم، وعلم النفس التربوي، وعلم الاجتماع التربوي، على أنه يهدف فقط لحشو التلميذ بالكثير من المعلومات وفي مختلف العلوم دون فهمها والقدرة على التحليل والتركيب والاستنتاج، لذا كانت نتائج الدراسات العلمية الحديثة تعبر بلسان حالها أنه "لا عبرة بالحفظ دون الفهم، لأن من يحفظ ولا يفهم ما حفظ كمثل الحمار يحمل أسفاراً"[2] ونحن هنا لا نتهم الزوايا أنها تعمل على تحفيظ الطلاب العلوم والمعارف دون الفهم، ولكن الإعلاء من منزلة الحفظ والإشادة بمن يحفظ كثيرا قد يجعل من الطالب مجرد آلة للحفظ تجتر كل

1 المرجع السابق، ص:73.

2 سراج طلاب العلم، ص:98.

ما تسمع أو تقرأ دون قدرة على الفهم ونقد والتحليل، وبهذا يكون الطالب وعاء يعمل المعلم على ملئه بما شاء.

والأفضل أن يعمل المتعلم على المزاوجة بين الحفظ والفهم والنقد وغيرها من المهارات، وهذا أنفع في التعلّم لأن عقل المتعلم في هذه الحالة يكون قادرا على التعامل مع المعلومات بقدر كبير من المرونة والاستجابة للتعليم الهادف، وذهبت الكثير من الدراسات إلى القول بأن "من يغلب عليه الحفظ يقل منه الفهم، والعكس بالعكس، وقل ما يتساوى فيه الأمران، والعبرة بالفهم لا بالحفظ المجرد عن الفهم."[1] لأن الأصل في التعلّم ليس الحفظ المجرد فما يفعل الطفل بحفظ القرآن كاملا دون فهم معانيه، ولكن لو عملنا على جعل الحفظ يتماشى والفهم كان ذلك من دواعي رسوخ العلم وثباته في الذهن، "وقد أبدت التجارب الحديثة في علم النفس أن الحفظ مع الفهم أسرع وأثبت وأدعى لعدم النسيان، وأقوى على الاسترجاع."[2] وهذا مرده لطبيعة العقل البشري، فالعلم إذا فهم حفظ وإذا حفظ رسخ وإذا رسخ دام وثبت وأثمر.

إن مسألة الحفظ عن ظهر قلب هي من أبرز القضايا المطروحة في ساحة التربية والتعليم، وقد وجّه علماء التربية لها سهام النقد وبقوة بل هناك "موجة عالمية، تحط من قدر (الذاكرة) وتدعو إلى ضرورة استناد الطفل في التعليم إلى الذكاء والفهم، والاستجابات الجيدة للمنهج أكثر من استناده للحفظ"[3] وهذا الأمر له مبرراته، فالطفرة التي يشهدها العالم في سرعة تدفق المعلومات تجعل من واقع الحفظ أمر غير ممكن، بل أصبح المشكل الأكبر المطروح هو كيفية معالجة هذا الكم الهائل من المعلومات، لذا اتجه التدريس الحديث نحو

1 المصدر السابق، ص:98.

2 الكتاتيب القرآنية بندرومة، ص:53.

3 حول التربية والتعليم، ص:185.

تنشيط مهارات التفكير والنقد والتحليل والتذوق وحل المشكلات، ومحاولة ربط المسائل بالواقع ودمجها مع بعضها البعض حتى يتسنى لنا فهم معطيات هذا العصر بشكل أفضل.

يمكننا القول بأن مهارة الحفظ متعلقة بطبيعة المادة المستهدفة من التعلّم فالطالب الذي يقصد الزوايا لتعلم اللغة العربية لا بد له في مرحلة معينة أن يحفظ عدد كبير من المصطلحات والمفردات اللغوية إذا أراد أن يكتسب اللغة ولا بد كذلك له من حفظ كلام العرب وأشعارهم وخطبهم، وإلا لن يكون قادرا على اكتساب حصيلة لغوية تمكنه من ممارسة الوظائف المختلفة للغة، فالمتعلّم الذي يمتلك هذه الحصيلة اللغوية يكون "أكثر فهما لما يُنطق أو يُكتب، فهو عندما يلتقط أو يتلقن اللغة وتراكيبها ويدرك مدلولات هذه المفردات والتراكيب يسهل عليه فهم واستيعاب معاني الجمل والعبارات التي تصاغ بها أو منها، كما يدرك ويحفظ من خلال سياق هذه الجمل والعبارات معاني الكثير من المفردات والتراكيب التي تتضمنها"[1] لهذا يرى بعض الباحثين "أننا لا نستطيع في الأحوال كلها أن نتصور بسهولة وجود إنسان مثقف ذي معلومات جيدة جداً، بل ومتعمقة في بعض النقاط دون أن يرجع الفضل فيما اكتسبه إلى الذاكرة"[2] فلا يمكن أن نجد طالبا متمكنا من زمام اللغة العربية وقادرا على التحدث بها على الوجه الصحيح دون أن يكون قد قام بحفظ ما ذكرناه سابقا، ولكن لا يجب أن نجعل من الحفظ مهارة يعتمد عليها في حل جميع المسائل المتعلقة بتعلّم اللغة العربية فاللغة العربية فيها العديد من المسائل التي تتطلب الفهم ولاستنباط والتحليل والتفكير الناقد.

1 الحصيلة اللغوية أهميتها- مصادرها- وسائل تنميتها، أحمد محمد المعتوق، دار علم المعرفة، ط1، الكويت، 1978، ص:51.

2 حول التربية والتعليم، ص:185.

3) مهارة القراءة في زوايا توات.

تعد مهارة القراءة من بين أهم المهارات التي يكتسبها الطالب في زوايا توات ويعمل على تنميتها وتطويرها، ولا يختلف مفهوم القراءة في الزوايا عن المفهوم العام للقراءة، فالقراءة في عمومها هي: "تعرف على الرموز المطبوعة، وفهم لهذه الرموز المكونة للجملة والفقرة والفكرة والموضوع"[1] ومن خلال هذا التعريف يمكن القول بأن مهارة القراءة لا تكون إلا بعد إتقان مهارة الكتابة فمن لا يعرف الرموز (الحروف) أكيد لا يمكنه أن يقرأ.

ويتضح من خلال التعريف كذلك أن مهارة القراءة تعتمد في أدائها على حاسة البصر وبهذا يخرج من مفهوم القراءة ما تعلق بغيرها "كالاستماع، وقراءة العميان عن طريق اللمس ... إلخ"[2] فالقراءة المقصودة هنا هي تلك التي تتعلق بفك الرموز بواسطة حاسة البصر.

1- أهمية مهارة القراءة.

ولهذه المهارة أهمية كبيرة في تعلّم اللغة العربية في زوايا توات، فهي من المهارات الأساسية التي تساهم في تمكن المتعلّم من اللغة العربية وهذه الأهمية تتجسد من خلال ما يلي:

- هي من أهم المهارة التي تساعد الطلاب على "اكتساب المعارف ويثير لديهم الرغبة في الكتابة"[3] وهذا من خلال فتح مجال واسع أمامهم للاطلاع على ما تحويه الكتب والمتون والشروح وغيرها من المؤلفات التي تزخر بها الزوايا ومراكز المخطوطات.

---

1 تدريس فنون اللغة العربية، ص:128.

2 المرجع نفسه، ص:131.

3 نفسه، ص:126.

- تؤدي القراءة إلى تنمية قدرات الطالب على "فهم ما يقرأ وجودة نطقه وأدائه، وتدريبه على إنمائه، وفهمه لما يسمع"[1] فالفهم يكتسبه من خلال السماع للمعلم وشروحه، وأما جودة المنطوق تكون من خلال تصويبات المعلم، وتقويمه للأخطاء التي يقع فيها بعد القراءة.
- تساهم القراءة بشكل فعال في توسيع الرصيد اللغوي لطالب فمن خلال القراءة تزداد معرفة المتعلم "بالكلمات والجمل والعبارات المستخدمة في الكلام والكتابة"[2] وبهذا يصبح القاموس اللغوي لطالب قابل للاتساع والازدياد.
- تعد القراءة من المهارات التي تساعد على "تحصيل المعلومات وتنميتها وتنسيقها"[3] فالطالب كلما قرأ أكثر عرف أكثر فسر المعرفة يمكن في القراءة.
- تساعد القراءة الطلاب "في تكوين إحساسهم اللغوي، وتذوقهم لمعاني الجمال وصوره فيما يستمعون وفيما يقرؤون ويكتبون"[4] فهي من تنقل لهم كل هذه الأمور.

2- أنواع القراءة في زوايا توات.

تتعدد وتتنوع صور القراءة في الزوايا التواتية كما تتعدد في غيرها من الزوايا والمدارس، فهي تعرف كل أشكال القراءة المعروفة في غيرها، فالقراءة بمفهومها العام لها عديد التقسيمات، بحيث تنقسم "من خلال الأداء إلى: قراءة صامتة، وقراءة جهرية. كما تنقسم من حيث الغرض من القراءة إلى: قراءة للدرس والبحث، وقراءة للاستمتاع، وقراءة لحل المشكلات"[5] ومن خلال هذا التقسيم يمكن القول بأن للقراءة عديد الأغراض، يمكن من خلالها تصور أهمية القراءة في عملية التعلّم، ونظرا لهذه الأهمية الكبيرة التي تتمتع بها

1 المرجع في تدريس اللغة العربية، ص:113.
2 تدريس فنون اللغة العربية، ص:126.
3 المرجع في تدريس اللغة العربية، ص:114.
4 تدريس فنون اللغة العربية، ص:126.
5 المرجع نفسه، ص:139-140.

مهارة القراءة في التعلّم نجد أن مختلف الزوايا والكتاتيب في القديم قد عرفت هذه المهارة وشجعت عليها وعملت على تطويرها بمختلف الطرق الممكنة، فالقراءة "الجهرية والصامتة كانتا معروفتين في القديم. ولكن الكتاتيب كانت تعمد إلى القراءة الجهرية الجماعية"[1] وتشجع عليها ففي معظم الأوقات تكون القراءة في الزوايا جهرية جماعية.

وهذا الاعتماد على القراءة الجهرية الجماعية يرجع لكون الزوايا والكتاتيب "تقوّم الألسنة إذا صحّ التعبير تقويماً حسناً عن طرق القراءة الجهرية"[2] فحين يكون الطالب يقرأ لوحده قراءة صامتة قد لا يتمكن من معرفة موضع اللحن عنده، وإن عرف فأنه لا يدرك الصواب، وإن لم يعرف موضع الخطأ واللحن تقع المشكلة بحيث يمكن لهذا الأمر أن يرسخ الخطأ في ذهنه ويصعب فيما بعد تدارك الأمر وإصلاحه، لهذا تعتمد الزوايا في الغالب على القراءة الجهرية الجماعية لكي يكون الطالب في وسط مجموعة، وبهذا يصبح كأنه فرد داخل جوقة موسيقية، بمجرد أن يقع في الخطأ أو اللحن يدرك ذلك من تلقاء نفسه، فيصبح بذلك متعلّم ومعلم لنفسه في نفس الوقت، وبالتكرار يصبح قادرا على تصويب أخطائه فيستفيد كل فرد من المجموعة وتستفيد المجموعة منه، كما تساعد القراءة الجهرية الجماعية على إتقان إخراج الحروف من مخارجها، مما يساهم بشكل كبير في تقويم لسان الطالب مما يمكنه من معرفة المخارج الصحيحة للغة العربية وإتقانها والتمرن عليها، فالقراءة الجهرية سواء كانت فردية أو جماعية إنما جعلت في الأصل "للتمرين على جودة النطق وحسن الأداء وصحة القراءة، وينبغي أن تكون منسجمة مع المعنى خالية من التصنع والتكلُّف في إجهاد الصوت أو تقطيع النبرات"[3] وإذا توفرت فيها هذه الشروط تكون هي القراءة المطلوبة لأداء وظيفتها

1 المرجع في تدريس اللغة العربية، ص:116.

2 المرجع نفسه، ص:117.

3 نفسه، ص:127.

التعليمية، وبها يتمكن المتعلّم من الوصول إلى تحقيق الغايات المنشودة من وراء هذه المهارة.

ومما يؤكد لنا بأن زوايا توات تهتم جيدا بمهارة القراءة ما نجده من تركيز مشايخها على حث طلابهم في الزوايا على إتقان مهارة القراءة وتحسينها، فكان يشار إلى صاحب القراءة الجيدة من قبل شيخه، ويسعد به ويستحسن قراءته وكل هذا لأجل أن يلفت نظر غيره إليه ليحملهم على الاقتداء به فيصنعوا كما يصنع، فكان شيخ الطالب الحاج امحمد عبد القادر بن أحمد ديدي يوقف الدرس حين يقرأ " ألفية ابن مالك التي كان يقرؤها بصوت شجي يرق به السامع فكم من مرة أوقف الشيخ الطلبة حال قرائته للألفية مستمعا إليه مترنما قراءته وحلاوة صوته"[1] وبهذا الفعل يتحفز غيره، ويزيد هو في تحسين طريقة قراءته، ومما يذكر عنه كذلك في هذا السياق أنه كانت له وقفة "في باب أفعال التفضيل وبدأ الطلبة في قراءة أوقافهم حتى وصلت دولته فطلب الشيخ من الطلبة السكوت وقرأ الباب من أوله إلى آخره وكان حينها يحضر الدرس أحد زملاء الشيخ سيدي أحمد ديدي فأعجب بقراءته وحلاوة صوته وقال للشيخ سيدي محمد بلكبير: هكذ تقرأ الألفية وإلا فلا"[2] وفي هذا دليل على أن للقراءة الجهرية في توات مكانة في نفوس الطالب، ومما يعزز هذه المكانة حرص الشيخ على حثهم في طلب أسباب التمكن من القراءة الجيدة.

أما القراءة الصامتة فهي موجودة كذلك عند طلاب الزوايا في توات وإن كانت بدرجة أقل، وفي الغالب تكون في مستويات متقدمة بحيث يلجأ إليها المتعلم لأن "بها تتاح الفرصة الواسعة لترقية الفهم وتوسعة مجاله"[3] وهذا الأمر لا يكون في المراحل الأولى فالتوسع في

1 النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص:201.

2 المرجع نفسه، ص:201-202.

3المرجع في تدريس اللغة العربية، ص:124.

الفهم وإدراك المسائل والبحث فيها يكون بعد قطع الطالب لعدّة أشواط ومراحل تعليمية تعلمية،

هذا فيما يخص التقسيم على حسب الأداء، أما التقسيم الثاني والذي يخص الغرض، فنجد كذلك شبه تطابق بين المفاهيم السابق ذكرها ومفاهيم القراءة على حسب الغرض في زوايا توات رغم اختلاف بعض المسميات عن بعضها البعض، فالطالب في الزوايا التواتية يعتمد بشكل شبه كليّ في تلقي العلم غالبا عن طريق القراءة، وتنقسم القراءة فيها زوايا توات على حسب الغرض إلى أربعة أقسام: "قراءة الطالب على شيخه قراءة فهم، أو قراءة بحث أو قراءة تحقيق أو قراءة بحث وتحقيق"[1] ولكل قسم من هذه الأقسام توظيف معين، تتحقق من خلاله بعض الغايات والأهداف.

3- طرق تحسين مهارة القراءة في زوايا توات.

ومن المظاهر التي تدل على اعتناء طلبة توات بمهارة القراءة وسعيهم لتمكن منها أنه كان "في بعض المدارس يتولى أكابر الطلبة قراءة المسودة بعد شرح الشيخ للنص ارتجالا ليتدربوا على القراءة"[2] وفي هذا دلالة على مكانة القراءة في زوايا توات، فتولي الطالب القراءة بعد شيخه وارتجالا فيه تدريب على مهارة القراءة، وخاصة عندما تكون بعد قراءة الشيخ لأن الطالب في هذه الحالة مطالب بالتقليد بحيث تصبح قراءة الشيخ هي المرتكز وهي المرجع وهذا ما يدفع بالطالب في الغالب إلى التركيز مع الشيخ أثناء القراءة والانتباه لكي يتمكن فيما بعد من جبر الأخطاء التي يمكن أن يقع فيها، وبهذا يتفادى الطالب الكثير من الهفوات اللغوية التي يمكن أن يقع فيها سواء النحوية أو الصرفية أو ما تعلق بالتراكيب وتوظيف

1 توات والأزواد، ص:247.

2 الرحلة العلية، ص:305/1.

المفردات على حسب السياقات، وبهذا يتدرب الطالب على القراءة السليمة مقتديا بمعلمه أو شيخه.

والملاحظ من خلال الطريقة السابقة في اكتساب مهارة القراءة في الزوايا التواتية هو إعطاء الشيخ فرصة التدرب على القراءة للمتعلم وفي هذا دلالة واضحة على أن مشايخ الزوايا التواتية لهم دراية بالأهمية الكبيرة لتعليم المتعلمين طرق القراءة السليمة لهذا نجد المعلم في توات يتيح الفرصة لطلبته من أجل اكتساب مهارة القراءة والتدرب عليها وأثناء تواجده في الصف، وهذا ما يساعده على تقويم قراءة الطلبة وتصحيح أخطائهم، ويعزز من ثقتهم في أنفسهم مما يساهم بشكل فعال في تكوين شخصية المتعلم بالطريقة الصحيحة التي تخدم المتعلم وتنتج لنا متعلم متميز.

وهذه الطريقة في تعلم القراءة لا تساعد القارئ فقط بل هي تخدم جميع الطلبة المتواجدين في الصف فكلما قرأ الطالب وصحح له الشيخ استفاد غيره من الطلبة، حيث يتمكن كل واحد منهم من تصحيح الأخطاء التي يمكن أن يقع فيها قبل أن يقرأ هو الآخر وهذا من خلال تصويبات الشيخ وتوجيهاته.

4) مهارة الانتباه.

من أجل وصول المتعلّم لمرحلة متقدمة من القدرة على كسب المعلومة وفهمها والتعامل معها بالطريقة المثالية أثناء الدرس، لا بد له بأن يكون حاضر الذهن منتبه لما يلقى إليه من معلمه غير منشغل بغيره، لذلك تعد مهارة الانتباه من المهارات الأساسية التي تساعد المتعلّم على الاستيعاب والفهم أثناء الدرس.

ويعد الانتباه عملية عقلية تتطلب بعض الجهد والتركيز، فالكثير من المتعلمين غير قادرين على الانتباه مع المعلم أثناء الشرح أو القراءة إلا لوقت محدد، وهذا لأن العقول

بطبعها تصاب بالملل والتشتت بسرعة، مما يعسر على المتعلم فيما بعد الفهم والتحصيل، ولعدم الانتباه الكثير من الأسباب تعود في المقام الأول لكثرة الشواغل سواء ما كان داخل الصف أو خارجه، أو ما تعلق بعقل المتعلم أو بطريقة التدريس، لهذا يتوجب على المتعلم أن يبذل جهده من أجل الابتعاد عن كل الشواغل الخارجية فلا يكثر الالتفات والنظر خارج الصف ولا الحديث مع صحبه، كما تعد طريقة التعليم من بين أهم ما يساعد على شدّ انتباه المتعلمين فكلما كان الشيخ أكثر وضوحا وأكثر تشويق زاد من فرصة شدّ الطلبة إليه والعكس صحيح فالمعلم الذي يطيل أو يستخدم لغة معقدة وبعيدة عن أفهام المتعلمين يتسبب في تشتيت وانصراف أذهان المتعلمين عنه في الغالب، وهناك من الأسباب ما تعلق بطبيعة عقل المتعلم فمنهم الذكي الحاذق متقد الذهن وفي الغالب يكون قادر على الانتباه مدرك لأهميته في الفهم والتحصيل، ومنهم بليد الذهن كثير السرحان أو كثير الكلام والحركة والتشويش.

وإذا عدنا لزوايا توات وبحثنا في مهارة الانتباه نجدها حاضرة عند الكثير من طلابها في الغالب وخاصة في المراحل المتقدمة من طلب العلم وهذا لسبب إدراكهم لقيمة العلم ومحبتهم للتعلم، وإن كان فيهم كذلك من هو على غير ما ذكرنا، وممن يضرب بهم المثل في إتقان مهارة الانتباه هو الشيخ محمد بلكبير فقد كان في مجالس العلم "حاضر البديهة، مركزا فكره وسمعه على ما في المجلس، لا ينشغل بالحديث أثناء الدرس مع أحد، ولا غاية له سوى التحصيل والفائدة"[1] ولعل هذه القدرة على الانتباه من بين أكثر العوامل التي خلقت لنا هذا الطالب المجدّ الذي صار بعد ذلك من أشهر علماء توات، فلا يتخيل لأحد أن من بلغ في العلم مبلغا وليس له من مهارة الانتباه نصيب.

1 النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص:107.

فمن علامات النبوغ والذكاء عند الطالب أنه حين يجلس إلى شيخه "يجمع عقله إليه، وأن يعقل ما يقول، ولا يشغل ذهنه حينئذ بغير ما يلقيه إليه"[1] لأن في التعلم من فاته شيء لم يدرك ما بعده فالعلم يأخذ أوله بآخره ومن غفل في البداية لم ينل النهاية، لهذا توجب على المتعلم المدرك لأهمية الانتباه أن يكون "حاضر القلب ليتلقى كل ما ألقي إليه بحسن الإصغاء"[2] فلا يغفل ولا ينشغل، بغير ما يقول الشيخ، وهذا من دواعي التحصيل والتمكن في العلم.

فمن كان كذلك وصل إلى مراده فالكثير من طلاب الزوايا الذين أصبحوا فيما بعد علماء ما ذكر منهم أحد أو وصف في مجلس العلم إلا وكان يتمتع بمهارة عالية على الانتباه وحسن الإصغاء

5) مهارة السؤال والجواب.

1- مهارة السؤال.

يعد السؤال أو الاستفهام من بين المهارات التي تظهر حقيقة إدارك المتعلم للموضوع الذي يدرس، فحسن السؤال أهم مؤشر يدل على فهم الطلاب من عدمه، فكلما كان الطالب قادرا على طرح أسئلة تخدم السياق العام لدرس كلما دل ذلك على الفهم وحسن الاستيعاب، ومن خلال السؤال يمكن للمعلم أن يدرك جوانب النقص في درسه فسؤال واحد لطالبه يحيله ربما على جانب من الجوانب التي لم يتطرق إليها أو لم يشرحها، فالأسئلة الجيدة من قبل الطلاب هي مفاتيح كشف الإشكالات التي قد تعتري الدرس.

فالأصل في الطالب أن يكون ذا فضول لكل غامض أو مشكل أثناء الدرس وبعده فكلما عرض له عويص المسائل توجب عليه البحث عنه وسؤال الشيخ إذا لم يجد جواب

1 ينظر: سراج طلاب العلم، ص:100.

2 المصدر السابق، ص:100.

المسألة وأن يكون السؤال "سؤال مسترشد، لا سؤال متعنت، مع أدب ولطافة"[1] فهذه من أبرز شروط السؤال المثمر، فالسؤال الذي يكون قصد منه التعنت أو التعجيز ليس بالسؤال الذي يؤدي غرض التعلم بل هذا يؤدي بصاحبه إلى الحرمان وسخط معلمه ويفسد الصف ويشوش على غيره.

هناك عديد الطرق لأخذ العلم ومنها السؤال فمن سأل عرف فقد قيل قديما: "حسن السؤال نصف العلم"[2] وبما أننا نتحدث عن التعلم في الزوايا لابد أن نشير إلى أن طلاب الزوايا في توات قد أدركوا أهمية الأسئلة في أخذ العلم لهذا نجدهم كثيرا ما يجنحون بالدرس نحو النقاش والسؤال، فلقد كان حمزة بن الحاج أحمد بن السيّد محمد بن مالك القبلوي الفلاني أثناء دراسته لعلم النحو "كان الرجل المدقق، والحاذق الفهم الذي لا تمر عليه الأمور السطحية، وإنما كان يباحث، ويناظر ويناقش."[3] معلمه فلا يترك الجهل يخيم على عقله ولا للمشكلات مجالا لتمنعه من التعلّم، بل يباحث كل ما يعرض له ويناقشه، وهذا طبعا دائما مع حسن الخلق ومعرفة الحد الذي يقف عنده.

فالطالب في زوايا توات يعرف جيدا بأن السؤال يجب أن يكون فيه أدب مع شيخه، فلا يتجاسر عليه ولا يقلل من أدبه معه، وسبق لنا وأن ذكرنا العلاقة التي تربط الطالب بشيخه فهي علاقة تبجيل واحترام، وبسبب هذه العلاقة يدرك الطالب في زوايا توات بأنه عند توجيه السؤال لشيخه "لابد أن يكون ذلك بأدب، وتلطف وحسن تأن"[4] وهذا من محاسن طلاب الزوايا بحيث يغلب على أكثرهم الحياء والتوقير للمشايخ، على عكس معلم المدارس أو الجامعات فكثير ما نلمس نوع من الجفاء من قبل الطلبة تجاه معلمهم وخاصة في هذا

1 المصدر السابق، ص:100.

2 المصدر نفسه، ص:100.

3 النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص:200.

4 سراج طلاب العلم، ص:102.

الزمان، بينما لا يزال طلاب الزوايا يكنون كل الاحترام والتقدير لشيخهم، وهذا مرده إلى عوامل عديدة من بينها العامل الديني، والاجتماعي، وطبيعة العلاقة بين الشيخ والطالب التي تكون في الغالب علاقة أبوية، ويساهم منهج التعليم في الزوايا كذلك من إعلاء قيمة المعلم في نظر المتعلم.

وبسبب طبيعة هذه العلاقة بين الشيخ وطلابه، كثيرا ما ينعكس الأمر بالسلب على المتعلم بحيث يمنعهم الحياء من السؤال في بعض الأحيان، لهذا نجد المشايخ والمربين في الزوايا والمدارس القديمة يحفزون طلابهم على ترك الحياء أثناء التعلم، وهذا التحفيز راجع لإدراك المعلم لطبيعة العلاقة التي تجمعه وطلابه، وما طلب ترك الحياء أثناء التعلّم إلا لما لذلك من فائدة يجنيها المتعلم، أما الأصل فهو لزوم الحياء لأنه "لا يأتي إلا بخير، وإنما طلب زواله لحاجة التفقه مخافة البقاء في غمرات الجهل، ولا بد من الاقتصار على قدر الحاجة، وما لم يكن منه بد، والمحافظة على الحياء فيما وراء ذلك[1]" فالحياء في العلم من أهم أسباب الجهل، فقد قيل اثنان لا يتعلمان المستحي والمتكبر. "فعلى الطالب أن يخلع عنه جلباب الحياء والكبر في التعلم، ويرمي بنفسه في غمرات الطلب، فلا يستحي، ولا يأنف أن يسأل عما لا يعلم، ويستفهم عما لا يفهم، ولا أن يقول لم أفهم، فإن الوجه إذا لم يحمر في مثل هذا لم يبيض أبداً"[2]

ومنهج السؤال في طلب العلم هو منهج الأولين فهو منهج الصحابة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكثيرا ما ورد في القرآن قوله تعالى على لسان السائلين (ويسألونك) وبالنظر لطبيعة التعليم في الزوايا والذي يكون غالبا متعلق بالجانب الديني واللغوي فإن مكانة السؤال لا تزال موجودة في منهج التعلم في الزوايا.

1 المصدر السابق، ص:102.

2 المصدر نفسه، ص:101-102.

2- مهارة الجواب.

وبما أننا تحدثنا عن مهارة السؤال وكيفية طرح الأسئلة على المشايخ والمعلمين لا بد كذلك أن للجواب جوانب مهارية يتمتع طلاب الزوايا في توات، تجعل من إجاباتهم محط بحث وتقصي لفهم التعلّم في زوايا توات، والمتتبع لهذه المهارة، يجد فيها الكثير من الجوانب المتميزة، فالطالب في زوايا توات في الغالب يجيب على حسب السؤال فإذا كان السؤال نثرا أجاب نثرا وإذا جاء السؤال على شكل نظم توجب عليه أن يرد الجواب نظما، وهذا كثيرا ما كان يحدث في زوايا توات، ونذكر هنا أحد الأمثلة التي تبين لنا هذا الأمر وتظهر براعة بعض الطلبة في الرد على الأسئلة الموجهة إليهم.

يعمد بعض المشايخ في زوايا توات إلى طرح الأسئلة على شكل نظم تكون في الغالب تتضمن ألغاز لغوية أو فقهية، يحتاج الطالب لبذل جهد من أجل حلها وجهد آخر لأجل الرد على شيخه نظما لا نثرا، فلقد كان "الشيخ مولاي أحمد الطاهر كثيرا ما يمرن التلاميذ ويطرح عليهم ألغازا يريد حلها"[1] ومن جملة هذه الألغاز التي وقعنا عليها وكان الشيخ يطرحها على طلابه هو هذا اللغز الفقهي.

يقول الشيخ:

إني إِلَيْكمْ أَيِّـــهَا الطُّـــلاَّبُ***أسْأَلُ عَنْ حُكْمٍ فِيمَا الْجَوَابُ

عَنْ حُكْمِ مِنْ خَافَ طُلُوعَ الشَّمْسِ ***وَلَمْ يَقِفْ وَضَاقَ لَيْلُ النَّحْرِ

وَلَـــمْ يُصَلِّ الْمَغْرِبَيْنِ فَهَـــلْ ***يَقِفُ أَمْ يُصَلِّي هَذَا مَقُولِي[2]

1 الرحلة العلية، ص:306/1.

2 المصدر نفسه، ص:306/1.

فالملاحظ من خلال هذه الأبيات المنظومة أن الشيخ كان يوجه السؤال نحو طلابه، وهذا القصد في التوجيه يدل على أن الشيخ كان يريد الجواب ويريد شكلا خاصا للجواب وهو أن يكون نظما، مما يرفع التحدي بين الطلاب ويعزز من تركيزهم وإعمال عقولهم واستحضار معارفهم السابقة سواء ما تعلق بعلم الفقه أو علوم العروض، وهذا ما يجعل المتعلم في موقف صعب أن يجد الجواب ويعطيه لشيخه نظما.

ولكن لأن الطالب التواتي المتفوق في الغالب له ذلك الاستعداد لمثل هذا الأمر نجد أنه "وبعد إلقاء السؤال في مجلس الدرس على التلاميذ كان المجيب له تلميذه"[1] وفي إجابة التلميذ لشيخه عن مثل هذا السؤال وبهذه الكيفية وعلى هذا النحو مكمن البراعة في الإجابة، حيث رد عليه تلميذه فقال:

هَاكَ جَوَابَ مَا سَأَلتَ سَيدِي ***لَا زُلْتَ تُهْدِينَا لِسَبَلِ الرُّشـــــــدِ

قَالَ أَبُو الْمَوَدَّةِ الشَّيْخُ خَلــيلُ*** صَلّي وَلَوْ فَاتَ الْوَقْفُ يَا خَلِيلُ

لِأَنَّ مَا فِي تَرْكِهِ الْقَتــلَ بَدَا ***مُقَـــــدَّمٌ عَـــمَّا سَوَاهُ أَبَـــدَا

صَدَرَ ذَا الْقَرَافِيِّ وَابـنُ الرُّشدِ ***وَصَاحِبُ الْمَدْخَلِ فَافْهَمْ قَصْدَي

وَقَالَ جُلّ عُلَمَـــاءِ الْمَذْهَبِ ***وُقُوفهُ قَبْــلَ الصَّـــلَاَةِ أَوْجَبُ

وَفِي اِجْتِمَاعِ الضَّرَرَيْنِ يَرْتَكِبُ ***مَـــا خَفَّ مِنْهُمَا فَحُقَّقَ السَّبَبُ[2]

1 المصدر السابق، ص:306/1.

2 المصدر نفسه، ص:306/1.

ويظهر من خلال هذا النموذج أن لبعض طلبة توات مهارة كبيرة في التعامل مع أسئلة المشايخ، حيث نجد الطالب يبذل جهده في أن يكون الجواب على قدر السؤال شكلا ومضمونا، وهذا الأمر إنما يدل على حسن التعلّم.

وقد سأل الشيخ مولاي أحمد الطاهر طلبته في موضع آخر في قصيدة طويلة الأبيات "تتضمن ثلاثين سؤالا في واحد وأربعين بيتاً وقد أجابه تلميذه"[1] كذلك، ومن ينظر لعدد المسائل الواردة في القصيدة وطولها يتأكد من أن لفن الجواب في زوايا توات ما يميزه على وجه الحقيقة.

مطلع القصيدة التي طرح فيها الشيخ مولاي أحمد الطاهر ثلاثين سؤالا:

أَلَا حَيَّ دَوْرًا لِلعَلوشَيةِ لِلْمَهْدي ***عَفَتْهَا رَوَايَا الدَّلْوِ بَعْدَكَ وَالسَّعْدُ

فَأَصْبَحْنَا لَا يُعْرَفنَا إِلَّا تَوَّهُــمَا ***وَصَفْوَ اللَيَالِي عَهدُهُ أَكَذَبُّ الْعَهْدِ

تَحَلَّتْ بِمَــى بُـرْهَةً ثُمَّ عَطـلَتْ ***فَمَا ثَمَّ مَنْ مَى وَمَا ثَمَّ مَنْ دَعدِ[2]

وجاء الجواب كما القصيدة التي سبقت، فلقد أجابه عن هذه الأسئلة أحد تلاميذه وكان جوابه بقصيدة "من نفس البحر والقافية في ثلاث وثمانين بيتاً"[3]

يقول في مطلعها:

أَلَا حَيَّ مِنْ بِالْفَضْلِ وَالْعِلْمِ وَالْمَجْدِ ***تَحَلَّى وَحَازَ السَّبْقَ بِالْعِلْمِ وَالْجِدِّ

إِمَــــامُ الْهُدَى شَيْخُ الْمَشَايِخِ مِنْ بِهِ ***أَزَحْنَا سِتَارَ الْجَهْلِ بِالْعِلْمِ وَالرَّشَدِ

1 المصدر السابق، ص:307/1.

2 المصدر نفسه، ص:307/1.

3 نفسه، ص:307/1.

فَيا أَيُّــهَا الْحِبْـرُ الْجَلِيلُ الْعَظِيمُ*** تَوَّاتٌ بِفَصْلِكُمْ تَدِينُ وَتَقْتَدِي

فَأَنْتُمْ عَنْهَا اِرْتَحَلْتُم بِجِسْمِكُمْ ***فَرُوَّحُكُمْ تَحْظَى بِفَخْرٍ وَسُؤْدُدِ

وَهِّمَتُكُمْ لَا يَبْلُغُ الْوَصْفُ حَدَّهَا ***وَإِحْسَانُكُمْ بِهَا يَجُلْ عَنِ الْعَدِّ

فَفِيهَا أَفَدْتُــم وَفِيــــهَا أَجَدْتُــم ***وَفِيهَا سَلَكْتُم طَرِيقِ مُحَمَّدِ[1]

فالجواب في زوايا توات كما نرى له جوانب تضبطه فلا يكون الجواب في الغالب إلى على قدر السؤال، ويكون يحاكيه من ناحية الشكل، فالنثر يقابله نثر والنظم يقابله النظم، وهذه مع مراعاة المضمون فلا يعني أن الطالب يجيب على شيخه فقط في الناحية الشكلية بل يجب عليه أن لا يغفل عن مضمون السؤال، وأن يجيب عن المسائل والإشكالات بالقدر الذي يستوفي السؤال من مختلف جوانبه.

6) مهارة التثبت والمراجعة.

لكي يكون أمر التعلّم ناجحا وناجعا لابد أن يمتلك المتعلّم مهارات تشمل جميع مراحل التعلم من البداية حتى النهاية وتكون موزعة على جميع أوقات الدرس، فلا يمكن أن تتم عملية التعلّم بالطريقة السليمة والصحيحة على أتم وجه، إذا أغفلنا أي جزء من أجزاء ومراحل التعلم، لذا يعد امتلاك مهارات في بداية الدرس وفي وسطه أو أثناء العرض وبعد تمام الدرس شرط أساسي لنجاح العملية، وبعد أن ذكرنا فيما تقدم بعض المهارات التي تتعلق بالمتعلّم قبل وأثناء الدرس لابد أن نذكر هنا بعض أبرز وأهم المهارات الختامية التي يعول عليها طالب الزاوية التواتية ليكون قادرا على التعلم بالصورة المثالية.

1 المصدر السابق، ص:307/1.

هناك العديد من المهارات التعلمية التي تخدم الموقف الختامي في التعلم، ويمكن عدّ مهارة التثبت والمراجعة من بين أبرز هذه المهارات التي تساعد الطالب في التعلم حال التمكن منها والأخذ بها، وهي تخدم العملية التعلمية بشكل كبير، وتجعل المتعلّم قادر على التحصيل سرعة والدائم وتساعده كذلك على التمكين من المادة الدراسية واحتوائها.

ومن الأسباب التي جعلتنا نجمع بين هاتين المهارتين هو كون المراجعة في الأساس عامل من عوامل التي تساعد على التثبت، وبهذا تصبح مهارة المراجعة مرتبطة ارتبطا مباشرا بمهارة التثبت تخدمها من حيث الغاية.

والباحث عن الكيفية التي تتم بها المراجعة والتثبت في الزوايا التواتية يجد أن طلاب الزوايا في توات كانوا يتبعون طرق مختلفة في ذلك، فلم يكن الأمر يقتصر على طريقة واحدة وفقط بل اختلفت وتنوعت طرقهم في الوصول لتمكن من هذه المهارات الختامية، ومن أبرز هذه الطرق نجد ما يلي:

طرق التمكن من التثبت والمراجعة.

في مقدمة طرق وآليات تمكن الطالب من المراجعة الجيدة هي أن يقوم الطالب المتمكن مقام الشيخ بعد انتهاء الدرس أو أثناء غيابه أو تعطلهم عن الحضور بسب عامل أو شاغل من الشواغل كالمرض أو السفر أو غيرها، ففي هذه الحالة نجد الطالب الذي أجازه الشيخ أو تمكن من الفن المدرس يقوم في مجلس الشيخ ويدارس أصحابه وباقي الموجودين في الصف المسائل العلمية ويشرح لهم ويتناقش معهم، ويرى ابن سينا أن هذه الطريقة هي أدعى للتعلم وأجلب للمنفعة فيقول فيها "الصبي عن الصبي ألقن، وهو عنه آخذ وبه آنس"[1] وهذه الطريقة في تعلّم أصبحت تحظى بالكثير من الأبحاث والدراسات في العصر الحديث

1 ابن سينا والنفس الإنسانية، محمد خير الدين عرقوسي، حسن ملا عثمان، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، لبنان، 1982، ص:202.

لأن الطالب حين يأخذ عن أقرانه لا يكون مقيد بتلك الجوانب التي تقيده أمام شيخه أو معلمه، بل يجد راحته في السؤال والتعقيب والاستفسار بدون أي حرج أو خوف.

وذهاب الخوف والحرج عن المتعلم مما يحصل به الفائدة في التعليم فالأخذ عن الأقران "من أسباب المباراة والمباهاة والمساجلة والمحاكاة، وفي ذلك تهذيب لأخلاقهم وتحريك لهممهم وتمرين لعاداتهم"[1] فالتعلم عن طريق الأقران من الطرق العريقة التي عرفتها الأمة الاسلامية وتعد الزوايا من بين أهم المؤسسات التي تشتغل على هذا النوع وتشجع عليه، وزوايا توات لا تختلف عن غيرها في هذا فالكثير من المشايخ يشجعون على هذه الطريقة، ويذكر محمد بن عبد الرحمان البلبالي، أنه كان يقوم مقام شيخه في التدريس حين يغيب بسبب المرض أو غيره فقال: "فتصدرت في موضعه لإقراء الطلبة ففرحوا بقراءتي وأعجبهم إملائي حتى كأن الشيخ لم تعدم إشارته ولم تفتهم عبارته"[2] وفرح الطلبة بقراءة صديقهم راجع لما قلنا سابقا بأن الطالب يستأنس بصاحبه وقرينه في التعلم أفضل من شيخه لهذا كثيرا ما نجد هذه الظاهرة في زوايا توات، ويجدر بنا الإشارة هنا أنه لا يتقدم لإقراء أصابه في الزوايا إلا من له إجازة أو يحظى بالثقة من قبل شيخه فليس كل قرين يصلح لهذا الأمر.

ومن الطرق المتبعة كذلك في التثبت في زوايا توات نجد كثرة التكرار، فمعظم الطلبة في الزوايا يلجؤون إلى هذه الطريقة من أجل تثبيت ما تعلموه وترسخيه في عقولهم، لأن الدرس "مهما تكرر وأعاد الطالب فيه النظر، كان سبب في فوز الطالب بالحفظ والفهم، لأن الشيء مهما تكرر وتقرر وبالحفظ الناشئ عن المراجعة يسهل الفهم"[3] فالتكرار المفيد إذا هو

1 التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، عبد الله عبد الدائم، دار العلم للملايين، ط5، 1984، بيروت، لبنان، ص:258.

2 قطف الزهرات من أخبار علماء توات، ص:47.

3 سراج طلاب العلم، ص:99.

الذي ينشأ عنه الفهم، وبهذا تكون المراجعة والتثبت حاصلة من خلال التكرار، فالتكرار يساعد على تقرر المعلومات والمعارف في الذهن، وبه ترسخ وتتثبت في عقل المتعلم، فيكون قادرا على استجلاب المعلومة وقت الحاجة إليها.

ولا نقول في هذا المقام بأنه يتوجب على كل المتعلمين تكرار الدروس مرارا وتكرارا، بل الأمر منوط بالقدرة على التثبت من معلومات ومعارف الدرس فلكل طالب مميزات عقلية وخصائص ذهنيه، يختلف بها عن غيره، فالذي يحصل له التثبت من خلال التكرار مرة أو مرتين يجزيه الأمر لأن القدر المطلوب من التكرار أن يكون على حسب تحقيق المراد "فلو رسخ من مرة واحدة فلا حاجة إلى غيرها، فرب شخص لا يحفظ إلا مع الترديد مرات عديدة، ورب آخر يحفظ بمجرد سماع أول مرة"[1] لهذا يجب على الطالب أن يعرف مقدراته العقلية والذهنية ويكون في ذلك صريح مع نفسه ويكرر ويراجع على حسب ما يتم به استفاء الحاجة وحصول الغاية.

7) الوسائل التعليمية في زوايا توات.

تعد الزوايا أحد أهم المؤسسات التعليمة التي تحرص على تعليم اللغة العربية في منطقة توات، وهي تستعين لأجل تحقيق هذا الأمر ببعض الأدوات والوسائل التعليمية، "تكاد تنحصر في قلم من قصب ودواة ولوح خشبي ممرور عليه بالصلصال"[2] ومجموعة من الكتب المتعلقة باللغة العربية وشروحها، وغيرها من الأدوات، وهي في العموم أدوات يتم استخدامه في كل الزوايا وفي مختلف الأماكن.

1 المصدر السابق، ص:99.

2 حياة الكتّاب وأدبيات المحضرة صور من عناية المغاربة بالكتاتيب والمدارس القرآنية، عبد الهادي حميتو، دار أبي رقراق، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 2006، الرباط، المغرب، ص:581/2.

وبالحديث عن الوسائل التعليمة في الزوايا، نذكر أن مفهوم الوسيلة التعليمية، كما هو في الدراسات الحديثة والذي يعني "كل الأدوات والطرائق التعليمية التي تتيح للمدرس أن يعلم عددا أكبر من التلاميذ تعليما أفضل وأسرع وبأقل جهد"[1] وهذا المفهوم ينطبق على الأدوات التعليمية القديمة التي عرفتها الزوايا والتطور الذي حصل إنما حدث في الوسائل التعليمية بذاتها، وهذا التطور قد "تأثرت بتطور الصناعة فكان لكل عهد صناعي وسائل تعليمية"[2] تتناسب معه، فشهد العالم ثورة في مجال الوسائل التعليمية خاصة بعد عصر النهضة وما رفقه من تطور تكنولوجي، وأصبح هذا العصر عصر التكنولوجيا الرقمية، فدخل الحاسوب والألواح الذكية والماسح الضوئي وغيرها من الأدوات التي أصبحت هي عصب الوسائل التعليمية الحديثة، وهذا تماشيا مع متطلبات هذا العصر.

وبالعودة للحديث عن الزوايا والكتاتيب وغيرها من مراكز التعليم والتعلم القديمة يمكن القول بأنها عرفت بعض الوسائل التعليمية التي تعد في عمومها وسائل بسيطة، وهي قديمة بقدم الزوايا فهي "تقليدية في مجملها لم تتطور إلا قليلا، ومن تلك الوسائل: اللوح، الصلصال، الصمغ، الأقلام القصبية، المصحف الكريم"[3] ويتواجد كذلك بها بعض كتب والمتون الفقهية واللغوية وغيرها من كتب وشروح لمختلف العلوم التي تدرس بها، كما تم إدخال السبورة والطباشير في البعض من هذه الزوايا وفي عمومها تعد هذه الوسائل من الجيل الأول للوسائل التعليمية فحتى المدارس "عرفت خلاله الوسائل التعليمية باستخدام اللوحات، والخرائط والمخططات البيانية، والنماذج، والسبورات والعروض العلمية والتمثليات"[4] فلم تكن تعرف الوسائل الحديثة الموجودة الآن، فهي لم تكن تختلف كثيرا عن الزوايا

1 ملفات سيكوتربوية تعليمية، بن يزيح نذير، دار هوم، ط1، الجزائر، 2010، ص:101.

2 المرجع نفسه، ص:101.

3 الكتاتيب القرآنية بندرومة، ص:61.

4 ملفات سيكوتربوية تعليمية، ص:101.

والكتاتيب إلا في بعض الأدوات كاستخدام المجسمات والخرائط وغيرها وهذا لما تقتضيه بعض المواد التي تدرسها المدارس ولا تدرسها الزوايا.

ويعد حسن استخدام الوسائل التعليمية من بين أهم العناصر التي تحسن من عملية التعلّم فكلما كان المستخدم قادر على التحكم في الوسيلة التعليمية كلما كان التعليم جيد، "فالوسيلة التعليمية التعلمية تنظم وتقدم المعارف بصورة مناسبة ومؤثرة، تساعد على تقديم القدوة والمثل وتتيح الفرص أمام المتعلم للمقارنة بين ما تحتويه وما يتوفر لديه"[1] من المعارف والعلوم لهذا وضع علماء التربية والمختصون في شأن التعليم والتعلّم مجموعة من المعايير والشروط التي تكون سبب في الاستفادة من الوسائل التعليمية.

1- شروط الاستفادة من الوسائل التعليمية.

- أن تتوفر على إمكانية تحقيق الهدف التربوي من الفعل التعليمي، وهذا بوجود تناسبية بين الوسيلة والهدف وتكون الوسيلة التعليمية تخدم بشكل مباشر الأهداف التربوية والتعليمية المراد تحقيقها.
- أن تكون في مستوى المتعلمين، فلا يجب أن تكون غامضة أو بعيدة عن استعاب عقل المتعلم، أو خطيرة وخاصة إذا كان المتعلم صغير السن، بل تتوفر على معاير السلامة والأمان.
- أن يتمكن الدارسون من الاستفادة منها من حيث العدد أو التوزيع، وهذا أمر ضروري بحيث تكون متاحة للجميع وبالعدد اللازم لأجل التكافؤ في فرص التعلم.
- أن تعرض وتستخدم بطريقة تحقق الغرض، وهذا في الغالب دور المعلم فهو من يتوجب عليه أن يحرص على أن يكون استخدام الوسيلة التعليمية استخداما صحيح يمكن الجميع من الاستفادة منها.

1 ملفات سيكوتربوية تعليمية، ص:108.

- أن تكون بسيطة غير معقدة الاستخدام، فكلما كان استخدام الوسيلة سهلا وبسيطا زاد الأمر من فرص التعلم.
- أن لا تكون مكلفة ولا مضيعة للوقت، فالوسائل المكلفة في الغالب يكون استخدامها محدود ويقتصر على بعض العناصر فقط، كما أن الوقت الذي يتم استخدام الوسيلة فيه يجب أن لا يأخذ أوقات باقي عناصر الدرس كالشرح والمناقشة والتحليل وغيرها.[1]

وفي العموم فإن الوسائل التعليمية المستخدمة في الزوايا سواء في توات أو غيرها تتوفر في الغالب على العناصر السابق ذكرها، لذلك فهي بالنظر لطبيعة التعليم في الزوايا والمواد المقرر تدريسها فيها، يمكن القول بأن جملة الوسائل المستخدمة فيها تخدم الغاية وتحقق المراد، وهذا لا يعني أنه يجب على الزاوية الاكتفاء باللوح، والقلم، والدواة ،والصلصال، وبعض الكتب، بل يجب عليها كذلك أن تأخذ الوسائل التعليمية الحديثة كالحاسوب والماسح الضوئي واستخدام محركات البحث، وغيرها من الوسائل الحديثة، ودمجها ضمن الوسائل التعليمية في الزوايا، وهذا بالقدر الذي يحقق الغاية ويفي الحاجة.

2- مهارات استخدام الوسائل التعليمية في زوايا توات

رغم قلت الوسائل التعليمية المستخدمة في الزوايا وبساطتها إلا أنها تحتاج في الغالب إلى مهارات تساعد على استخدامها وحسن استغلالها على الوجه المطلوب لكي تكون سببا في تحسين تعلم الطالب في الزاوية، فرغم "ما يلاحظ على هذه اللوازم من حيث قلتها وبساطتها، فإن المستعمل لها يعرف كيف يستخدمها أحسن استخدام فيؤدي بها وظائف شتى"[2] فتظهر من خلالها مهارة المتعلّم في الزوايا في استخدام الوسائل التعليمية .

1 ينظر: المرجع السابق، ص:117.

2 حياة الكتاب وأدبيات المحضرة، ص:581.

ولا يجب أن نمر على مهارات التعلّم في زوايا توات دون أن نذكر المهارات التي يتمتع بها طلاب الزوايا في توات من ناحية استخدام الوسائل التعليمية، لأن لهذه الأخيرة أهمية كبيرة في تحسين وتطوير التعلّم، بل من بين أهم الأسباب التي كانت وراء تقدم الدرس اللغوي في توات وازدهاره هو تدخل هذه الوسائل (اللوح والقلم والدواة والشروح و...) في عملية التعلّم، وكذا حسن استخدامها.

أ- اللوح

يأتي اللوح في مقدمة الوسائل التعليمية التي تعتمد عليها الزوايا عموما فهو عماد الحياة الدراسة في الزوايا وفي الغالب "يقوم بتحضيره النجار على أشكال مختلفة في الطول والعرض، فالصغير منه يكون ذا حجم (20سم على 30سم) والكبير يحمل حجم (30سم على 50سم) وينبغي أن يكون من لوحة واحدة مصقولة، ومستقيمة صالحة للكتابة"[1] وهذه المقاسات ليست بالضرورة ثابت بل تزيد وتنقص على حسب الحاجة، وفي الغالب يكون سن المتعلم هو من يحدد المقاس المناسب له.

واللوح في الحياة العلمية في الزوايا، ليس مجرد قطعة من خشب بل له قداسة خاصة عند صاحبه، وهذه القداسة مستمدة من التراث الإسلامي، فاللوح ذكر في أكثر من موضع من القرآن الكريم، .... لذلك نجد الطالب في الزوايا يوليه كل العناية والاهتمام، وهو من أبرز الوسائل التعليمية في الزوايا إن لم نقل أنه أهمها، فيتم استخدامه في مواضع عدّة ولأغراض مختلفة، فأول ما يكتب للمتعلم يكون على اللوح حيث "يكتب المعلم في اللوح الآيات بقلم الرصاص أو بما يظهر تأثيره في اللوح ليتابع ذلك الصبي بالقلم والحبر حتى يتدرب على وضع الحروف وتحسينها"[2] وهكذا تبدأ رحلة الطالب مع لوحه ويبقى يلازمه حتى

1 الكتاتيب القرآنية بندرومة، ص:61.

2 الرحلة العلية، محمد باي بلعالم، ص:293/1.

يتخرج في المستوى الأخير، فلا يستغني عنه لحظة لذلك يقال بأن "اللوح هو قطب العملية التعليمية وعمادها"[1] في الزوايا فلا يمكن تصور تعليم أو تعلّم في الزوايا لأي علم دون اللوح.

كما ينظر المتعلّم في الزوايا إلى اللوح على أنه "رمز لحياة الجد والصبر والاحتمال ومظهر لقوة الإرادة وصحة العزيمة، وتحمل مؤنة الاختيار الصعب"[2] فالتعلم في الزوايا ليس بأمر السهل بل هو من المشقة بما كان، ولا يواسي الطالب في رحلته العلمية داخل الزاوية سوى ذلك اللوح الخشبي فهو ينظر إليه على أنه المؤنس والرفيق في رحلة طلب العلم فعليه يتعلم الحروف ويكتب القرآن الكريم ويدون ملاحظات الشيخ في آخره، ويكتب مختلف المنظومات التي يريد حفظها، فمعظم عمليات التعلم في الزوايا تتم على اللوح ولا سبيل لتركه، ولهذا الأمر كذلك يتم إعلاء مكانة اللوح في الزوايا.

ولأن المتعلّم يصاحب اللوح طول مرحلة تعلمه في الزوايا، ينتج عن هذا تجانس وعلاقة خاصة، تؤدي إلى اكساب المتعلم مهارات خاصة في استخدام لوحه، فيصبح الطالب يتفنن في استخدام لوحه لأغراض عديدة فيكون "اللوح الخشبي هو للقراءة ووسيلة وقاية من الضربات العشوائية التي يوجهها المعلم في كل لحظة بسبب أو غيره"[3] فبقدر ما هو وسيلة من وسائل التعلم هو كذلك وسيلة من وسائل الحماية.

كما يستخدم المتعلّم في الزوايا لوحه لأغراض غير التي ذكرنها سابقا فهو كذلك من الأدوات التي يستخدمها الطالب من أجل أخذ قسطا من الراحة أثناء التعب فيكون اللوح "أيضا تُكأة غير مباشرة للتلميذ عليها يعتمد ليستريح من طول الجلوس، وبسببها يتحرك يمينا

1 حياة الكتاب وأدبيات المحضرة ص:583.

2 المصدر نفسه، ص:593.

3 نفسه، ص:582.

ويسارا أثناء القراءة، وبها يغطي وجهه في حركات كلامية أو لفتات سريعة إلى من بجانبه"[1] سواء من أجل السؤال أو طلب غرض ما.

وبهذا يكون اللوح بالنسبة لطالب الزاوية لا يعني "فقط هذا المسطح الخشبي الذي يخط فيه القارئ بالقلم والصمغ، وإنما هو فوق ذلك بالنسبة للطالب هو الرفيق القديم، والصاحب بالجنب، المستحق للإحسان، والصديق الدائم الذي يلقاه كل يوم بالبشر، فيبسط له الوجه، ويقدم له العون، ويساعده على التصرف"[2] فيعتمد عليه في الكثير من المواقف داخل الزاوية سواء ما تعلق بالمواقف التعلمية أو غيرها من الأمور التي تحدث داخل الصف، فاللوح في الغالب يكون بالنسبة للطالب هو من " يرمز لملفوظه، ويتسع لمحفوظه، ويكون له ردءا عند الشدة، وعدة عند الحاجة إلى العدة، فيرد به الشرّة ويتقي به من يد (الفقه) الدرة، ويقوم به صُلبه عند الجلسة، ويمكنه عند الغفلة من نظرة الخلسة، أو مداراة النعسة، يصغر حجما بصغره، ويزداد جرما بكبره وهو لا يمل من العيش في حجره، أو بين سحره ونحره، ولا يشكو من ضربه ونقره، ولا يضيق ذرعا بما يجري عليه من عمليات الرأب عند صدعه أو كسره"[3] وبهذه العمليات والوظائف المختلفة التي يؤديها اللوح في الحياة العلمية داخل الزوايا، يكون الطالب أمام وسيلة تعليمية تتيح له خيارات مختلفة للاستخدام تمكنه من تطوير مهاراته في التعامل مع الوسائل التعليمية المتاحة داخل الزاوية، فيصبح الطالب يتمتع بقدرة عالية على معرفة طرق الاستثمار في هذه الوسيلة من أجل تعلم علوم اللغة العربية وغيرها من العلوم.

1 المرجع السابق، ص:582.

2 المصدر نفسه، ص:594.

3 نفسه، ص:594.

ومما يؤكد مكانة اللوح في الحياة العلمية داخل الزوايا ما نظمه شيوخ وعلماء توات وغيرهم في مدحه وذكره في الكثير من قصائدهم وها هو الشيخ محمد بن أبّ التواتي يقول في مدح اللوح:

قَدْ ظَفِّرتَ بِالْعِلْمِ يَامِنْ كَانَ ذَا طَلَبِ*** لِلْخَيْرِ فِي كَفِّهِ لَوْحٌ لَهُ بَرَكَة

مَنْ حَازَا حِبْرًا وَكَـانَ الْعِلْمُ مَطْلَبَهُ*** تَكُونُ فِي كُلِّ مَا عِلْمٍ لَهُ شَرِكَه [1]

وقال الشيخ محمد حنبل الشنقيطي يخاطب لوحه ويناجيه:

عِمَّ صَبَاحًا أَفْلَحْتَ كُلَّ فَلَاحِ*** فِيكَ يَا لَوْحُ لَمْ أُطِعْ أَلْفَ لاح

أَنْتَ يَا لَوْحُ صَاحِبِي وَأَنِيسِي ***وَشِفَائِي مِــنْ غُلَّتي ولُواحي [2]

فانتِصاحُ امرئٍ يَرُومُ اعتِياضي ***طَلَبَ الوَفْر [3] مِنْكَ شَرٌّ انتصاح [4]

وقال غيرهما:

إذا لَاح شَهْرُ الصَّيْفِ لَابِدٌ مِنْ فَتَى ***تَثْقُلُ خَوْفُ الْجُوعِ عَنْ لَوْحِهِ دَهْرا

تَرَى قَاصِرَ الْهمَّاتِ يَشْتَاقُ أَهْلهُ **وَذُو الْهَمَّةِ العُلْيَا إِذَن يَأْلفُ الصبرَا [5]

وفي هذا خير دليل على المكانة الجوهرية التي يحظى بها اللوح، سواء عند المربين أو عند المتعلمين، ومن أجل ذلك نجد أن طالب الزاوية في توات يحرص كل الحرص على

1 النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص:84.

2 الغلة واللواح –بضم أولهما : العطش، حياة الكتاب وأدبيات المحضرة ، ص:604.

3 الوفر: الغنى، حياة الكتاب وأدبيات المحضرة ، ص:604.

4 المرجع نفسه، ص:604.

5 نفسه، ص:604.

لوحه ويرعاه ويحاول استخدامه على الوجه الأنسب في التعلم فيكتب عليه الحروف ويتعلم عليه الخط ويدون عليه ملاحظات المشايخ، وهو الرفيق والأنيس وكل ما سبق ذكره.

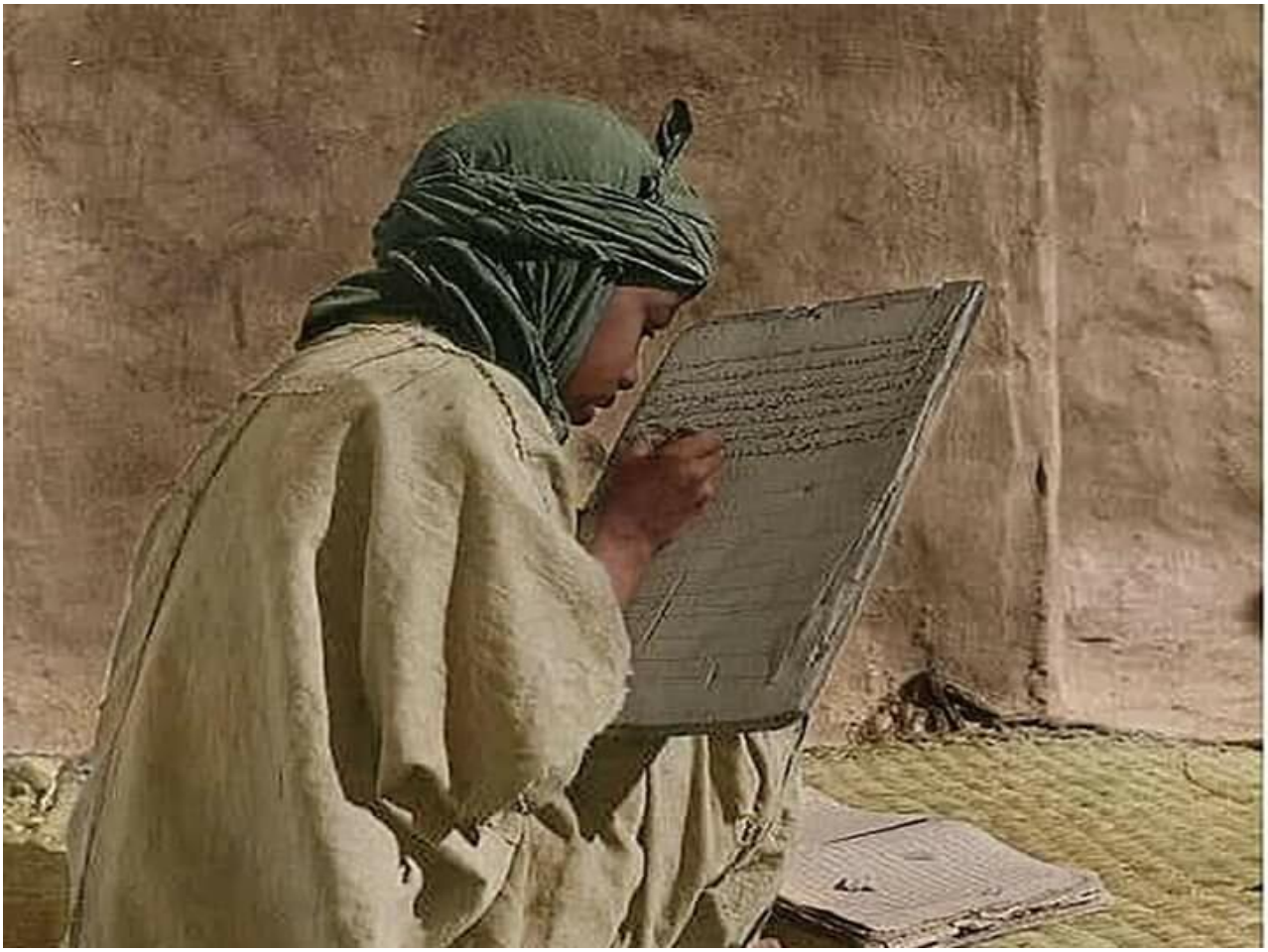

1- صورة تظهر عمليه الكتابة على اللوح.

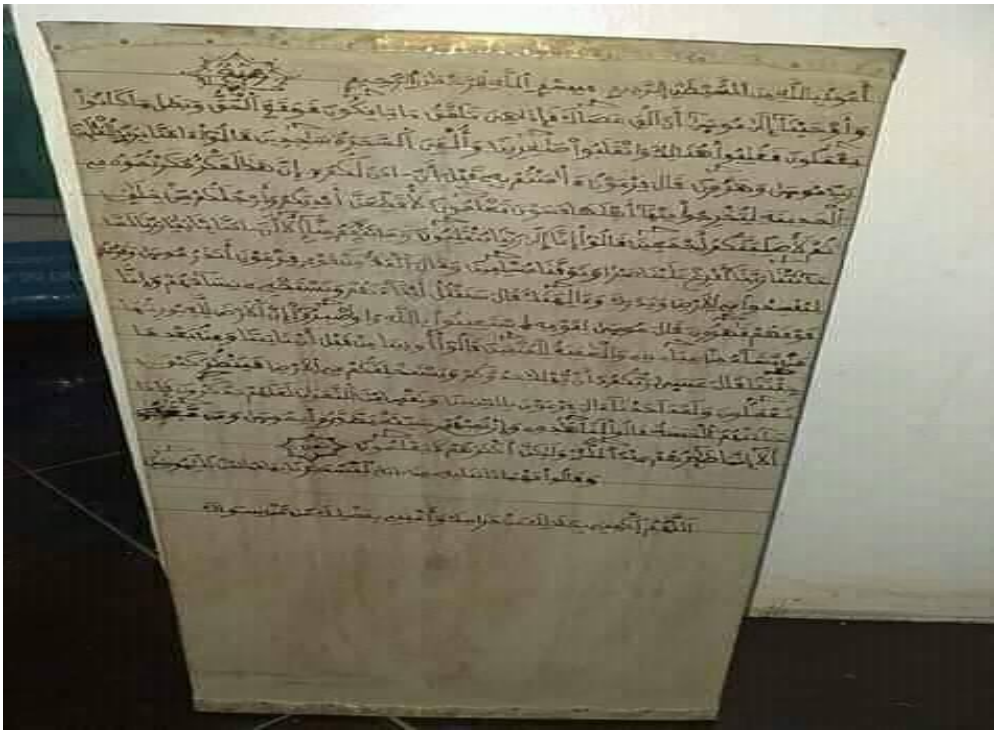

2- صورة للوح خشبي.

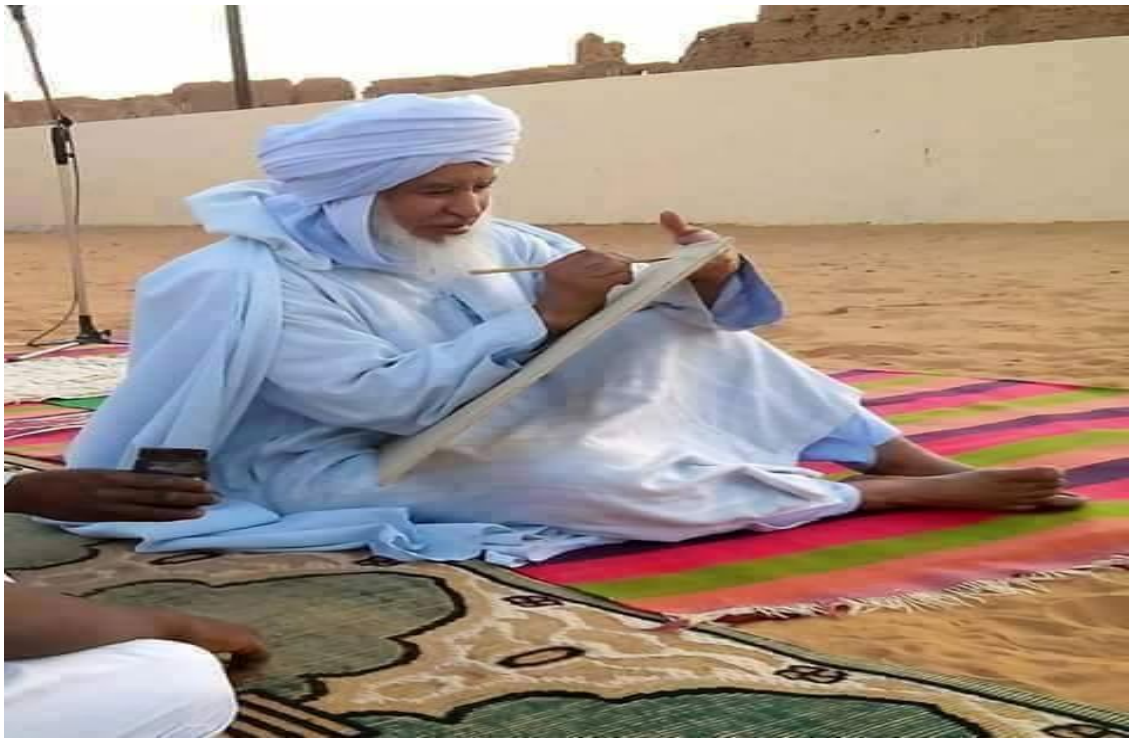

3-الشيخ الحسن الأنصاري وهو يكتب على لوح لأحد الطلاب.

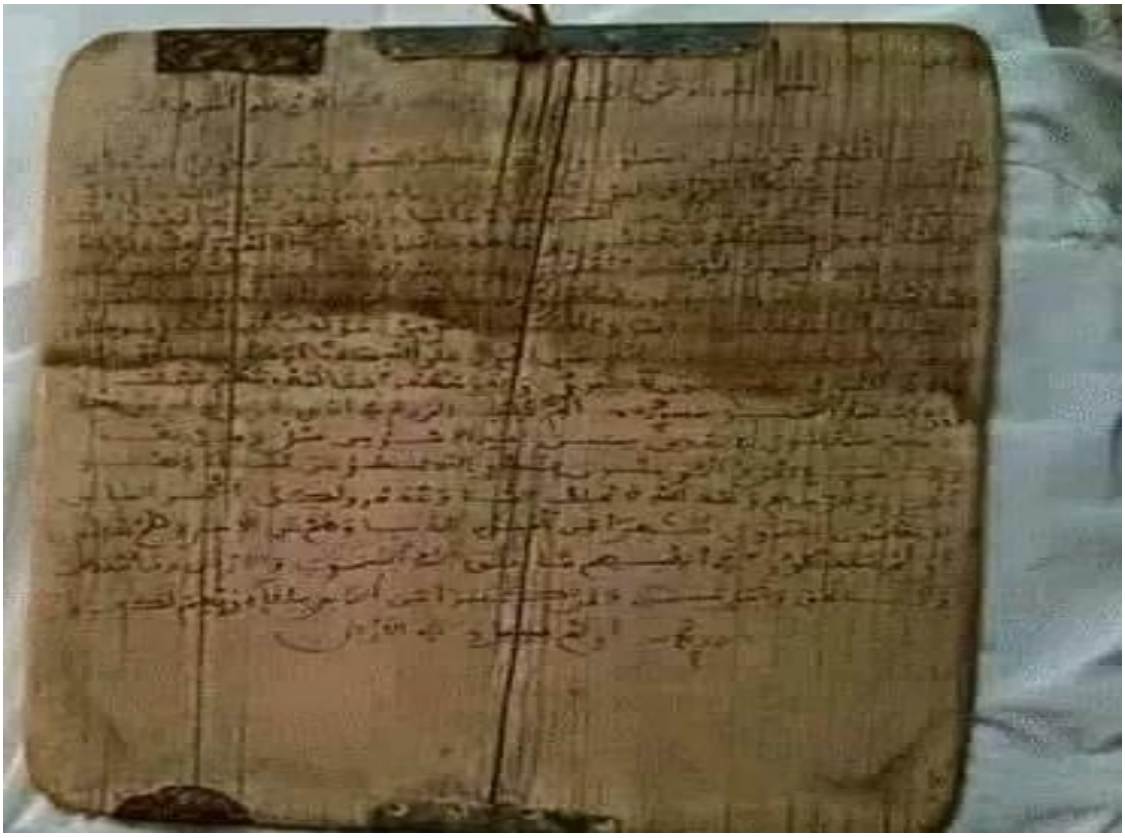

4-اللوح.

ب-القلم والدواة:

لا تقل أهمية القلم عن اللوح، فهو من بين أهم الوسائل التعليمية داخل الزوايا، وله العديد من الوظائف التي يتم استخدامه فيه، ويتم صناعة هذا الأخير في منطقة توات من "القصب أو من جريد النخيل وأعواد دقيقة مسطحة"[1] وهذا نظرا لتوفر هذه المادة بشكل كبير في الصحراء بينما يتم صناعته من القصب في غالب المناطق الأخرى، ولصناعته مهارة خاصة، بحيث يكون أول خطوة هو حسن تخير الأعواد المستقيمة والجافة من الرطوبة، وهذا لكي يكون القلم ذو شكل مستقيم وجميل ولا يمتص الكثير من حبر الدواة، وبعد أن يقع الاختيار على أعواد معينة يقوم الطلاب "ببري رأس العود بموس أو شفرة يأخذون من وسطه

1 توات والأزواد، ص:252.

وأطرافه حتى إذا دق رأسه شقوه من النصف شقاً خفيفاً دقيقاً به يسهل انسياب الحبر وغالباً ما تكون للطالب عدة أقلام"[1] مما يتح له فرصة الاختيار بينها، فيستخدم كل قلم لنوع معين من الخطوط أو تسطير لوحه وغيرها من الأغراض.

وكما اللوح كذلك القلم، لا يتوقف دوره على الكتابة والتسطير بل إنه إن لم يكن "معداً للكتابة من جهتين، فسيكون مهيئاً لأن يكون وسيلة لتسطير اللوح، أو بيكارا لرسم دائرة الختمة، أو مساعدا على تحكيك ألفاظ القرآن وترددها من أجل الحفظ"[2] والطالب هو من له حرية استخدام القلم في الغرض الذي يراه مناسبا لذلك.

أما الحبر الذي تتم به الكتابة فإنه كذلك يكون في الغالب من صنع الطالب، إلا الصبيان فإنهم يستعينون بمن يصنع لهم حبر الدواة سواء كانوا من الأهل أو باقي الطلبة ممن هم أكبر منه، ويتم صناعة الدواة من "صوف الغنم ويكون أسود اللون"[3] ويتم ذلك من خلال تخير الصوف الجيد ثم تنقيته من الشوائب وما علق به وينقع جيد في الماء من أجل أن يغسل ثم يتم حرقه ويضاف إليه الماء بقدر معلوم، وبعدها يوضع في قارورة خاصة به من أجل أن لا يجف ويبقى صالح للكتابة لأطول مدّة ممكنة.

وفي الغالب يكون هذا الحبر للكتابة ولكن طلاب الزوايا يستخدمونه كذلك لأجل غرض آخر فهو "للكتابة، وهو في نفس الوقت لوضعه مرهما على الجروح التي قد تلحق المتعلم أثناء وجوده في الكتاب أو المحضرة من جراء الضرب وغيره"[4] وبهذا تتعدد أغراض استخدام كل وسائل التعليم في الزوايا، ولا يكتفي الطالب في توظيفها لما أعدت له وفقط بل يبتكر طرق أخرى للاستفادة منها.

---

1 توات والازواد، ص:252.

2 حياة الكتاب وأدبيات المحضرة، ص:581-582.

3 توات والازواد، ص:252.

4 حياة الكتاب وأدبيات المحضرة، ص:582.

5-صورة لمجموعة من الأقلام المصنوعة من القصب.

6- صورة لدواة والأقلام .

ج- الشروح.

تعد الشروح نوعا من أنواع التأليف وهي قديمة حيث عرفها المجتمع العربي مع معرفة التأليف، فلا نكاد نجد كتابا من الكتب التي تم تأليفها قديما إلا وعليه مجموعة من الشروح، وهي في الغالب تأتي من أجل فك ألفاظ الكتاب الرئيسي وشرح غامضه وبيان معانيه وتفكيك المجمل وإظهار الخفي منه، وهذا لأجل تسهيل أخذ العلم والتمكن منه وتبسيطه لعامة الناس، وخاصة طلبة العلم منهم.

وعرفت منطقة توات ظهور العديد من الشروح وعلى مختلف الكتب والعلوم، خاصة بعد تطور الحركة العلمية بالمنطقة وانتشار الزوايا فيها وتوافد العلماء عليها والطلاب من كل مكان، ولهذا كان لعلماء توات الكثير من الشروح على شتى الكتب والمؤلفات وفي شتى العلوم، خاصة ما تعلق بالفقه وعلوم اللغة العربية كالنحو والبلاغة والعروض والصرف، وفي العديد من الحالات يكون لطلاب الزوايا دخل في انتاج هذه الشروح، بحيث يقومون بكتابة كل ما يقدمه الشيخ أو المعلم أثناء تعليمهم فيقيدون شروح المشايخ التي تجمع في ما بعد لتصبح شرحا على نظم أو كتاب، لهذا يمكن القول أن طريقة التدريس في منطقة توات والتي

تتيح لطالب فرصة المساهمة في إنتاج الشرح، وهذا من خلال حرصهم على تدوين كل كبيرة وصغيرة يتلفظ بها المعلم، لها دور في إثراء خزائن توات بالعديد من الشروح وفي مختلف العلوم.

ومن جملة الكتب التي عليها الكثير من الشروح في منطقة توات، وهي متعلقة بالجانب اللغوي نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر "مقدمة ابن آجروم التي عليها العديد من الشروح ومن أشهرها شرح ابن أبّ المزمري، كما وضع سيدي المختار الكنتي شرحا على منظومة المقصور والممدود لابن دريد في علم الصرف، وقام البعض بشرح أبواب من الألفية"[1] وهذا الكم الكبير من الشروح يعزز من موقف الطالب اتجاه الوسيلة التعليمية ويحفزه على الحرص على تدوين ما يسمع من شيخه، لمعرفته المسبقة بأن ما يقوم به هو إعادة إنتاج لشرح من شروح المتن الذي يتم تدريسه، مما يزيد من حرص الطالب على التدوين، إيمانا منه أنه جزء مهم في عملية إنتاج الشروح.

وبالنظر لطرق استخدام الوسائل التعليمية في زوايا توات، وطرق صناعتها وإنتاجها، يمكن القول بأن الوسائل التعليمية في الزوايا التواتية تتيح للطالب مجالا لأجل اكتساب مهارات متعددة لا تقل أهمية عن مهارات التعلّم الأخرى، فالوسائل التعليمية في الزوايا تنمي روح المسؤولية في الطالب من خلال تلاك المجال له لصناعتها وحده في الغالب، مما يعزز ثقة الطالب في نفسه ويشعره بالمسؤولية كذلك اتجاه هذه الوسائل فهو يحاول صيانتها وحفظها من كل ما يمكن أن يتلفها أو يعرضها للكسر.

كما أن الوسيلة التعليمية في زوايا توات توفر على بساطتها الطاقة والجهد فهي في الغالب تصنع من وسائل بسيطة متوفرة وغير مكلفة من الناحية المادية مما يجعل منها وسائل مناسبة للظروف التي يعيش فيها المجتمع التواتي.

1 جهود علماء توات في تدريس اللغة العربية، ص:92.

إن الطالب داخل الزوايا في توات، يحتاج دائما لامتلاك مجموعة من مهارات التعلّم لكي يتمكن من تحصيل مختلف العلوم بما فيها علوم اللغة العربية، ولا يمكن القول بأن إتقان مهارات التعلّم موقوف على جهد المتعلم أو الطالب وفقط ولكن في الحقيقة فإن "إتقانه هذه المهارات يعتمد على مدى جودة المادة العلمية النظرية التي أتيحت له فرصة دراستها، وكذا نوع التدريب الذي أتيح له ومدى إقباله عليه، وسلامة وفعالية الطريقة والوسيلة المستخدمة"[1] فكل هذا العناصر تتدخل في تطوير مهارات التعلم الجيدة التي تكون تشمل جميع مراحل الدرس من البداية حتى النهاية وجميع الأطوار والمراحل، ومختلف الأدوات والوسائل.

ويمكن القول أن التعلّم في عمومه يحتاج إلى مهارات سواء تكون مما يتمتع به المتعلم من عند الله كالذكاء والفطنة وسرعة الحفظ والبديهة، أو أن يعمل الفرد على تطوير ذاته فيتدرب عليها بحاله ليتمتع بالمهارة اللازمة لتعلم كالتحليل والتركيب والقدرة على تصور المسائل وحسن الاستفهام وغيرها... ويمكن للمعلم أن يختبر مدى تطور المتعلم وقدرته على التعلّم، لأنه يمكن أن "يُقاس التعلّم بحساب أداء المتعلم قبل مروره بخبرة التعلّم، ثم حساب أداء المتعلم بعد مروره في خبرة التعلّم"[2] وبناء على النتائج يمكن العمل على تحسين جوانب النقص، وتطوير مهارات التعلم لدى المتعلم، لكونها أحد أهم العناصر التي تخدم عملية التعليم والتعلم بصفه عامة.

1 ملفات سيكوتربوية تعليمية، ص:109.

2 اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية، ص:98.

الفصل الرابع:

العوامل المؤثرة في ازدهار عملية تعليم وتعلّم اللغة العربية في منطقة توات.

من سنن الله في خلقه أن يكون لكل سبب مسبب، فلا توجد ظاهرة بدون أن تكون من ورائها أسباب تقتضي حدوثها، أو العكس تقتضي فناءها، وهذه النواميس تشمل كل ظاهرة أو حدث أو فعل...، وبما أننا نتحدث في موضوعنا هذا عن انتشار اللغة العربية في منطقة توات، والإقبال الكبير على تعليمها وتعلمها من قبل سكان المنطقة، فلا بد لنا من البحث في جملة العوامل والأسباب التي كانت وراء تطور وانتشار اللغة العربية في توات.

تتعدد وتتنوع العوامل والأسباب التي كانت وراء انتشار اللغة العربية في توات ومن بين أهمها وأبرزها العامل الديني بحيث كان لدخول الإسلام للمنطقة بالغ الأثر في تعليم اللغة العربية وتعلمها، وللإسلام دور كبير كذلك في تنشيط الحركة العلمية والفكرية والثقافية في المنطقة، وذلك لأن الإسلام دين يحث أتباعه على العلم وطلبه ويرغب فيها ويجعل لأهله منزلة خاصة، كما كان كذلك لعامل الاجتماعي والنفسي والثقافي دخل في تطور اللغة العربية في توات نأتي على ذكرها بالتفصيل في هذا الفصل.

ولم تكن العوامل السابق ذكرها تؤثر فقط في تطور اللغة العربية وانتشارها في توات بل ساهمت في خلق العديد من الظواهر التي انعكست إيجابا على تطور العلم والمعرفة في المنطقة عموما وتطور اللغة العربية خصوصا، وفي مقدمة هذه الظواهر نجد الرحلات العلمية وانتشار خزائن المخطوطات، التي تميز بها أهل المنطقة فكان لهذه الأخيرة دور فعال في تنمية وتطوير الحركة العلمية والثقافية في توات.

يعد العامل الديني من بين أهم العوامل التي كان لها الدور الفعال في الحفاظ على بيضة اللغة العربية في منطقة توات، بحيث ساهم الدين الإسلامي في انتشار العربية بين سكان المنطقة، فبعد وصل الإسلام إلى بلاد المغرب "سنة 46هـ على يد القائد عقبة بن نافع الفهري حتى بلغ أرض توات وذلك على يد التجار المسلمين"[1] الذين حملوا معهم تعاليم الإسلام التي تحث على الجد في طلب العلم والعلوم، وفيها وعد للمتعلم بالمكانة الرفيعة في الدنيا والآخرة. فساهم هذا الأمر في دفع التواتيين إلى البحث والمباحثة في مسائل الدين والأمور الفكرية والعلمية معتمدين في ذلك على آلة اللغة العربية، مدركين في نفس الوقت الأهمية الكبيرة التي تتمتع بها اللغة العربية، وأنها المفتاح والسبيل لتمكن من مختلف علوم الدين واللغة وعلوم العقل وغيرها.

وساعد كما سبق الذكر الموقع الجغرافي لتوات وعقلية سكانها في نزوح عدد كبير من القبائل العربية إليها، وهذا ما خلق حركة فكرية وعلمية وثقافية كبيرة في المنطقة "فقد وفد العلماء والمشايخ من جميع الجهات، فأنشؤوا بها المدارس والزوايا، وعلموا الناس أمور دينهم ودنياهم، فنشطت من حينها بتوات حركة العلم والعلوم"[2] ولقد تطرقنا إلى دور الزوايا في توات، وكذا توافد العلماء للمنطقة في خدمة اللغة العربية وتطويرها، ونهدف في هذا الفصل لبيان عامل آخر كان له دور لا يقل أهمية عن العاملين السابقين في نشر وتطوير اللغة العربية، وهو عامل الطرق الصوفية التي عرفت انتشار كبير في مختلف زوايا ومناطق توات منذ دخول الإسلام إليها.

1) الطرق الصوفية.

1 النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص:34.

2 المرجع نفسه، ص:46.

شهد العالم الإسلامي الكثير من الأحداث والوقائع، بسبب الإسلام كما ساهم في ظهور عديد الطوائف والطرق والمذاهب منها العقدي كالمعتزلة والأشاعرة والماتردية... ومنها المذاهب الفقهية كالمالكية والشافعية و.... وظهرت كذلك الطرق[1] الصوفية[2] التي تُعنى بالزهد وتربية النفوس ومنها الطريقة القادرية والشاذلية والتيجانية.... وقد "انتشرت الطريقة في الصحراء بحكم عزلتها وبعدها عن المعاهد العلمية وخلوها من وسائل التنوير

1 الطريقة: الطريق في العربية معناه السبيل، وقد أخذت الكلمة بعد تدهور التصوف ونزوله إلى مستوى الجماهير، معنيين اصطلاحيين على التعاقب. ففي القرن الثالث والرابع الهجري، كانت الطريقة عبارة عن منهج أخلاقي يحدد عمليا ضروب السلوك الفردي، وبعد القرن الخامس الهجري أصبح عبارة عن جملة مراسيم للتدبير الروحي المعمول به من أجل المعاشرة في الجماعات الإخوانية التي بدأت تظهر منذ ذلك التاريخ. ومع مرور الزمن أصبحت الطرق أندية مغلقة على نفسها تعتمد سلماً من القيم والتقاليد محاطا بالسرية والتكتم، والنظام كله يدور حول قطب، هو شيخ الطريق. الصحراء الكبرى وشواطئها، إسماعيل العربي، سلسلة الدراسات الكبرى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص:219/218

2 التصوف: انقسم رجال الطرق الصوفية حول أنفسهم حول أصل كلمة التصوف فمنهم من قال: إن التصوف اسم مشتق من الصوف بوصفه اللباس الغالب على هؤلاء المتصوفة وأنه اسم قديم وجد قبل ظهور الإسلام، ويرى آخرون أن الكلمة مشتقة من دار الصفة وهي الصومعة التي يأوي إليها جماعة من الفقراء المسلمين للاعتكاف والعبادة وكان الناس يقدمون لهم ما يتصدقون به عليهم من الطعام والمال، وهذه الجماعة أمرها عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأن تهجر الصومعة فلا تأوي إليها ولا تعتكف فيها ثم قال كلمته المشهورة لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللهم ارزقني وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة، ولا يوجد لهذا الاسم في العربية مثيل لا من ناحية القياس ولا الاشتقاق والظاهر فيه أنه كاللقب، فأما قول من قال أنه من الصوف وتصوف إذا لبس الصوف كما يقال تقمص إذا لبس القميص فذلك وجه ولكن القوم لا يختصوا بلبس الصوف، ومن قال أنهم منسوبون إلى صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنسبة إلى الصفة لا تجيء على نحو الصوفي ومن قال أنه من الصفاء فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في معنى اللغة العربية ومن قال أنه مشتق من الصف فالمعنى صحيح ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف، ثم إن هذه الطائفة أكبر من أن تحتاج إلى قياس لفظ أو اشتقاق. ينظر: توات والأزواد، ص:177.

ومن الصفات التي ينسبها المتصوفون لأنفسهم: القناعة بقليل الدنيا من كثيرها، والاكتفاء بالقوت الذي لا بد منه، والاختصار على ما لا بد منه من مهنة الدنيا: من اللبوس، والمفروش، ، والمأكول، وغير ذلك، واختيار الفقر على الغنى اختيارا، ومعانقة القلّة، ومجانبة الكثيرة، وإيثار الجوع على الشبع، والقليل على الكثير، وترك الغلوّ والترفع، وبذل الجاه، والشفقة على الخلق، والتواضع للصغير والكبير، والإيثار في وقت الحاجة إليه، وأن لا يبالي من أكل الدنيا، وحسن الظن بالله، والإخلاص في المسابقة إلى الطاعات، والمسارعة إلى جميع الخيرات، والتوجه إلى الله تعالى، والانقطاع إليه، والعكوف على بلائه والرضا عن قضائه، والصبر على مداومة المجاهدة ومخالفة الهوى، ومجانبة حظوظ النفس، والمخالفة لها، إذ وصفها الله تعالى أنها أمارة بالسوء، والنظر إليها أنها أعْدى عدوك التي بين جنبيك، كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ص: اللمع، أبي نصر السراج الطوسي، ت: عبد الحليم محمود، عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة، ط 1960، مصر، ص:29.

الحديثة، انتشارا واسعا بحيث قيل في وقت من الأوقات أنه لا تكاد توجد عائلة صحراوية لا ترتبط بطريقة أو تنتمي إلى مرابط من المرابطين الموجودين في كل مكان، وكثير من الطرق المعروفة أسست لها فروعا أو بنت لها زوايا في الصحراء. وأهم الطرق المعروفة في الصحراء هي القادرية والتجانية والشيخية والكزارية والسنوسية."[1] وكان لميل النفوس الصحراوية لحب الدين والعلماء الأثر البالغ في توغل وتوسع الطرقية في توات واتباع سكانها لأعلام هذه الطرق، "فكثرتها وامتدادها وانتشارها في المدن والأرياف والجبال والصحاري الواسعة، وإقبال الناس عليها لأخذ العلم عن مشايخها، كل هذا إن دل على شيء فإنما يدل على مكانتها في المجتمع"[2] التواتي خاصة والصحراوي بصفة عامة، لهذا لا بد لنا من الحديث عن "الدور الذي قامت به الطرق الدينية لنشر الإسلام والتعريب في الصحراء"[3]ومن أهم الطرق الصوفية المعروفة في توات ما يلي:

1- الطريقة القادرية:

وهي الطريقة التي أسسها الشيخ عبد القادر الجيلاني المولود في مدينة جيلان[4] ولهذه الطريقة العديد من الأتباع وهي من بين أكثر الطرق انتشارا في المغرب العربي، فإن لطريقة القادرية "أتباع لا يحصى عددهم ووصلت طريقته إلى اسبانيا فلما زالت دولة العرب من غرناطة انتقل مركز الطريقة إلى فاس"[5] ومما هو معروف عن الطريقة القادرية أن الشيخ عبد القادر الجيلاني لم يكن له أتباع في حياته ولكن بعد أن مات الشيخ تولى أبناؤه نشر طريقته.

---

1 الصحراء الكبرى وشواطئها، ص:221.

2 الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر التحول من الديني إلى الدنيوي ومن القدسي إلى السياسي –دراسة نتثروبولوجية، العماري الطيب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد15/ جوان 2014، ص:123.

3 الصحراء الكبرى وشواطئها، ص:215.

4 توات والأزواد، ص:178.

5 الرحلة العلية، ص:353/1.

دخلت الطريقة القادرية إلى مختلف مناطق الجزائر حيث انتشرت في "جنوب قسنطينة، وجنوب الجزائر"[1] ومن هناك انتقلت لمختلف ربوع الوطن كما انتشرت الطريقة كذلك في المغرب الأقصى الذي منه امتدت لتشمل صحراء الجزائر وهذا راجع لم كانت تعرفه المنطقة من حركية من المغرب بحواضره وإلى مناطق الصحراء الجزائرية فلقد بلغ الشيخ أحمد البكاي المغربي بالطريقة القادرية عن طريق أتباعه "بعيدا في الصحراء ليشمل القرارة وواحة توات والهجار وأطراف السودان"[2] وهي في العموم من أكثر الطرق المنتشرة في مختلف المناطق التي وصلها الإسلام.

كما أن الكنتيين ساهموا بشكل كبير في نقل الطريقة القادرية إلى توات وذلك عن طريق الشيخ علي الكنتيّ الذي كان "قطباً للطريقة القادرية عندما انتقلت قبائل كنته في القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي إلى واحات توات وحملوا معهم الطريقة القادرية وفي هذه الواحات انتشرت الطريقة القادرية"[3] التي كان لعلمائها ومريديهم دور كبير في تنشيط الحركة العلمية في توات وكان لهم العديد من المؤلفات التي أثروا بها المكتبات وخزائن المخطوطات فكان لهم إسهام كبير في "علم التصوف بصفة عامة وبالطريقة القادرية بصفة خاصة وتجلى ذلك في رسائل وقصائد وكتب فللشيخ المختار الكبير قصيدة في السلسلة القادرية ونازلة في التصوف وإجازة في الأوراد والأحزاب وإجازة في الورد ورسالة إلى أحد مريديه"[4] وهذا الأمر كان يصب دائما في صالح الحركة العلمية والأدبية في توات مما يساعد على خلق بيئة ملائمة لفكرة التعلم والتعليم فلا بد أن للطرقية دور كبير في دفع علوم اللغة العربية نحو الأحسن وذلك اقتداء بمشايخ الطريقة.

---

1 الصحراء الكبرى وشواطئها، ص:221.

2 المصدر نفسه، ص:221.

3 توات والازواد، ص:179-180.

4 المرجع نفسه، ص:182-183.

ومما يجب ذكره في هذا المقام كذلك أن الشيخ محمد بن الشيخ المختار الكبير هو الآخر كان قادري الطريقة وقد خلف خلفه العديد من المؤلفات وتحصل كذلك على مجموعة من الإجازات فترك "إجازة في الأوراد والأحزاب القادرية ومخطوطاً في الأدعية والأذكار وقصيدة الابتهال وجواب على ثلاث مسائل في الورد القادري وقصيدة في الأدعية والتوسل وبهذا فقد تفاوتت هذه المصنفات في محتوياتها وعدد صفحاتها إلا أن القاسم المشترك بينها إضافة تراث وإثراء هذه الطريقة العريقة"[1] والتي يستفاد بلا شك من مخلفاتها في مجال التأليف والتصنيف في تدعيم وتطوير تدريس اللغة العربية، "ومن أقدم الزوايا التي أقيمت بالإقليم التواتي ابتداء من القرن الخامس عشر الميلادي الزاوية القادرية التي أقبل الكثير على الانخراط فيها ويعد الشيخ بن عبد الكريم المغيلي مؤسس الزاوية القادرية بتوات"[2] وكان لأتباعها كذلك عديد الأعمال التي ساعدت في تطوير الدرس اللغوي في توات.

2-الطريقة التيجانية:

تعد التيجانية من بين أكثر الطرق انتشارا في صحراء إفريقيا، وهي من أهم الطرق الصوفية التي تتمتع بمكانة "مرموقة في الوسط التواتي،"[3] "مؤسسها الشيخ أحمد بن محمد التيجاني المتوفي في فاس سنة 1782م."[4] وهو مولود في "عين ماضي، سنة 1150هـ، رحل إلى فاس لطلب العلم سنة 1171، وهناك أخذ التصوف، ثم عاد إلى بلده، وخرج بعدها إلى الأبيض في ناحية الصحراء ومكث فيها خمسة أعوام للقراءة والعبادة والتدريس، ثم عاد

1 توات والأزواد، ص:183.

2 الرحلة العلية، ص:355/1.

3 توات والأزواد، ص:206.

4 الرحلة العالية، ص:354/1.

إلى بلدته ومنها ارتحل لتلمسان، وأقام بها للزهادة والعبادة والتدريس"[1]. وأتباع هذه الطريقة منتشرون في الكثير من الأقطار العربية.

3-الطريقة المساوية:

تنتسب المساوية إلى الشيخ أحمد بن موسى بن خليفة، الذي ولد بفاس وتعلم هناك ومن ثم توجه نحو "سجلماسة فدرس التصوف عن الشيخ محمد بن عبد الرحمان السهلي الذي مكث عنده مدة من الزمن وأخذ عنه الطريقة"[2] وبعد أن غرف من العلوم ونال منها مطلبه عاد لمسقط رأسه في فاس وجلس للتدريس في فاس وبعد ذلك قرر الخروج منها فانتقل "إلى تازة ودرس بها مدة من الزمن ثم انتقل إلى مراكش وإلى سوس ثم درّس بالونشريس ثم بني حماد بتلمسان"[3] وبعد أن مكث في الساحل لسنين قرر تركه والرحيل إلى الصحراء مع والده حيث قعد لتدريس الولدان فبدأ يلقنهم "أبجدية الحروف وتحفيظ القرآن الكريم أما كبار السن الذين لا تسمح لهم قدراتهم الفكرية بالحفظ فقد ابتكر لهم طريقة لتلقينهم شعر ملحون ممزوج بالعامية"[4] يتناسب ومقدراتهم العقلية، ومستواهم العلمي.

كما عرفت منطقة توات تواجد العديد من الطرق لا يسع المقال لذكرها منها السنوسية، والوزانية، والكرزازية، والبكائية والبكرية، والشيخية، وكل منها ساهم في خدمة الدين الإسلامي والدفاع عنه ضد الحملات التبشيرية التي طالت منطقة توات وباقي مناطق الصحراء فبغض النظر "عن أسماء الطرق الصوفية ومسمياتها والآراء التي نادت بها والأفكار التي حاولت

---

1 ينظر: جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني، علي حرازم، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1997، ص:28/1.

2 توات والأزواد، ص:186-187.

3 المرجع نفسه، ص:187.

4 نفسه، ص:187.

نشرها في إقليم توات"[1] إلى أنه لا يمكن نكران الدور الذي قامت به في المنطقة من حفظ للإسلام وإعلاء رايته على راية الوثنية والمسحية.

كما كان لهذه الطرق دور في الحفاظ على اللغة العربية وتعليمها ونشرها في أوساط الناس، فقد كانت تُعلم الناس "قواعد الدين الإسلامي باللغة العربية كتابة وقراءة"[2] كما أن هذه الطرق قد خلفت من ورائها جملة كبيرة من المؤلفات والمخطوطات التي كتبت باللغة العربية الفصحى والكثير منها كان يعالج قضايا لغوية وأدبية، كما ساهم التنافس بين هذه الطرق في خلق حركية علمية وثقافية ساهمت بدورها في ترك بصمتها في الإنتاج الثقافي كما ونوعا من جهة المؤلفات والرسائل والأشعار التي كانت في الغالب تمجد الطريقة وتبين فضلها عن غيرها وهذا ما كان بين الطريقة التجانية والقادرية بحيث "ظهرت بين المريدين لكلا الطريقتين مناظرة أحد أطرافها من الأزواد بالضبط من تمبكتو ويمثل الطريقة القادرية والطرف الثاني بالمغرب وبالضبط من فاس"[3] وتم توثيق هذه المناظرات في العديد من المخطوطات والكتب والأشعار، وكل هذا الأمر يصب في نهاية المطاف في صالح اللغة العربية وعلومها، ويساهم في خلق حركية علمية تساعد على خلق جو يصلح لتعليم اللغة العربية وتعلمها في رحاب منطقة توات الصحراوية.

1 المرجع السابق، ص:221.

2 المرجع نفسه، ص:224.

3 نفسه، ص:213.

2) الرحلات العلمية.

1-الرحلة عند العرب:

يعد العرب من بين الشعوب التي تهوى التنقل والترحال فكانت لهم رحلات في الجاهلية من أجل ممارسة "التجارة أو بحث عن كلإ أو ماء"[1] وذكر القرآن لهم رحلتين رحلة الشتاء والصيف لبلاد الشام واليمن، ولكن تطورت هذه النزعة في النفوس مع الإسلام وأصبحت مقرونة بطلب العلم والحج والرحلة لوصف البلدان وأغراض أخرى، لهذا "رحلات المسلمين منذ بدايتها كانت كاملة. متوفر بها جميع الأسباب والوسائل. فمنهم من رحل لأخذ العلم، ومنهم من رحل لاكتشاف الأقطار المراد فتحها وهناك رحلات منتظمة ربطت أقطار الدول الإسلامية بعضها ببعض، مثل البريد المعروف في الدولة الإسلامية"[2] وكانت الرحلة لطلب العلم هي الأكثر شيوعا وساعد على هذا ترغيب النصوص الدينية في الرحلة لطلب العلم وخير ما يستشهد به في هذا الباب هي رحلة موسى عليه السلام مع سيدنا الخضر عليه السلام ليتعلم منه.

وكان لطبيعة النفوس العربية جانبا كذلك في حب الترحال، وهذا بعد أن ظهرت لهم فوائد هذا الترحال والضرب في الأرض وفي هذا يقول الإمام الشافعي[3]:

---

1 نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، ت: مصطفى ضيف محفوظ بوكراع، ص:009.

2 الرحلات المغربية والأندلسية، عواطف محمد يوسف نواب، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 1996م، الرياض السعودية، ص:41.

3 ديوان الإمام الشافعي، أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، عين مليلة، الجزائر، ص:17.

تَغَرَّب عَنِ الأَوطانِ في طَلَبِ العُلى*** وَسافر فَفي الأَسفارِ خَمسُ فَوائِدِ

تَفَـــــرُّجُ هَـــمٍّ وَاِكتِســابُ مَعيشَةٍ*** وَعِلــمٌ وَآدابٌ وَصُحبَةُ مـــاجِدِ

وَإِن قيـــلَ في الأَســـفارِ ذُلٌّ وَمِحنَةٌ*** وَقَطعُ الفَيافي وَاِكتِسابُ الشَدائِدِ

فَمَوتُ الفَتى خَيـرٌ لَـــهُ مِــن حَياتِهِ*** بِدارِ هَوانٍ بَينَ واشٍ وَحـــــاسِدِ

وله قصيدة أخرى يمتدح فيها السفر والترحال ويعدد فوائد السفر يقول فيها[1]

سَافَرَ تَجِــدُ عِوَضَا عُمِّـنَّ تَفَارُقَهُ ***وَاِتْعَبْ فَــإِنَّ لَذِيـذَ الْعَيْشِ فِي التَّعَبِ

إِنْي رَأَيْتُ وُقُوفَ الْمَـــــاءِ يُفْسِدُهُ ***إِنَّ سَاحَ طَابَ، وَإِنَّ لَمْ يَجْرِ لَمْ يَطِبْ

وَالشَّمْسَ لَوْ وَقَفَتْ فِي الْجَوِّ دَائِمَةَ ***لِمَلَّهَا النَّـــاسُ مِــنْ عَجَمٍ وَمَنْ عُرْبِ

وَالْأَسَدَ لَوْلَا فَرَاقِ الْغَابِ مَا اِفْتَرَسَتْ ***وَالسَّــهْمَ لَوْلَا فَرَاقِ الْقَوْسِ لَـمْ تُصِبْ

وَالتِّبْــرَ كَالْتُّرَابِ مُلْقَى فِي مَعَـادِنِهِ ***وَالْعُــودَ فِي أَرَصَّهُ نَـوْعٌ مِنَ الْحَطَبِ

وعرفت الرحلات انتشارا كبيرا بعد توسع الرقعة الجغرافية لبلاد المسلمين فتطلعت الأعناق لما وراء "الجزيرة العربية، بل تمكن منهم الشوق إلى معرفة مختلف الأوطان، ما فتح منها وما لم يفتح، قرب أو بعد."[2] وكان الرحالة يكتب في الغالب الأحداث ويصف الأماكن واللقاءات وغيرها "فلم تلبث الرحلة حتى صارت فنّا عربيا أصيلا في النثر العربي بسماته التاريخية والجغرافية، واهتمامه بحياة الناس وتقاليدهم، وأنماط عيشهم، وبمضمونه الفكري

1 المصدر السابق، ص:17.

2 نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، ص:09.

والاجتماعي، وأسلوبه الأدبي المتميز غالبا عمّا سواه"[1]، فأصبحت الرحلة مظهر من مظاهر التطور الفكري ودلالة على الرقيّ والتحضر. ولهذا كانت الرحلة "فن من فنون الأدب العربي. تخصص وبرع فيه الرحالة المسلمون وخاصة المغاربة والأندلسيين لكثرة دوافعهم في القيام بمثل هذه الرحلات. ومن أهمها:

أداء فريضة الحج وزيارة المدينة المنورة. طلب العلم من منابعه الأصلية مكة المكرمة والمدينة المنورة، ومن المراكز الأخرى في الدولة الإسلامية كبغداد ودمشق والقاهرة وغيرها والتي أصبحت محط أنظار طلبة العلم"[2] "وابتداء من القرن الثالث عشر يبدأ طابع الرحلة في (طلب العلم) يطغى على نمط الرحلة"[3] وهذا بسبب توسع الرقعة الجغرافية للدولة، وتوفر الأمن والوسائل المساعدة وظهور الحواضر العلمية.

ولفن الرحلة دورا فعالا في تنشيط الحركة العلمية والأدبية في المغرب العربي بسبب أن هذا "النمط من الرحلات يتعرض إلى جميع نواحي الحياة أو يكاد، إذ تتوفر فيه مادة وفيرة مما يهم المؤرخ والجغرافيا وعلماء الاجتماع والاقتصاد ومؤرخي الآداب والأديان والأساطير."[4] فالرحلة وثيقة حية تعطي معلومات قيمة عن مختلف جوانب الحياة للمنطقة التي يمر به الرحالة وبهذا تكون الرحلة "سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة ومفاهيم أهلها على مر العصر،"[5] وتبقى بمثابة وثيقة تاريخية شاهدة على العديد من الأحداث والجوانب المختلفة للمناطق التي يمر بها الرحالة.

---

1 المصدر السابق، ص:09

2 الرحلات المغربية والأندلسية، ص:71.

3 أدب الرحلة عند العرب، حسني محمود حسين، ط2، 1983، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ص:14.

4 المرجع نفسه، ص:8.

5 نفسه، ص:8.

وشهد المغرب العربي العديد من الرحلات بل "وقد تفوق المغاربة في هذا الفن ووضعوا فيه مؤلفات بديعة طبع بعضها وأكثرها لا يزال مخطوطا، ومنها ما يعتبر ضائع ولا يعرف إلا بالنقل عنه في كتب التاريخ والآداب والتراجم"[1] فبرز في المغرب العديد من الرحالة ألفوا في فن الرحلة ومن أبرزهم " الإدريسي بكتابه (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) وابن جبير بكتابه رحلة ابن جبير) وابن بطوطة وهو أشهرهم والذي عبر الأوطان والقارات، وكذا الحسن ابن محمد الوزان، وأبي سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر المعروف بالعياشي في رحلته المعنونة: (ماء الموائد) المعروفة بـ: (الرحلة العياشية)، وابن حمداش، والورثلاني، وأحمد الناصري، وابن عمار، وأبي راس الناصري، وغيرهم وهم كُثر"[2] وتتميز جل هذه الرحالات بكونها تصف جغرافيا البلدان والمسافات بينها وكذلك المسالك والطرق وأحوال الناس والشعوب وتوصف الأجواء السياسية وأنظمة الحكم وأحوال التجارة وأنواع الحرف والمهن والعمران فتضمنت جوانب الحياة "الاجتماعية والثقافية والمدارس الموجودة فيها ونشاط العلماء والمصادر المعتمدة في الدراسة"[3] فالكثير من الأمور والأحداث لم نكن لنعرفها لولا تدوين هذه الرحلات.

وكان لهذه الرحالات "المدونة والمحفوظة الفضل في إمدادنا بمعلومات قيمة لم يدر بخلد مؤلفيها أهميتها في وقت تدوينها"[4] فقد أودعوا فيها الكثير من المشاهد والأوصاف "والتي قد لا نجدها في كتب التاريخ المعاصر من حيث الوصف الدقيق للمدن ونمط الحياة فيها. فأثنوا على الحسن من عاداتها، ودعوا إلى البعد عن الشاذ منها، مع ذكر المراحل

1 نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، ص:11.

2 ينظر، المرجع نفسه، ص:10-11.

3 الرحلات المغربية والاندلسية، ص:91.

4 المرجع نفسه، ص:91.

والمسافات التي قطعوها والصعوبات التي واجهتهم أثناء الطريق"[1] وتتميز الرحلة المغاربية بنمط خاص بها في مختلف جوانبها الفنية والعلمية فنجدها زاخرة "بالكثير من المعلومات التي تهم المؤرخ والجغرافي وعالم الاقتصاد وعالم الاجتماع. فأهميتها تتجلى بما تحويه من مادة علمية عن تلك النواحي، مكتوبة بأسلوب أدبي منسق خالي من الأساطير إلا ما ندر، والمعتمد على المشاهدة والسماع في ملاحظة مختلف المظاهر ومن ثم تدوينها."[2] وهذا ما يعطيها قيمة علمية كبيرة لما تتميز به من مصداقية وموضوعية وهذا ما يسمح لنا بالاعتماد عليها في تبيان الكثير من الحقائق التاريخية والعلمية، وكذلك تبنيها كمصادر علمية موثوقة.

وتطورت الرحلة لتصبح وسيلة من وسائل طلب العلم فيما بعد، وفيها يقول ابن خلدون "والرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال"[3] وتعد الرحلة لطلب العلم من بين الأنواع الشائعة التي عرفها العرب بعد الإسلام، واهتموا بها أشدّ الاهتمام ورغبوا فيها، لما فيها من "أخبار، وغرائب، ومشاهدات، ومساجلات، ومناظرات"[4] ولقاءات بالمشايخ والعلماء تكسب صاحبها خبرة بالحياة وتزيد في معارفه وتوسع أفق إدراكه، لهذا كانت الرحلة لطلب العلم من باب أولى. وكان "الرحالة المغاربة والأندلسيون ينتهزون فرصة أدائهم فريضة الحج في التجوال بين المراكز العلمية، مثل الإسكندرية والقاهرة، للقاء العلماء والأخذ عنهم، وتسجيل أسماء مشايخهم وأسانيدهم ومروياتهم وما أخذوه عنهم من كتب وإجازات"[5] وكل هذا عاد بالنفع على الحركة العلمية في

1 المرجع السابق، ص:91.

2 المرجع نفسه، ص:91.

3 مقدمة ابن خلدون، ص:748.

4 نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، ص:09.

5 الرحلات المغاربية والأندلسية، ص:72.

مختلف مناطق المغرب العربي وساعد على تطوير طرق اكتساب اللغة العربية وتعلم وتعليم علومها.

وكان للحواضر العلمية التي انتشرت بعد الفتوحات الإسلامية في مناطق عديدة دورا فعالا في تشجيع العلماء والطلاب على السفر والترحال لطلب العلم، ويزخر المغرب الإسلامي بالعديد من هذه الحواضر "كالقيروان وفاس ومكناس وبجاية وتلمسان وتيهرت وتوات"[1] بالإضافة إلى "سجلماسة، وشنقيط، ومصر، وتونس، والتكرور"[2] بحيث كانت محج ومقصد العديد من الراغبين في التعلم واكتساب المعارف، من العلماء والطلبة فكانت هذه الحواضر مراكز للإشعاع العلمي والثقافي، ومكان يتم فيه الاحتكاك بالعلماء والأخذ عنهم، وعرفت العديد من الرحلات منها وإليها، ودرس ودرّس فيها العديد من العلماء.

الرحلات التواتية:

تتميز توات بموقع جغرافي يتسم بالعديد من الخصائص والميزات، كالهدوء والسكينة والانعزال وهذا جعل منها منطقة مساعدة على الاستقرار والمكث فيها، فكانت "محج الكثير من الفقهاء والعلماء والعديد من الزهاد والعباد"[3] كما عرفت توات نزوح العديد من القبائل إليها، وهذا ما جعل منها واحدة من أهم الحواضر العلمية في المغرب العربي، فهذه الرحلات المتتالية إليها خلقت "حركة نشيطة في التبادل المعرفي والتلاقح الفكري والاحتكاك العلمي"[4] بينها وبين الحواضر العليمة الأخرى، وبين علمائها والعلماء الوافدين إليها، وهذا الأمر "جلي وواضح في جميع الميادين وعلى جميع الأصعدة، فالعلماء والمثقفون والتجار والسياسيون،

1 مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، ص:164.

2 ينظر: جهود علماء توات في الدرس اللغوي خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، ص:91.

3 النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص:62.

4 الحياة الفقهية في توات خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، عبد السلام الأسمر بلعالم، رسالة دكتوراه، تخصص فقه وأصوله، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2016/2015، ص:239.

هؤلاء كلهم كانت لهم محطات بهاته الأرض، وبالتالي أثرت وتأثرت"[1] ونتج عن هذا الأمر حركة علمية كبيرة شملت العديد من الميادين العلمية والفكرية وأصبح علماء المنطقة وطلابها من بين أشهر الرحالة الذين عرفهم المغرب العربي.

ولعلماء توات وطلابها رحلات عديدة داخل الإقليم وخارجه فنجدهم قد ضربوا في الأرض طلبا للعلم والمعرفة، فكان طلاب توات "بعد انتهائهم من التحصيل يودعون الشيخ، إما نحو طلب العلم أو المعرفة. بمكان آخر، أو إلى تحصيل رزقهم ومعاشهم"[2] وهذا اقتداء بمشايخهم الذين درسوهم وتعلموا عندهم وتأثروا بالعلماء الذين وفدوا على توات من مناطق أخرى، ولهذا كان الكثير منهم بعد أن يتلقفوا القرآن والمبادئ الأساسية في الفقه وعلوم اللغة العربية على يد مشايخ المنطقة في زوايا توات يتجهون "صوب الأقطار العربية ليحصلوا على الإجازات الأدبية والعلمية، وذلك حتى يعودوا للمنطقة بالعلم الغزير، فيفيدوا البلاد والعباد، وينفعوا الخاصة والعامة"[3] وبهذا تنشط الحركة العلمية في توات وتزدهر العلوم.

وتسجل كتب التاريخ عديد الرحالات التي قام بها علماء توات باتجاه مدينة فاس التي كانت من بين أهم الحواضر العلمية في تلك الفترة حيث "تسجل المصادر التاريخية الكثير من العلماء التواتيين في حاضرة فاس العلمية سواء الذين تنقلوا للدراسة والتعليم بفاس ثم عادوا لتوات أو من الذين فضلوا الاستقرار وتوفوا هناك"[4] ومن أهم العلوم التي كانوا يرتحلون من أجل اكتسابها "التفسير، الحساب، الحديث، الفرائض، الأصول، التوحيد، البلاغة، الفقه، المنطق، الصرف، التجويد، النحو، الأدب، العروض، القوافي، التاريخ،

1 النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص:62.

2 المرجع نفسه، ص:49.

3 نفسه، ص:49.

4 مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، ص:169.

السيرة النبوية الشريفة"[1]، فلقد ذكرت المصادر جملة من علماء توات الذين تنقلوا "لكبرى الحواضر وتأثرهم بكبار العلماء وبالتالي كانوا يكتبون أسانيدهم ويترجمون لمشايخهم ويدونون رحلاتهم في طلب العلم"[2] فكانوا يرتحلون إلى فاس، وبجاية، والعاصمة، وتلمسان، والقيروان، وغيرها من الحواضر للأخذ عن علمائها والتعلُم والسماع منهم، وتعد أقدم الرحلات التي قام بها علماء توات هي رحلة "الشيخ عمر بن محمد بن عمرو البازي "ت872هـ/1468م" الذي نزل بولاته وجالس علماءها ودرس بها إلى أن وافته المنية"[3] فكان هو الذي فتح باب الرحلة لطلب العلم ولا يزال هذا الباب مفتوح إلى يوم الناس هذا.

ومن أهم الأسباب التي جعلت الأفئدة تحج إلى الحواضر السابق ذكرها أنه كان لا ينبري للتعليم فيها "إلا من انتهت إليه المهارة الكافية في العلم والسلوك"[4] والتمكن من العلم الذي يدرسه، فلا يجلس الرجل مجلس المُعلم إلى بعد أن يتم حفظ المتون والتمكن من شرحها والتدرج فيها والتبحر في علوم اللغة والتفنن في علوم عدّة كالفقه والسيرة والحديث... كما أن للحواضر مزية أخرى فهي مكان يلتقي فيه أهل العلم والمعرفة من كل البلدان والأمصار وهذا ما خلق فيها جو يساعد على طلب العلم والمنافسة بين الأقران، كما أن هذه الحواضر كانت توفر المبيت والمأكل والمشرب، مما يساعد على المكث فيها مدّة زمنية طويلة تسمح بالتحصيل والتمكن من العلوم وفنونها.

وتعتبر هذه الأسباب جملة من عديد الأسباب التي دفعت الراغبين في طلب العلم من أهل توات لقصد هذه الحواضر فقد "عرف التواتيون عبر تاريخهم الطويل – كغيرهم من أبناء

---

1 المرجع السابق، ص:166.

2 المرجع نفسه، ص:11.

3 الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرون 08-10 هجرية، سالمي زينب، رسالة ماجستير، قسم التاريخ وعلم الأثار، جامعة تلمسان، 2012/2011، ص:67.

4 مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، ص:166.

الجزائر – بكثرة رحلاتهم وتنقلاتهم بين العواصم والمدن التاريخية أداء لفريضة الحج والعمرة حينا وطلبا للعلم والمعرفة في أحايين كثيرة"[1] وهذا ما يفسر لنا تحول توات فيما بعد إلى حضيرة علمية هي الأخرى.

وهذه الأسباب من بين أهم العوامل التي دفعت عددا غير قليل من علماء وطلاب توات للترحال طلبا للعلم، متحملين في ذلك كل ألوان المشقة والمتاعب، من وحشة الطريق في ذلك الزمان وطول المسافات والغربة عن الديار والأهل، وما كانوا ليتحملوا كل هذه إلا لأنهم أدركوا الفوائد العظيمة للرحلة وأثرها في التحصيل، فقد رحل عن توات أعلام كبار كانت لهم قدم راسخة في العلم، ونقتصر على ذكر بعضهم في هذا البحث.

رحلة الشيخ أبي المكارم عبد الكريم بن أحمد الجراري: ولد الشيخ عام 871هـ[2] وتعد من أقدم الرحلات التي عرفت في تاريخ توات، فبعد أن تتلمذ الشيخ في قريته –تزداية– الكائنة بتميمون وتلقف القرآن والمبادئ الأساسية في العلوم وذلك على يد والده أبي العباس احمد بن محمد المسعود التزدايتي[3] رحل إلى فاس وتلقف فيها العلم على يد كوكبة من العلماء على رأسهم الشيخ سيدي محمد بن عبد الله الدقاق الفاسي[4] وبعد أن حصل على الإجازات رجع إلى توات وقد جلب معه من فاس "السند العلمي إلى توات، ومنه تفرعت بقية الأسانيد الفقهية في جهات توات"[5]

1 من تاريخ توات أبحاث في التراث، ص:455.

2 القول الميمون في تاريخ جورارة وتيميمون، محمد بن بادي الكنتي، ت: مولاي التهامي غيتاوي، مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والتوزيع، 2013، الجزائر، ص:53.

3 المرجع نفسه، ص:53.

4 نفسه، ص:53.

5 الحياة الفقهية في توات خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، ص:242.

الشيخ أبي عبد الله أمحمد عبد الله بن عبد الكريم بن أحمد الجراري: والذي رحل هو الأخر إلى مناطق متعددة طلبا للعلم والاستزادة في المعرفة فأخذ عن علماء "فاس وتلمسان وفجيج"[1] وله عديد الإجازات والتزكيات من علماء وقضاة توات.

رحلة الشيخ عمر بن عبد القادر التنلاني (ت1152هـ): فكان الشيخ من أبرز العلماء الذين ساهموا في ربط منطقة توات بالمغرب الأقصى وذلك من خلال "رحلته العلمية فقد ذكر فيها جوانب من حياته وثبته وقيامه بالتدريس في المدرسة المصباحية وذكر فيها سلسلته في الفقه إلى الإمام مالك وكان كذلك مدرسا بجامع القيروان."[2] فقد "رحل إلى فاس وبقي فيها ثلاثة عشر سنة"[3] وهناك تلقف جملة من العلوم والمعارف على يد عدد من المشايخ والعلماء والذين كان لهم الفضل في تلقينه أغلب الفنون والمتون التي كانت شائعة في ذلك الزمان ومن أبرزهم نجد الشيخ "محمد بن أحمد المنساوي ومحمد بن عبد الله الفلالي، ومحمد بن ذكري الفاسي"[4] وبعد أن رجع إلى توات عمل في التدريس والقضاء وانتفع بعلمه أمة من الناس وأخذ عنه العلم عدد غير قليل من العلماء من أمثال "الشيخ الجنتوري وأبوزيد التنلاني"[5] وبهذا تكون الرحلة التي قام بها الشيخ قد ساهمت في نقل معارف وفنون لمنطقة توات ورسخت لمنهج في طلب العلم وطرق تحصيله.

الشيخ عبد الرحمن بن إدريس التنلاني: وهو الذي رحل متجها نحو الجزائر العاصمة وساهم في ربط توات بها "وكان ابتداؤها في شعبان سنة 1231هـ ذكر فيها مروره بمزاب ومتليلي وبعض المناطق الصحراوية ومنطقة التيتري والبليدة والعاصمة الجزائرية وذكر في

---

1 القول الميمون في تاريخ جورارة وتيميمون، ص:59.

2 الرحلة العلية إلى منطقة توات، ص:537/2.

3 مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، ص:211.

4 من تاريخ توات أبحاث في التراث، ص:475.

5 المرجع نفسه، ص:475.

رحلته الكثير من الوقائع التي شاهدها في البر وعلى ساحل البحر"[1]. لهذا تعد رحلته وثيقة تاريخية مهمة تصف مجموعة من المناطق التي مرّ بها.

الشيخ محمد عبد الله بن الجوزي (ت- 1269هـ): وهو صاحب الرحلة الحجازية والتي كانت في عام 1263هـ[2] والتي لخصها في قصيدة كاملة ولقد بين فيها الشيخ أهم المحطات التي مرّ بها وأبرز اللقاءات مع العلماء والأماكن التي نزل بها فبين فيها "زيارته للأزهر الشريف وما دار بينه وبين علمائه من حوار وتحدث أيضا عمن رافقه من العلماء والفقهاء المشارقة والمغاربة، وأخبر القاضي أيضًا أنه تجاذب أطراف الحديث مع علماء الازهر على مذهب مالك واستقرأ ما عندهم في الفقه وأصوله والنحو والبلاغة والصرف والحديث والمنطق والحساب وعلم الفرائض وغيرها"[3]

وممن رحلوا كذلك من توات طلبا للعلم نجد **الشيخ أبو الأنوار التنلاني:** "صاحب الزاوية في أولف فمن تنلان إلى التكرور ومنها إلى أولف."[4]

الشيخ السيد مولاي هيبة بن السيد محمد: له جولات عديدة وعمارات في الصحراء الجنوبية.[5]

الشيخ السيد عبد الرحمن بن عمر : يتجلى ذلك في رحلته إلى إفريقيا مع شيخه السيد عمر بن المصطفى إلى دولة مالي تعرض الشيخ إلى تفاصيلها وأسبابها في فهرسته.

وله رحلة ثانية كانت "لمدينة أروان من دولة مالي للقراءة على شيخه عمر المذكور

---

1 الرحلة العلية إلى منطقة توات، ص:536/2.

2 القول الميمون في تاريخ جورارة وتيميمون، ص:115.

3 المرجع نفسه، ص:115-116.

4 الرحلة العلية إلى منطقة توات، ص:537/2.

5 المصدر نفسه، ص:537/2.

وله رحلة ثالثة "كانت لسجلماسة سنة 1168هـ.

وله رحلة رابعة: كانت لأداء فريضة الحج سنة 1188هـ عدد فيها جميع المراحل والأماكن التي نزل بها والرجال الذين التقى بهم في الجزائر وليبيا ومصر ومكة والمدينة وذكر فيها الرحلات وتفاصيل هاته الرحلة.[1]

رحلة الشيخ محمد سالم التواتي: فقد درس في المدرسة المصباحية بفاس وكان يجود القرآن للطلبة بجامع القرويين"[2]

رحلة الشيخ محمد بن أبّ المزمري: "الذي رحل إلى فاس وسجلماسة بالمغرب، ودرس في الأخيرة على يد الشيخ أبو إسحاق سيدي إبراهيم، كما زار تمبكتو، وأروان، بأرض السودان."[3] وهذا الترحال جعل من ابن أبّ أحد أعظم علماء المنطقة وبالأخص في علوم اللغة العربية فلم يكن يجاريه فيها أحد وهذا بشهادة أقرانه وطلابه وفي هذا يقول تلميذه عبد الرحمن بن باعمر التنلاني "وحضرت دروسه في الفقه والنحو واللغة والتفسير، وكان متفننا مجيدا فطنا عارفا يباحث الشراح في مجلسه بأحسن بحث"[4]

الشيخ الطاهر بن عبد المعطي السباعي: ربط توات بالمغرب والذي انتشرت مدارسه المتعددة في توات مدارس أصلية وفرعية.[5]

الشيخ محمد بن اسماعيل القراري: وهذا الشيخ قد صال وجال في الكثير من البلدان فهو بمثابة أو في مستوى علماء الرحالة مثل ابن بطوطة وأبي سالم العياشي "أنه جال في البلاد

1 المصدر السابق، ص:537/2.

2 مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، ص:211.

3 المرجع نفسه، ص:212.

4 الحياة الفقهية في توات خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، ص:246.

5 الرحلة العلية إلى منطقة توات، ص:538/2.

شرقا وغربا فلم يدع المغرب الأقصى ولا إفريقيا وبلاد السودان وأقام في مصر ومكة والمدينة ودخل اليمن وزار العراق وبعدها اتجه نحو القسطنطنية ثم عاد منها إلى طرابلس بليبيا على ظهر سفينة سنة 1060هـ وهناك لقيه الرحالة العياشي في مسيرته، وبعد ذلك توجه إلى سواحل البحر الغربي ثمَّ كرّ راجعا من جبال غمارة إلى القليعة ثم إلى فجيج ليعود بعد ذلك لمسقط رأسه تيجورارين ليضع حدا لرحلته وأسفاره.[1]

ويعد الشيخ سيدي حم بن بادي: من بين أبرز الرحالة كذلك، فله رحلات إلى كل من "موريتانيا ورحلة إلى كنته بالمغرب ورحلة إلى هقار..."[2]

رحلة الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الرحمن الجنتوري: والذي رحل إلى مصر وأخذ عن عشرات العلماء من مصر والحجاز، وفي رحلته هذه يخبر عن شيخه عبد الرحمن الأكبر التنلاني فيقول: "اختبرت علماء القاهرة والحرمين فلم ألق فيهم من يصل إصبع رجل شيخنا أبي حفص ألا واحدا في علم الحديث لقيته بمكة"[3]

ونتج عن هذا الاحتكاك بغيرهم والأخذ عنهم فتح الزوايا والكتاتيب في توات بعد عودتهم فالكثير ممن رحل عن توات عاد إليها وفتح زاوية أو كتاب من أجل تعليم الولدان والطلاب فهذا نتاج الاطلاع على غيرهم والتأثر بهم وبمناهجهم في التعليم والتدريس، فبعد العودة إلى توات يكون المرتحل قد تعلّم الكثير، فكان لرحلات "دور كبير في نقل الكثير من العلوم والمعارف للقطر التواتي"[4] وهذا ما ساهم في خلق نهضة علمية وحضارية في توات، وأدى لفتح العديد من الزوايا وبروز كذلك علماء كبار لهم قدم راسخة في مختلف العلوم

1 المصدر السابق، ص:538/2.

2 ينظر، المفيد المستفيد، الشيخ بن سيدي محمد بن بادي الكنتي، ت: مولاي التهامي غيتاوي، مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والتوزيع، 2013، الجزائر، ص:229.

3 الرحلة العلية إلى منطقة توات، ص:542/2.

4 مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، ص:175.

بصفة عامة، وفي علوم الدين واللغة العربية بصفة خاصة، كما كان لهم الفضل في ربط توات بالعديد من هذه الحواضر مما جعلها محج للعلماء فيما بعد وقد سبق لنا الحديث عن جملة من العلماء الذين توافدوا على توات ودرسوا فيها وأقاموا الزوايا والمدارس ونقلوا العلوم إلى توات.

فكان لهذه الرحلات الدور الكبير في التعريف بها وربطها مع غيرها من الحواضر العلمية وساهم العلماء الرحالة في إدخال عديد الكتب والمتون لتوات كما فعل الشيخ ميمون بن عمر بن محمد الباز الذي سافر إلى فاس من أجل جواب مسألة فوجد الجواب هناك "عند الشيخ خليل فاشترى كتابه بأربعين مثقال ذهبيا ثم عاد إلى توات، وهو يعد أول من أدخل خليل لتوات وكان ذلك عبر فاس"[1] وفعل هذا كذلك الشيخ عمر بن عبد القادر المهداوي التنلاني الذي "أدخل متن ابن عاشر إلى توات"[2] مما ساهم في ازدهار التعليم فيها، وثراء رفوف المكتبات بالكتب والمخطوطات والتراجيم.

وفي الكثير من الأحيان كان المرتحل يكتب ويدون الأحداث التي تقع معه من تاريخ "خروجه من مقر قصره بتوات ويختتمها بالعودة إليه"[3] وبهذا ينقل الرحالة الكثير من الأمور التي تتعلق بالجانب التاريخي والعلمي والجغرافي في قالب "يتآزر فيها الجانب التعليمي بالإمتاع الأدبي"[4] فلا تخلو رحلاتهم من الفوائد العلمية والأسلوب الأدبي الممتع وهو ما يعطي الرحلة قيمة علمية وأدبية، فجاءت جل النصوص الأدبية التواتية مشكلة في قالب يتميز بـ "بساطة المعاني، والصور المفرغة في قوالب لغوية جزلة، وعبارات موجزة وواضحة،

1 مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، ص:168.

2 المرجع نفسه، ص:211.

3 من تاريخ توات أبحاث في التراث، ص:455.

4 نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، ص:09.

وهو ما عكس لهجة خطابية ونبرة موحية ورنة فاعلة على معظم إنتاج هؤلاء"[1] وهذا يؤكد عن البراعة والدراية بفنون اللغة وعلومها فجاءت رحلاتهم مكتوبة بطريقة جميلة وممتعة، "فكان القلم أنيسا وشاهدا على كل كبيرة وصغيرة"[2] وهذا ما لا يترك مجالا للشك في تمكنهم من أضرب الكتابة وقواعد التأليف في فن الرحلة. لأجل هذا يظهر على كتاباتهم ذلك النضج الأدبي رفيع المستوى الذي يعتمد على "التنوع في الأسلوب من السرد القصصي إلى الحوار إلى الوصف وغيره"[3] فالرحلة التواتية تتنوع فيها الأساليب الأدبية وتختلف فيها الأغراض، مما يخلق لنا نصوص أدبية غاية في الجمال والبراعة تخدم اللغة العربية وتساهم بشكل مباشر في ثراء النصوص التي يمكن الاعتماد عليها في تعليم وتعلم اللغة العربية.

وفيما يخص هذا الأمر نجد أحمد أبا الصّافي جعفري في كتابه المسمى: رحلتي لزيارة قبر الوالد، يذكر بعض الخصائص الأسلوبية في فن كتابة أدب الرحلة فيقول: "ومن ناحية الأسلوب والبناء فإن الشيخ سيدي ضيف الله قد سلك في عرض أفكاره أقرب الطرق الممكنة، مستعينا في ذلك بأبسط الوسائل المتاحة له لإيصال فكرته من أسلوب بسيط، وعبارات جزلة، إضافة إلى عنصر الحوار الذي رافقه عند كل حديث ونازلة تستحق الشرح والتوضيح، حيث نجد المؤلف في ذلك يتوهّم مخاطبا أمامه يسأله فيجيبه هو على طريقة (فإن قلتَ قلتُ)، وهذا إضافة لتوظيفه لطريقة العناوين والفصول في كتابه، وكذا استعانته ببعض المُلَح والفوائد، وكذا الغرائب الطريفة ترويحا وتشويقا للقارئ ودفع السأم عنه"[4] ومن هذا النص يمكن القول بأن الطريقة التي كانت تكتب بها هذه الرحلات تعتمد في الغالب

1 من تاريخ توات أبحاث في التراث، ص:482.

2 المرجع نفسه، ص:455.

3 أدب الرحلة عند العرب، حسني محمود حسين، ط2، 1983، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ص:8.

4 رحلتي لزيارة قبر الوالد الشيخ سيدي ضيف الله بن محمد بن أُبّ التّوّاتي الجزائري، ت: أحمد أبا الصافي جعفري، دار الكتاب العربي، د ط، لخرايسية، الجزائر، 2015، ص:10/1.

على الأساليب العربية المعروفة عند العرب فهي ليست بالغريبة ولا البعيدة ولا المستوردة بل هي من رحم الطبيعة العربية والبيئة التي كان فيها الرحلات.

ويحكي الشيخ سيدي عمر بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف التنلاني عن نفسه فيقول: "قد كنت في حال صغري مشغوفا بالعلم مولعا بطلبه. مشتغلا بقراءة الشيخ خليل وألفية بن مالك مقبلا إلى ذلك متشوفا إلى شيخ كامل يكشف لي عن غطاءها ويوقفني على معانيها. فلم يتفق لي ذلك لكون بلادي شاغرة من العلماء إلى أن شرح الله صدري فتوجهت همتي للسفر لسجلماسة أو لمدينة فاس قصدا لذلك فثنيت عنان عزمي وصرفت لذلك وجهتي ... فسافرت لطلب العلم من توات لمدينة فاس سنة 1117ه وأقمت بها مشتغلا بالقراءة والإقراء إلى آخر سنة 1129ه"[1] فالرحلة التي قام بها الشيخ إنما كان الدافع من ورائها هو طلب العلم لا غير وهذا الأمر يظهر إلى أي مدى كان التواتيون يهتمون بالعلم والمعرفة فكان الواحد منهم ينقطع عن الديار ويضرب في مشارق الأرض ومغاربها من أجل تحصيل العلوم التي ينتفع بها، ومن جملة العلوم التي كان أهل توات يقطعون الأمصار لأجل تعلمها هي اللغة العربية فكان السبب الرئيسي وراء خروج الشيخ عمر بن عبد القادر التنلاني إلى فاس هو "تطلعه إلى لقاء شيخ يحل له ألفاظ ومعاني ألفية ابن مالك في النحو"[2] فالقليل من الناس من يمتلك هذه الإرادة في طلب العلم وخدمة اللغة العربية، فمن أهم الأسباب التي كانت وراء ازدهار علوم اللغة في توات هو هذه الرحلات التي قام بها علماء وطلبة العلم في توات.

وهذا الشيخ عبد الكريم بن امحمد بن أبي محمد التواتي يكتب مقدمة رحلته في طلب العلم بطريقة لا تخلو من الإمتاع الأدبي لما فيها من حسن تعبير ورقة اللفظ مع الأدب في

1 قطف الزهرات من أخبار علماء توات، ص:83.

2 الحركة الأدبية في أقاليم توات، أحمد أبا الصافي جعفري، منشورات الحضارة، ط1، 2009، ص:152.

الكتابة فيقول "بعد الحمد لله والصلاة على المصطفى صلى الله عليه وسلم: وبعد فقد سألني من أعد امتثال أمره فرضا، وأرى إجابة طلبه ربحا محضا أن أبيض له من رحلتي القصيرة، وأذكر له ما سهل من الفوائد الأثيرة، فأجبته لذلك مع أني لست من فرسان تلك المسالك، ولكن كما قال الشاعر:

لَعَمرُ أَبيكَ ما نُسِبَ المُعَلّى*** إِلى كَرَمٍ وَفي الدُنيا كَريمُ

وَلَكِنَّ البِــلادَ إِذا اِقشَعَـرَّت*** وَصَوَّحَ نَبتُها رُعِيَ الهَشيمُ "[1]

أما عن توظيف السجع يتضح ذلك من خلال ما كتبه الشيخ سيدي عبد الرحمن بن عمر حيث يقول: "الحمد لله الذي فرض على المكلفين من عباده حج بيته المحرم العتيق، وجعله حرما وغفر ذنوب من حجه وهو بذلك حقيق، أحمده على ما هدانا إلى خير طريق، وأشكره على ما منحنا من توفيق، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، شهادة تنجينا بها من عذاب الحريق، ونشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله المبعوث إلى خير فريق. اللهم صل عليه وعلى آله وأصحابه الذين أقاموا الدين أفضلهم أبو بكر الصديق وبعد: فلما منَّ الله علي بالتوجه لحج بيت الله الحرام، وزيارة قبره عليه أفضل الصلاة والسلام"[2] فالذي ينظر إلى هذه الأمثلة التي سقناها يدرك أن الرحلة التواتية المدونة كانت في الكثير من الأحيان تحمل في طياتها أساليب إنشائية متعددة وتحتوي على الكثير من المحسنات البديعية والالتفاتات اللغوية الطريفة، كما تتميز بكونها خالية من الركيك والمبتذل فجاءت في الكثير من الأحيان تتوافق والسلامة اللغوية وتراعي الفصيح وتتسم بالضبط الدقيق لمعاني الكلمات وتراعي مختلف قواعد اللغة العربية مما يؤكد أن اللغة العربية في توات لها مكانة لا تنافسها ولا تناهزها لغة.

---

1 النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص:127.

2 من تاريخ توات أبحاث في التراث، ص:477.

ووجب علينا أن ننبه إلى أنه لم يتم تدوين كل الرحلات التي قام بها علماء توات، منها ما هو مدون على شكل مخطوطات وهي في غاية الأهمية لأنها "تحدث فيها أصحابها عن رحلاتهم خارج توات وداخلها، تضمنت الكثير من الأوصاف حول توات"[1] ومنها ما تم تحقيقه كرحلة الشيخ سيدي ضيف الله بن محمد بن أبّ التواتي المسماة رحلتي لقبر الوالد[2]، وكذلك مخطوط ل "رحلة في طلب العلم لسجلماسة وفاس للشيخ عمر بن عبد القادر التنلاني "[3] مخطوط " رحلة إلى الحج للشيخ عبد الرحمن بن عمر التنلاني وهي رحلة صغيرة من عشرون صفحة"[4] مخطوط "رحلة إلى مدينة الجزائر عبد الرحمن بن إدريس بن عمر التنلاني حوالي ثلاثة عشر صفحة"[5] ومنها ما هو ضائع، فهناك من خرج من توات لطلب العلم ولم يهتم بتدوين رحلته بل قصد غايته وعاد ولم يوثق أحداثها وهذا كثير.

وقد تأثر تعليم اللغة العربية وتعلمها إيجابا بهذه الحركة النشيطة للعلماء والطلبة، مما ساهم في انتشارها وتطورها وأدى كذلك لظهور مجموعة كبيرة من العلماء لهم اهتمام باللغة العربية وعلومها، كان لهم الفضل الكبير في الحفاظ على اللغة العربية في توات، ومما ذكرناه في الفصول السابقة أن المجتمع التواتي يتميز بالطابع المحافظ وتظهر الصبغة الإسلامية في مختلف نواحي الحياة في المنطقة، وهذا التمسك بالقيم الإسلامية دفع بهم

1 مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، ص:181.

2 وهي رحلة قام بها الشيخ سيدي ضيف الله بن محمد بن أبّ التواتي الجزائري، أقيمت الرحلة في صائفة عام 1160هـ/1747م وهي تعد أقدم وأهم شهادة تاريخية عينية لواقع الحياة الاجتماعية والعلمية في أقاليم توات وقورارة وتدلكت جنوب الجزائر خلال القرن 12هـ/18م قام بتحقيق مخطوط الرحلة أحمد أبّا الصّافي الجعفْري ، من كتاب رحلتي لزيارة قبر الوالد، ج1، ت : أحمد أبّا الصّافي الجعفري.

3 مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، ص:181.

4 المرجع نفسه، ص:181-182.

5 نفسه، ص:182.

للأخذ بأسباب طلب العلم والمعرفة فحملهم حب الدين واللغة على الترحال والتجوال في مختلف البقاع الإسلامية خاصة التي عرفت تواجد حواضر علمية بها.

3) خزائن المخطوطات.

تتصف المخطوطات القديمة بكونها جزء من التراث الوطني، والذاكرة الجماعية التي يجب حمايتها والعمل على الحفاظ عليها، باعتبارها موروث ثقافي وحضاري يمثل مجموع الأمة بصفة عامة، منطقة توات بالانتشار الكبير للزوايا فيها، والتي تركت ارثا كبيرا من الكتب والمخطوطات ودواوين الشعر والأدب، كما أنها منطقة شهدت توافد الكثير من العلماء عليها كما سبق الذكر، وتعد ممرّ مهم للقوافل التجارية وقوافل الحجيج مما جعل منها ملتقى لنوابغ العقول وأهل العلم والعلماء وطلاب المعارف، كل هذه العوامل جعلت من توات مركز إشعاعا علمي وثقافي متفرد، وساهم علماء المنطقة كذلك من خلال اعتكافهم على التدريس وطلب العلم، واهتماهم المتزايد بالمخطوطات واقتنائها حتى ولو كلفهم ذلك الكثير من المال، فقد كان هناك نوع من التنافس على شراء المخطوطات. وقيامهم بعدد من الرحالات العلمية خارج توات.

في بلورة عقلية علمية متفتحة على ثقافات عديدة، فمجموع هذه العوامل نتج عنه كذلك إرث ثقافي وعلمي كبير يتجلى في الكم الهائل من المخطوطات والمكتبات التي تتواجد على مستوى منطقة توات، وهذا الأمر ساعد على تطوير وتنمية تعليم وتعلم اللغة العربية في توات وساهم بشكل كبير في تحفيز المعلمين والمتعلمين على بذل المزيد من الجهد في سبيل تعليم اللغة العربية وتعلمها والاعتناء بها وبكل ما يخص المعارف والعلوم اللغوية.

1- أهمية المخطوطات في منطقة توات:

تعتبر توات من أكثر المناطق الجزائرية التي تحتوي على عدد كبير من المخطوطات ذات القيمة العلمية والتاريخية الكبيرة، والتي كان لها دورا فعالا في خلق حركية علمية كبيرة

في مختلف ربوع توات، فلقد وفرت هذه الخزائن الكثير من الكتب التي يتم الاعتماد عليها في تدريس العلوم ومناقشة المسائل العلمية في مختلف الجوانب سواء الفقهية أو اللغوية والتاريخية وغيرها.

فقد عرفت توات من زمن بعيد بأنها من أكثر المناطق الجزائرية التي توجد بها أعداد كبيرة من الخزائن والتي تحتوي بداخلها على المئات والآلاف من المخطوطات حيث "تشير بعض الإحصاءات أنه كان بها في 1962م أزيد من أربعين ألف مخطوط، موزعة على أكثر من سبعين خزانة"[1] "كوسامة، المطارفة، تمنطيط، تينلان."[2] وهذا الكم الهائل من المخطوطات يعكس الظروف العلمية التي كانت في المنطقة، ويبين لنا الاهتمام الكبير الذي كان يحظى به المخطوط في توات، فحب أهل توات للعلم "جعلهم يسرفون على أنفسهم في التنافس في نسخ المخطوطات، وشرائها بأغلى الأثمان، بل كان فيهم من يطلب الناسخ ويمكث عنده لنسخ المخطوطات لفترة تزيد عن العام"[3] ونتج عن هذا الأمر ظهور العشرات من الخزائن التي تحوي الآلاف من المخطوطات في الكثير من العلوم.

ومما يذكر في هذا السياق كذلك وله دلالات على ولع أهل توات بالمخطوطات وحبهم لها هو الطريقة التي كان يعتمد عليها الكنتيين من توات في الحفاظ على مخطوطاتهم بحيث كان أهل كنتة يعمدون في الحفاظ عليها إلى " التسفير والتجليد، بحيث يكون من جلد الضأن أو الماعز المدبوغ دبغا جيدا، ثم يصبغ بالأحمر ويبطن بالورق المقوى، والثياب القطنية"[4] ومن مظاهر تعظيم ساكنة توات للكتب والمخطوطات ما كان يوصي به الشيخ

1 مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، ص:201.

2 المرجع نفسه، ص:201.

3 من أعلام التراث الكنتي المخطوط الشيخ محمد بن بادي الكنتي حياته وآثاره، الصديق أحمد ال المغيلي، دار الغرب للنشر والتوزيع، د ط، 2007، وهران، الجزائر، ص:24.

4 من أعلام التراث الكنتي، ص:25.

محمد بن أبّ التواتي ابنه فقال نقلا عنه من كتاب رحلتي لزيارة قبر الوالد "كان يأمرنا بتعظيم الكتب وحفظها، وأن لا تجعل في التراب ولو كانت نقية ويقول: من لم يعظمها لم ينتفع بها. على قد التعظيم تأتي المنفعة..."[1] ولهذا يعد المخطوط من "أهم ما توارثه أهل منطقة توات من إرث ثقافي وعلمي، فهو مرجع هام وأساسي في تحديد الظروف الحياتية لأهل منطقة توات ومدى اهتمامهم بالعلم والعلماء،"[2] فالمخطوط عند أهل توات ينظر إليه على أنه كنز، له قيمة تفوق كبيرة تظهر في طريقة تعاملهم معه وكيف يحرصون على الحفاظ عليه سواء من العوامل الطبيعية أو ما تعلق بالسرقة والإعارة.

وساهم هذا الانتشار الكبير للخزائن في توات في حرص العلماء على اقتناء المخطوطات والاهتمام بها ونسخ العديد منها خوفا منهم على ضياع النسخ الأصلية وحرصا على توفر الخزانة على جل المخطوطات التي يحتاجها الشيخ لتعليم الولدان مختلف العلوم والمعارف، وكذا حرصا منهم على توفر الخزانة على مختلف الكتب العلمية التي فيها المسائل الفقهية واللغوية والتاريخية وغيرها مما يحتاجه العالم والباحث لأجل الاستشهاد والاستدلال والمباحثة في مختلف الموضوعات وهذا ما "جعل العلماء ينمونها، ويبحثون دائما عن الجديد، فنجدهم في مناطق متعددة، وفي أسفار عديدة لا هم لهم منها سوى الكتاب واقتناؤه، وهذا ما جعل فن المكتبات والخزائن، يشهد حركة كبيرة."[3] في توات وجعل هذا الأمر منها أحد أهم المراكز التي تزخر بكم هائل من المخطوطات، فمع تطور الجانب الحضاري للمنطقة وتطور الحركية العلمية وتفاعل أهل توات مع غيرهم من الحضارات مما جعل النفوس تتكبُ "على الطروس، وراحت الأقلام تترجم الأحاسيس والمشاعر وتعبر في دهشة وإعجاب عن واقع هذا التفاعل، ومن ثم كان لنا هذا العمر الزاخر بالمؤلفين

1 رحلتي لزيارة قبر الوالد، ص:110.

2 المخطوطات في منطقة توات أهميتها وأبعادها التاريخية، ص:297.

3 النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص:54.

والمؤلفات، وفي شتى المعارف، والعلوم من فقه وتفسير ولغة وتاريخ وجغرافيا وطب وفلك وغير ذلك واستودع كل ذلك في دور وخزائن خاصة منتشرة في كل ربوع الإقليم"[1]

فالمخطوط وثيقة تاريخية وعلمية هامة يمكن الاعتماد عليها لكشف جوانب من الحياة الثقافية والاجتماعية والعلمية للمنطقة وهو مرآة عاكسة للمختلف جوانب الحياة في منطقة توات وذلك من خلال ما يحتويه من أخبار ومعلومات عن أهم الأحداث والوقائع، والبعد الجغرافي ويصور لنا أبرز العادات والتقاليد التي تميز المنطقة عن غيره، ويظهر المخطوط كذلك أهم الرحلات العلمية ورحلات الحجيج التي قام بها علماء وطلاب المنطقة ويبين المسالك والحواضر التي كان يمر بها الرحلات فيعطي بذلك معلومات دقيقة عن مختلف البلدان التي مرّ بها الرحلات.

ونجد المخطوطات التواتية تتطرق لموضوعات مختلفة، فهي تتباين بين الديني والاجتماعي واللغوي والتراجم والسير وغيرها .

2- المخطوطات اللغوية والأدبية في توات:

لقد اهتم علماء توات باللغة العربية اهتماما كبيرا وخصصوا لها الكثير من الجهد واعتنوا بها كاعتنائهم بالفقه والحديث والتفسير وغيرها من علوم القرآن، ولهذا نجد في خزائن توات الكثير من المخطوطات اللغوية والأدبية فنجد فيها مخطوطات النحو والصرف والبلاغة والعروض ودواوين الشعر وأدب الرحلات والقواميس اللغوية وغيرها مثل: "**القول الجميل على الآيات الجليلة، تمرين الطلاب على صناعة الإعراب، مبرز القواعد العربية من القصائد المجردية، شرح ألفية الزقاق، منظومة ابن مالك، ألفية ابن مالك، حروف العجم وتفسير لغتها، المقصور والممدود، شرح الكافية، شرح الآجرومية، الغازية، الذخيرة**

1 من تاريخ أبحاث في التراث، ص:171.

الكنزية، فتح القدوس في شرح خطة القاموس، المستطرف في كل فن مستطرف، القاموس المحيط"[1] وغيرها كثير بحيث لا يتسع المقام لذكرها وما هذا إلا قطرة من بحر المؤلفات والمخطوطات التي كان لها الفضل الكبير في الحفاظ على تواجد اللغة العربية في توات وساهمت بشكل كبير في نشرها وتبيان مسالك اكتسابها وطرق تعليمها.

أ- المخطوطات ذات الطابع الديني.

بحيث تصف هذه المخطوطات العديد من الجوانب الدينية وتظهر الطابع الديني الإسلامي الغالب على المنطقة وكان الكثير منها يكتب من أجل الرد على المسائل الفقهية وتسمى بمخطوطات الفتوى والنوازل كذلك، وتضم الخزائن في توات العديد منها أشهرها: "**مخطوط، أغنية المقتصد السائل فمن حل بتوات من النوازل، نوازل الزجلاوي، مختصر النوادر، النسرين الفائح النسيم عن فتاوى أبي زيد عبد الرحمان بن ابراهيم، مسألة بيع قضاة توات وقورارة لأصول الهاربين في المغارم، تحلية القرطاس بالكلام عن مسائل تضمين الخماس**"[2] وهنا يظهر لنا الارتباط الوثيق لسكان المنطقة بالدين الإسلامي وتعلقهم بتعاليمه وأحكامه لهذا نجد أن أغلب المخطوطات التي توجد على مستوى خزائن توات في الغالب تعالج الكثير من الموضوعات "في مقدمتها الموضوعات الدينية كالفقه والتوحيد والعبادات والحديث وعلوم القرآن"[3] فالإسلام دين سكان توات منذ دخوله إليهم وهذه المخطوطات خير دليل على ذلك.

---

1 ينظر، مخطوطات ولاية أدرار، بشار قويدر، حساني مختار، أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، مطبوعات وزارة الاتصال والثقافة، د ط، 1999، الجزائر، ص: 128 وما بعدها.

2 ينظر: مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، ص:180-181.

3 مخطوطات ولاية أدرار ، ص:10.

ب- المخطوطات ذات الطابع التاريخي.

ومما اهتم به علماء توات هو علم التاريخ "وتضم خزائن المنطقة اليوم العديد من هذه المخطوطات في هذا المجال. وكان التاريخ في توات يدرس في المدارس والزوايا، وخاصة ما ارتبط منه بالدين"[1]

يصف المخطوط في الكثير من الأحيان الجانب الجغرافي والطبيعي من خلال وصف الوديان وذكر المسالك والطرق وأسماء الجبال وعدد السكان والقصور، وهذا كثير ما نجده في المخطوطات التي تتسم بالطابع التاريخي ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر مخطوط " **نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، القول البسيط في أخبار تمنطيط، درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام،** وهو مخطوط أفرده صاحبه لتاريخ توات وعمارتها وقدوم العلماء إليها، **ملخص بخصوص توات،** يعرف بتاريخ المنطقة وقصورها وعدد السكان والعادات والتقاليد ومختلف الأنشطة الاقتصادية، وهناك مخطوط، **نسم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات،**"[2] وهذا النوع من المخطوطات يبرز جوانب هامة من منطقة توات فهي وثيقة تاريخية تبرز "مراحل النمو والتطور في المجتمع لقصوري (الواحي) خلال مراحل نشأته"[3] فتوات هي أرض لقصور بحيث ينتشر فيها هذا النوع من الطابع العمراني، ولا يكاد يخلو قصر من هذه القصور من خزانة أو أكثر.

1 مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، ص:10.

2 ينظر: المرجع نفسه، ص:182-183.

3 المخطوطات في منطقة توات أهميتها وأبعادها التاريخية، محمد بن منوفي، عبد الله رزوقي، مجلة الأثر، العدد 25، جوان 2016، ص:298.

ج- مخطوطات التراجم والسير:

وهي تتحدث عن سير وأعلام المنطقة والأنساب وتذكر الأشراف نذكر منها "**فهرست التنيلاني، الدرة الفاخرة في ذكر ما بتوات من العلماء والأشراف الإدريسيين والعلويين، جوهرة المعاني فيمن ثبت لدي من علماء الألف الثاني، الكواكب البرية في المناقب البكرية**"[1] وانتشر هذا النوع نظرا لكثرت الأشراف في المنطقة، كثرت العلماء الذين خلفوا من ورائهم كم هائل من المؤلفات وأسسوا الزوايا وبذلوا أعمارهم للعلم، فوجب الترجمة لهم.

وفي معرض حديثنا هذا على خزائن المخطوطات لا بد لنا من أن نأتي على ذكر أهمها وهذا الجدول يظهر أهم وأبرز الخزائن الموجودة في توات.

أهم خزائن المخطوطات التواتية.[2]

الرقم	اسم الخزانة	مكان التواجد	اسم المؤسس	تاريخ التأسيس
1	خزانة ع، عقباوي	قصر الزاوية	سيدي بونعامة	652هـ
2	خزانة أركشاش	قصر أركشاش	محمد التهامي	ق. 07هـ
3	خزانة الشيخ محمد بن مالك	قصر ساهل القديم	محمد بن مالك	ق. 08هـ
4	خزانة لمطارفة	قصر لمطارفة	الحاج محمد بن أحمد الراشيدي	ق. 09هـ

1 ينظر: مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، ص:184.

2 ينظر: من تاريخ توات أبحاث في التراث، ص:172 وما بعدها

5	خزانة سيدي الحاج بلقاسم	قصر زاوية سيدي الحاج بلقاسم	سيدي الحاج بلقاسم	ق. 10هـ
6	خزانة الشيخ المغيلي	قصر زاوية الشيخ	الشيخ المغيلي	ق. 10هـ
7	خزانة تبلكوزه	قصر تبلكوزه	سيدي الحاج أبو أمحمد	ق. 10هـ
8	خزانة زاوية الدباغ	قصر زاوية الدباغ	سيدي محمد الدباغ	ق. 10هـ
9	خزانة فاتيس	قصر فاتيس	سيدي محمد بن عبد الله	ق. 10هـ
10	خزانة بادريان	قصر بادريان	سيد الحاج الصوفي	ق. 11هـ
11	خزانة زاوية سيدي عومر	قصر زاوية سيدي عومر	الشيخ سيدي عومر بن أحمد	ق. 11هـ
12	قصر زاوية الرقاني	قصر زاوية الرقاني	مولاي عبد الله الرقاني	ق. 11هـ
13	قصر أنزقمير	قصر أنزقمير	؟	ق. 11هـ
14	خزانة زاوية سيدي حيدة	قصر زاوية سيدي حيدة	سيدي حيدة	ق. 11هـ
15	خزانة زاوية كنته	قصر زاوية كنتة	الكنتاويون	ق. 11هـ
16	خزانة زاوية تنيلان	قصر تينلان	سيدي أحمد بن يوسف	ق. 11هـ

17	خزانة زاقلو	قصر زاقلو	؟	ق. 13هـ
18	خزانة الشيخ سيدي أحمد ديدي	قصر تمنطيط	سيدي أحمد ديدي	ق. 14هـ
19	خزانة كوسام	قصر كوسام	محمد بلعالم	ق. 14هـ
20	خزانة تيلولين	قصر تيلولين	الحاج محمد بن سيدي جعفر	ق. 14هـ
21	خزانة سالي	قصر سالي	مولاي أحمد الطاهري	ق. 14هـ
22	خزانة باعبد الله	قصر باعبد الله	بن الوليد	ق. 14هـ
23	خزانة الحاج عبد القادر المغيلي	الحي الغربي أدرار	الحاج عبد القادر المغيلي	ق. 14هـ
24	خزانة الشيخ محمد باي بلعالم	قصر الركينة	محمد بلعالم	ق. 14هـ
25	خزانة أولاد إبراهيم	قصر أولاد إبراهيم	؟	ق. 14هـ
26	خزانة باحو	قصر باحو	؟	ق. 14هـ
27	خزانة سيدي محمد الصدوق	قصر تمنطيط	سيدي محمد الصدوق	ق. 14هـ
28	خزانة فاعون	قصر الحاج قلمان	محمد الطاهر	؟
29	خزانة الشيخ إبراهيم	قصر أولاد سعيد	؟	؟

30	خزانة أولاد سعيد	قصر أولاد سعيد	؟	؟
31	خزانة الشيخ بختي	قصر زاوية حينون	؟	؟
32	خزانة الشرفاء	قصر زاوية كنتة	الشرفاء	؟
33	خزانة بني مهلال	قصر بني مهلال	؟	؟
34	خزانة بن مهلال	قصر بني مهلال	؟	؟
35	خزانة وجلان	قصر وجلان	؟	؟
36	خزانة برينكان	قصر برينكان	؟	؟
37	خزانة ملوكة	قصر ملوكة	البلباليون	؟
38	خزانة كوسام	قصر كوسام	؟	؟
39	خزانة بني تامر	قصر بني تامر	؟	؟
40	خزانة زاوية سيدي البكري	قصر زاوية سيدي البكري	؟	؟
41	خزانة البلباليين	قصر ولاد ونقال	عائلة البلباليين	؟
42	خزانة آدغا	قصر آدغا	؟	؟
43	خزانة أ. علي بن موسى	قصر تمنطيط	؟	؟
44	خزانة سيدي سالم	قصر تمنطيط	؟	؟

45	خزانة أولاد سيدي وعلي	قصر تمنطيط	؟	؟
46	خزانة تمنطيط	قصر تمنطيط	؟	؟
47	خزانة عباني	قصر عباني	؟	؟
48	خزانة تيلولين	قصر تيلولين	محمد بن سيدي جعفر	؟
49	خزانة الشيخ بختي	قصر زاوية حينون	؟	؟
50	خزانة آدغا	قصر آدغا	؟	؟

جدول يظهر أهم الخزائن التواتية ومكان تواجدها وتاريخ التأسيس والمؤسس

من خلال الجدول أعلاه يتضح لنا الأهمية التي يكتسبها المخطوط في توات وهذا بالنظر للعدد الكبير من الخزائن التي تحوي ألاف المخطوطات والتي تعود أعمارها إلى ما قبل القرن السابع الهجري، كما نلاحظ من خلال الجدول كذلك أن أمر جمع المخطوطات والاعتناء بها لم يكن مقتصرا على منطقة فقط بل لا نكاد نجد منطقة من مناطق توات إلا وبها خزانة أو أكثر.

كما يتبين من الجدول أن حفظ المخطوطات وتخصيص خزائن لها لم تكن تختص به عائلة علمية دون أخرى فنجد معظم العوائل العلمية حاضرة في هذا المجال، على غرار الزوايا كذلك التي يوجد في الكثير منها خزائن للمخطوطات موجودة إلى يومنا هذا.

يعد هذا الأمر –انتشار خزائن المخطوطات– من بين العوامل الهامة التي ساهمت بشكل فعال في تطوير اللغة العربية والمساهمة في انتشارها في مختلف مناطق توات، فتواجد هذا الكم الهائل من المخطوطات يسهل على طالب العلم مهمة البحث في المصادر اللغوية عن المسائل وحلها وعرضها على العلماء والمشايخ وحفظ المتون واستظهارها، كما أن كتابة هذه المخطوطات ونسخها يعد من العوامل التي لها دون في الحث على تعلم اللغة العربية وإتقان العلوم المرتبطة بها، فكل هذه المخطوطات مكتوبة باللغة العربية، وفي هذا دليل على أنها اللغة العلمية السائدة في توات.

الخاتمة

ظهرت في منطقة توات بعد دخول الإسلام إليها العديد من الزوايا مما شكل ميلاد نهضة علمية شملت مختلف العلوم والمعارف، وكان لعلوم القرآن واللغة العربية حصة الأسد من هذه النهضة، وهذا بالنظر للعناية التي أولتها الزوايا للقرآن واللغة العربية، وتوج هذا الأمر بوثبة علمية فريدة من نوعها.

وهذه الوثبة العلمية التي شهدتها منطقة توات، كانت سببا في خلق شخصية علمية متفردة، لها الكثير من الخصائص والمميزات، وجعلت من المُعلم والمُتعلم في زوايا توات يمتلك مجموعة من المهارات التعليمية، ساعدته على إكساب واكتساب اللغة العربية الفصحى.

ونحن هنا في هذا البحث حاولنا تسليط الضوء على تلك المهارات التعليمية التعلمية، من خلال الإجابة على الإشكاليات التي طرحنا، وهذا بتتبع أهم المهارات التي ساهمت في تطور اللغة العربية في منطقة توات، وفي الأخير أثمرت هذه الدراسة مجموعة من النتائج نلخصها في النقاط الآتية:

- منطقة توات كانت ولا تزال بمختلف مناطقها الثلاث جزأ لا يتجزأ من دولة الجزائر، ولها من الثقل التاريخي ما يجعلها أحد أهم مناطق الصحراء الجزائرية، فقد ذكر توات العديد من المؤرخين في مؤلفاتهم.
- يتمتع المجتمع بخاصية التنوع من حيث التركيبة البشرية، فهو مزيج مختلط من العرب والبربر واليهود والنازحين من السودان، كما فيهم الأشراف والعبيد، وهذا بدوره خلق تنوعا ثقافيا ودينيا كان من الأسباب التي ساعدت على تطور الحركة العلمية في منطقة توات.

- تقوم زوايا توات بالعديد من الوظائف المختلفة كالتعليم والإطعام وزوايا خاصة بالتصوف والضيافة، وتعدد هذه الوظائف راجع للتنوع المجتمع التواتي، واختلاف مقاصد إنشاء الزوايا.
- تحتل اللغة العربية مكانة مرموقة داخل منطقة توات، وهذا بسب دخول بعض القبائل العربية إليها فكان عرب المعقل أول من دخل إليها ثم تلاهم الكنتيون في القرن السابع هـ، وبعدها قبيلة أولاد علي بن موسى القرشية والتي نزلت تمنطيط، لهذا انتشرت العربية في منطقة توات بسرعة.
- مما ساعد على تطور الدرس اللغوي في توات وانتشار اللغة العربية كذلك توافد العلماء إليها من مختلف مناطق الجزائر ومن خارجها على غرار الشيخ عبد الكريم المغيلي التلمساني، فساهم هذا الأمر في خلق حركية علمية كبيرة في المنطقة، كما ساهم توافد العلماء على منطقة توات في انتشار الزوايا التعليمية.
- قبل دخول الزاوية في منطقة توات يجب على المتعلم الدخول إلى الكتّاب لتعلم الحروف وحفظ القرآن الكريم، وفي الغالب يتوجه الطفل لأقرب كتّاب لبيته، ويتم الاعتماد على برنامج تعليمي خاص داخل الكتاتيب والزوايا في منطقة توات.
- يتميز علماء ومشايخ زوايا توات بالعديد من المميزات، فالكثير منهم يتمتع بالقدرة على الحفظ الجيد، ويتقن الكثير من المعارف اللغوية ومختلف العلوم، وفي الغالب نجد الشيخ في الزاوية هو الفقيه وهو المدرس لمختلف العلوم، وأغلبهم يجيد قرض الشعر، ويمتهن التأليف.
- نتج عما سبق ذكره تمكن وامتلاك المشايخ والمعلمين في زوايا توات لمجموعة مختلفة من المهارات التعليمية فنجدهم يعتمدون قبل الدرس على التحضير والتخطيط وأثناء الدرس على مهارة الشرح وبعده كمهارة ختامية على التقويم.

- تعدد هذه المهارات وتنوعها، كان من بين الأسباب الرئيسة التي وقفت وراء تمكن المعلم التواتي من تدريس مختلف علوم اللغة العربية، ولمختلف المستويات من مرحلة الكتّاب لما بعد المراحل النهائية.
- وكما كان الأمر مع المعلمين فكذلك للمتعلم في زوايا توات مهارات تعلمية ساعدته في تلقف الدرس اللغوي والتمكن منه، فالطالب في زوايا توات يعتمد على مهارة الحفظ، وأثناء الدرس على مهارات كالقراءة وحسن الاستفهام والجواب، بينما يعتمد في الختام على مهارتي التثبت والمراجعة.
- كان لانتشار الطرق الصوفية، وكثرة الرحلات داخل وخارج منطقة توات، وتواجد العديد من خزائن المخطوطات والمكتبات، الدور الكبير في انتشار تعلم وتعليم اللغة العربية داخل منطقة توات، فكل الدوافع الدينية والاجتماعية والفكرية وحتى الطبيعية ساهمت في جعل اللغة العربية لغة لتواصل وطلب العلم والمعرفة في منطقة توات.

ومما لا بد أن نوصي به في خاتمة هذا البحث هو:

- تثمين الجهود التي يبذلها مشايخ وعلماء توات في تعليم اللغة العربية، وهذا يكون باعتماد بعض المهارات والطرق التي يتم بها التدريس في زوايا توات والتي أثبتت الدراسات نجاحها.
- وجوب إعداد بحوث ودراسة مطولة حول المنهج التعليمي في الزوايا التواتية يتم من خلالها التطرق للجوانب الايجابية والسلبية لهذا المنهج، وهذا قصد تطويره وتنقيحه ليكون ملائم ومعطيات الدراسة العلمية الحديثة المتخصصة في هذا الميدان.

- العمل على جمع المخطوطات والمؤلفات التواتية المتخصصة في تعليم اللغة العربية وحفظها من التلف لأن أغلب هذه المخطوطات لا تزال في خزائن قديمة غير محمية من العوامل الطبيعية والبشرية التي كثيرا ما كانت وراء تلف وفقدان العديد منها، وهذا باعتبارها أعمال جزائرية تظهر من خلالها تفرد علماء الجزائر في خدمة اللغة العربية.

ولا يمكن لهذا البحث إلا أن يكون نقطة في بحر، فهو لم يشمل كل الجوانب المتعلقة بتعليم اللغة العربية في زوايا توات فالكثير من النقاط والجزئيات لم يتم التطرق إليها، فهذا البحث ما هو إلا حلقة ضمن مجموعة من الحلقات، التي تعمل على التفتيش عن مختلف الأساليب والطرق التي يتم بها الدرس اللغوي في زوايا توات، ونحن ندعو الباحثين المتخصصين في التربية والتعليم، سواء في ميدان اللغات أو علم الاجتماع، أو علم النفس وغيرها من العلوم التي تهتم بهذا الشأن، إلى البحث في زوايا توات عن مقومات منهج التعليم بها، وإخراجه إلى الوجود للاستفادة منه، وهذا لبعث روح الأمة من جديد والكف عن استرداد المقررات والبرامج والمناهج التعليمية التي أهلكت المتعلم العربي.

كما أن البحث في تاريخ وتراث منطقة توات هو في الحقيقة عرفانا منا لما قدمته زوايا توات خلال فترة الاستعمار فكانت من أهم القلاع التي ساهمت في حفظ الهوية العربية والإسلامية للمجتمع الصحراوي، وهي لا تزال إلى يوم الناس هذا تقدم هذه الخدمة للمجتمع الصحراوي والجزائري بصفة عامة، فهي تساهم كل عام في تخريج مجموعة من الأئمة والحفاظ لكتاب الله وتساعد المتمدرسين على تعلم القراءة والكتابة قبل دخول المدارس مما يعزز من قدراتهم.

وفي الأخير نسأل الله الكريم أن يجازي عنا نبينا خير ما جازى نبيا عن أمته، وأن يجازي آله وصحابته الذين بلغوا هذا الأمر إلى أقاصي الدنيا، وأن يجازي عنا كل من علمنا

حرفا خيرا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع.

القرآن الكريم.

1) المصادر والمراجع.

1 الابتهاج بنور السراج، أحمد بن المأمون البلغيثي العلوى الحسني، جمعه عبد الله بن الصديق، طنجة، المغرب

2 ابن سينا والنفس الإنسانية، محمد خير الدين عرقوسي، حسن ملا عثمان، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، لبنان، 1982.

3 اتجاهات حديثة في في تدريس اللغة العربية، سعد على زاير، سماء تركي داخل، دار المنهجية، ط1، 2015.

4 أدب الرحلة عند العرب، حسني محمود حسين، ط2، دار الأندلس، بيروت، لبنان، 1983.

5 إرشاد الحائر إلى معرفة قبيلة فلاّن في جنوب الجزائر، ط01، 1433هـ، الجزائر.

6 أساسيات التعليم والتعلم –توجهات حديثة وتطبيقاتها– حسن شحاته، دار العالم العربي، ط1، القاهرة، مصر، 2016.

7 أساليب تدريس العلوم في المرحلة الأساسية، زيد الهويدي، دار الكتاب الجامعي، ط2، العين، الإمارات العربية المتحدة، 2010.

8 أصل أقدم اللغات في أسماء أماكن الجزائر، بوساحة، دار هومة، ط01، الجزائر،2002.

9 أصول التدريس النظري والعملي، أحمد عيسى داود، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2014.

10 البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ابن مريم أبو عبد الله، تح محمد بن أبي شنب، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 1986.

11 تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1998.

12تاريخ السودان، عبد الرحمن السعدي، ت هوداس بنوة، باريس، فرنسا، 1898.
13تدريس فنون اللغة العربية، علي أحمد مدكور، دار الشواف، ط1، القاهرة، مصر،199،.
14التدريس نماذجه ومهاراته، كمال عبد الحميد زيتون، دار عالم الكتب، ط1،القاهرة، مصر، 2003.
15التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى اوائل القرن العشرين، عبد الله عبد الدائم، دار العلم للملاين، ط05، بيروت، لبنان، 1984.
16تعليم المتعلم طريق التعليم، برهان الاسلام الزرنوجي، ت: مروان قباني، المكتب الإسلامي، ط1، 1981م، بيروت،
17توات والأزواد، محمد حوتية، دار الكتاب العربي، 2007، الجزائر.
18جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني، علي حرازم، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1997.
19الحركة الأدبية في إقليم توات، أحمد أبّا الصّافي جعفري، منشورات الحضارة، ط1، الجزائر، 2009.
20الحصيلة اللغوية أهميتها- مصادرها- وسائل تنميتها، أحمد محمد المعتوق، دار علم المعرفة، ط1، الكويت، 1978.
21حلية طالب العلم. ، بكر بن عبد الله بوزيد، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، لبنان،2002م.
22حياة الكتّاب وأدبيات المحضرة صور من عناية المغاربة بالكتاتيب والمدارس القرآنية، عبد الهادي حميتو، دار أبي رقراق، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 2006، الرباط، المغرب
23درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، تحقيق: أبو أنس عبد القادر نعيوى، دار صبحي للطباعة والنشر، ط1، الجزائر، 2017.

24دروس في اللسانيات التطبيقية، صالح بلعيد، دار هوم، ط8، الجزائر، 2017/1016.

25ديوان الإمام الشافعي، أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، عين مليلة، الجزائر.

25الرحلات المغربية والأندلسية، عواطف محمد يوسف نواب، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996.

26الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والأثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من جهات، محمد باي بلعالم، دار المعرفة الدولية لنشر والتوزيع، ط01، الحراش، الجزائر، 2015.

27رحلتي لزيارة قبر الوالد الشيخ سيدي ضيف الله بن محمد بن أُبّ التّوّاتي الجزائري، ت: أحمد أبا الصافي جعفري، دار الكتاب العربي، د ط، لخرايسية، الجزائر، 2015،

28الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، عبد العزيز شهبي، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2007.

29سراج طلاب العلوم، العربي بن عبد الله بن أبي يحي المساري، ت: ياسين أزكاغ المكناسي، دار الحديث الكتانية، ط1، 2015.

30شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف، المطبعة السلفية ومكتباتها، د ط، القاهرة، مصر، 1349.

31الصحراء الكبرى وشواطئها، اسماعيل العربي، سلسلة الدراسات الكبرى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

32الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، صلاح مؤيد العقبي، دار البراق، بيروت، لبنان، 2002.

33علم النفس التربوي مفاهيم ومبادئ، عباس نوح سليمان محمد الموسوي، دار الرضوان، ط1، عمان، الأردن، 2015.
34عيون الأخبار، أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الكتب المصرية، ط2، القاهرة، مصر، 1996.
35فهرس مخطوطات ولاية أدرار، بشار قويدر، حساني مختار، أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، مطبوعات وزارة الاتصال والثقافة، الجزائر.
36القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار المعرفة، ط2، بيروت، لبنان، 2007.
37قطف الزهرات من أخبار علماء توات. محمد عبد العزيز سيدي عمر، دار هومه، الجزائر، 2002م.
38القول الميمون في تاريخ جورارة وتيميمون، محمد بن بادي الكنتي، ت: مولاي التهامي غيتاوي، مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والتوزيع، الجزائر، 2013.
39كتاب آداب المعلمين، محمد بن سحنون، ت:حسن حسني هبد الوهاب، الشركة التونسية لفنون الرسم، 1972.
40كتاب الجزائر، أحمد توفيق المدني، المطبعة العربية، ط1، الجزائر، 1350هـ.
41كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت: مهدي المخزومي، ابراهيم السامرائي دار إحياء التراث العربي، ط2، بيروت لبنان، 2005.
42الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما، عبد اللطيف عبد الله بن دهيش، ط1، النهضة الحديثة، مكة، 1976.
43الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900 الى 1977، الطالب عبد الرحمن بن أحمد التيجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.
44كفاية المحتاج لمعرفة من ليس من الديباج، أحمد بابا التنبكتي، مطبعة فضالة، د ط، المحمدية، المملكة المغربية، 2000.

45لسان العرب، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، دار صادر، ط3، بيروت، لبنان، 1414هـ.

46لفت الأنظار إلى ما وقع من النهب والتخريب والدمار بولاية أدرار إبان احتلال الاستعمار، مولاي التهامي غيتاوي، دار الكتب العالمية، بيروت، لبنان.

47اللمع، أبي نصر السراج الطوسي، ت: عبد الحليم محمود، عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة، ط01، مصر، 1960.

48مخطوطات ولاية أدرار، بشار قويدر، حساني مختار، أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، د ط، الجزائر، 1999.

49المرجع في التعليمية الزاد النفيس والسند الأنيس في علم التدريس، عبد القادر لورسي. جسور للنشر والتوزيع، ط1، المحمدية الجزائر، 2016.

50المرجع في صعوبة التعلم "النمائية والاكاديمية والاجتماعية والانفعالية"، سليمان عبد الواحد يوسف إبراهيم، مكتبة الانجلو المصرية، ط1، القاهرة، مصر، 2010.

51 المسلمون بين التحدي والمواجهة حول التربية والتعليم، عبد الكريم بكّار، دار القلم، ط3، دمشق، 2011.

52 المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي، المطبعة الأميرية، ط4، القاهرة، مصر، 1921.

53المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ابراهيم مصطفى/ أحمد حسن الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد علي النجار، مكتبة الشروق الدولية.

54المفيد المستفيد، الشيخ بن سيدي محمد بن بادي الكنتي، ت: مولاي التهامي غيتاوي، مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والتوزيع، الجزائر، 2013.

55مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، مبارك جعفري، دار الكتاب العربي، ط01، لخرايسية، الجزائر، 2016.

56مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2001.

57ملفات سيكوتربوية تعليمية، بن يزيح نذير، دار هوم، ط1، الجزائر، 2010.

58من أعلام التراث الكنتي المخطوط الشيخ محمد بن بادي الكنتي حياته وآثاره، الصديق أحمد ال المغيلي، دار الغرب للنشر والتوزيع، د ط، وهران، الجزائر، 2007.
59من تاريخ توات أبحاث في التراث، أحمد أباّ الصّافي جعفري، منشوارت الحضارة، ط1، الجزائر، 2011،
60من ذخائر التراث المغاربي، ت: مصطفى ضيف، محفوظ بوكراع.
61مهارات التدريس الصفي الفعال والسيطرة على المنهج الدراسي، محمد عيسى أبو سمور، دار دجلة، ط1، عمان، الأردن، 2015.
62مهارات التدريس الفعال، جمال بن إبراهيم القرش، دار النجاح للكتاب للنسر والتوزيع، ط1، 2016م، برج الكفان، الجزائر.
63مهارات التعليم الأساسية، chris kyriacou، ت: شرين نوفل، دار الكتاب الجامعي، ط1، العين، الامارات، 2004.
64المهارات الحركية لطفل الروضة، ابتهاج محمود طلبة، دار المسيرة، ط1، عمان، الأردن، 2009.
65النبذة في تاريخ توات وأعلامها، عبد الحميد بكري، دار الطباعة العصرية، ط01، برج الكيفان، الجزائر، 2010.
66نزهة الحلوم في نظم مقدمة ابن آجروم، محمد بن أبّ بن حميد بن عثمان المزمري التواتي، ك، ت: خبيب بن عبد القادر الواضحي.
67نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، ت: مصطفى ضيف محفوظ بوكراع.
68نظريات التعلم والتطور الحركي، وجيه محجوب، دار وائل للنشر،ط1، عمان، الأردن، 2001.
69الواقع التعليمي للغة العربية، –المعوقات والحلول– محمد سيف الاسلام بوفلاقة، المكتب العربي للمعارف، ط1، القاهرة، مصر، 2017.

2) الرسائل الجامعية:

1 الجهود اللغوية لمحمد باي بلعالم (ت.2009م) في ضوء الدراسات اللسانية الحديثة، فاطمة جربة، شهادة دكتوراه، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2015/2014.

2 جهود النحوية علماء منطقة توات من القرن 11ه إلى القرن 15ه دراسة في الأعلام والمناهج وبوادر الاجتهاد، عبد الله عمّاري، رسالة دكتوراه، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2015/2014.

3 الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرون 08-10 هجرية، بودواية مبخوت، رسالة ماجستير، قسم التاريخ وعلم الأثار، جامعة تلمسان، 2012/2011 الجزائر.

4 الحياة الفقهية في توات خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، عبد السلام الأسمر بلعالم، رسالة دكتوراه، تخصص فقه وأصوله، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2016/2015.

3) المجلاّت والدّوريات:

1 جهود علماء توات في الدرس اللغوي خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين (دراسة في الأنماط والأشكال)، بقادر عبد القادر، مجلة الأثر، العدد 19، جانفي 2014.

2 الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر التحول من الديني إلى الدنيوي ومن القدسي إلى السياسي –دراسة نتثروبولوجية، العماري الطيب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد15/ جوان 2014.

3 علماء توات وإسهاماتهم في حفظ التراث النحوي محمد باي بعالم أنموذجا، عبد القادر بقادر، مجلة الذاكرة، مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، العدد 07، ماي 2016.

4 المخطوطات في منطقة توات أهميتها وأبعادها التاريخية، محمد بن منوفي، عبد الله رزوقي، مجلة الأثر، العدد 25، جوان 2016.

4) الملتقيات.

1 المنهج التعليمي للمدارس والزوايا الدينية بحاضرة توات، عبد الخالق قصباوي. الملتقى الدولي الوسطية في الغرب الإسلامي وأثره في نشر الإسلام في إفريقيا وأروبا، جامعة الوادي، ديسمبر 2017.

فهرس الموضوعات.

فهرس الموضوعات.

الشكر والتقدير

الإهداء

مقدمة:.....أ

مدخل: مصطلحات ومفاهيم البحث.

1) تعريف المهارة.....04

1-تعريف المهارة لغة.....04

2-تعريف المهارة اصطلاحا.....04

2) تعريف التعليم والتعلم.....06

1-تعريف التعليم والتعلّم لغة.....06

2-تعريف التعليم اصطلاحا.....06

3-تعريف التعلّم اصطلاحا.....08

3) الفرق بين التعليم والتعلم.....10

4) تعريف الزاوية.....11

1-تعريف الزاوية لغة.....11

2-تعريف الزاوية اصطلاحا.....12

5) التعريف بمنطقة توات.....16

6) نشأة الزوايا في منطقة توات وأهم وظائفها.....19

1-تاريخ ظهور الزوايا بالمغرب العربي والجزائر وتوات.....19

2-وظائف الزوايا في توات.....20

الفصل الأول: مكانة اللغة العربية في توات.

1) مكانة اللغة العربية في توات.....24

1-دور الإسلام في تعزيز مكانة اللغة العربية في توات.....24
2-توافد العلماء على منطقة توات.....28
3-الزوايا التعليمية في توات.....36
2) تعليم اللغة العربية في زوايا توات.....41
1- مرحلة الكُتّاب أو المحضرة.....42
2- مرحلة دخول الزاوية.....48
3- المنهج التعليمي في زوايا توات.....51
3) مميزات المعلم التواتي.....58

الفصل الثاني: مهارات التعليم في الزوايا التواتية.

1) مهارات التعليم في زوايا توات.....66
2) مهارة التحضير والتخطيط.....71
1-تعريف التحضير والتخطيط.....71
2-أهمية التحضير والتخطيط.....73
3-التحضير والتخطيط في زوايا توات.....75
3) مهارة الشرح.....85
1-شروط الشرح الجيد.....87
2-مهارة الشرح داخل زوايا توات.....89
4) مهارة التقويم النهائي.....96
1-أنواع التقويم.....97
2-أهمية التقويم.....98
5) التقويم في زوايا توات.....100
1-مظاهر التقويم في زوايا توات.....101
2-تقويم الحفظ.....102
3-الإجازات.....103

4-التوجيه والإرشاد.....105

الفصل الثالث: مهارات التعلّم في الزوايا التواتية.

1) مهارات التعلّم في زوايا توات.....109
2) مهارة الحفظ.....114
1-أهمية الحفظ في زوايا توات.....115
2-نقد مهارات الحفظ.....120
3) مهارة القراءة في زوايا توات.....123
1-أهمية مهارة القراءة.....123
2-أنواع القراءة في زوايا توات.....124
3-طرق تحسين مهارة القراءة في زوايا توات.....127
4) مهارة الانتباه.....128
5) مهارة السؤال والجواب.....130
1- مهارة السؤال.....130
2- مهارة الجواب.....133
6) مهارة التثبت والمراجعة.....136
طرق التمكن من مهارة التثبت والمراجعة.....137
7) الوسائل التعليمية في زوايا توات.....139
1-شروط الاستفادة من الوسائل التعليمية.....141
2-مهارات استخدام الوسائل التعليمية في زوايا توات.....142
أ- اللوح.....143
ب- القلم والدواة.....149
ج- الشروح.....152

الفصل الرابع: العوامل المؤثرة في ازدهار عملية تعليم وتعلّم اللغة العربية في منطقة توات.

1) الطرق الصوفية.....157
1-الطريقة القادرية.....159
2-الطريقة التيجانية.....161
3-الطريق المساوية.....162
2) الرحلات العلمية.....164
1-الرحلة عند العرب.....164
2-الرحلات التواتية.....169
3) خزائن المخطوطات.....181
1- أهمية المخطوطات في منطقة توات.....181
2- المخطوطات اللغوية والأدبية في توات.....184
أ- المخطوطات ذات الطابع الديني.....185
ب- المخطوطات ذات الطابع التاريخي.....186
ج- مخطوطات التراجم والسير.....187
الخاتمة.....194
قائمة المصادر والمراجع.....199
فهرس الموضوعات.....208

- الملخص:

يعد ميدان تعليم اللغات وتعلمها من أهم الميادين التي تعرف تطورا كبيرا في العصر الحالي والذي يشهد جملة من الدراسات والبحوث المنبثقة من رحم النظريات المعرفية واللسانية، وتاريخ هذه الدراسات مبنيّ على دراسة الأساليب والطرق القديمة التي اعتمدها السابقون في تعليم اللغات، ومنه سنحاول التعمق في تاريخ تعليم وتعلم اللغة العربية في الزوايا التواتية ونتتبع أهم المهارات المتبعة لتعليم وتعلم اللغة العربية ونتطرق لأهم الوسائل والآليات المستخدمة في الزاوية محاولين تسليط الضوء على أهم الجوانب الإيجابية ونقد الجوانب السلبية لهذه المهارات، وعقد مقارنة بينها وبين الأساليب الحديثة في تعليم وتعلم اللغات وتقيم النتائج المتحصل عليها في ظل معطيات الدراسات اللسانية والمعرفية الحديثة، وهذا من أجل الاستفادة من العناصر الايجابية في تطوير مناهج ومقررات تعليم وتعلم اللغة العربية لناطقين بها.

- الكلمات المفتاحية : المهارة، التعليم، التعلم، تعليمية اللغات، الزاوية، توات.

Abstract:

The field of language education and learning is one of the most important fields experiencing great development in the present era, as it bears witness to a number of studies and research emerging from the uterus of cognitive and linguistic theories, and the history of these studies. depends on the study of ancient methods and methods adopted by the first in language teaching, and from there we will try to delve into the history of teaching and learning the Arabic language in the Tawati corner, and we will follow the most important skills used in teaching and learning the Arabic language We discuss the most important means and mechanisms used in the corner, trying to shed light on the most positive aspects. important aspects and criticize the negative aspects of these skills, and make a comparison between them and modern methods of teaching and learning languages and assess the results obtained in the light of data from modern linguistic and cognitive studies, in order to benefit from the positive elements of the development of programs and decisions for the teaching and learning of the Arabic language for native speakers.

Keywords: competence, education, learning, language learning, angle, touat.

Résumé:

Le domaine de l'éducation et de l'apprentissage des langues est l'un des domaines les plus importants qui connaît un grand développement à l'ère actuelle, car il témoigne d'un certain nombre d'études et de recherches émergeant de l'utérus des théories cognitives et linguistiques, et de l'histoire de ces études. dépend de l'étude des méthodes anciennes et des méthodes adoptées par le premier dans l'enseignement des langues, et à partir de là, nous essaierons de plonger dans l'histoire de l'enseignement et de l'apprentissage de la langue arabe dans le coin Tawati, et nous suivrons les compétences les plus importantes utilisées dans l'enseignement et l'apprentissage de la langue arabe Nous discutons des moyens et mécanismes les plus importants utilisés dans le coin, essayant de faire la lumière sur les aspects positifs les plus importants et critiquons les aspects négatifs de ces compétences, et faisons une comparaison entre eux et les méthodes modernes d'enseignement et d'apprentissage des langues et évaluons les résultats obtenus à la lumière des données des études linguistiques et cognitives modernes, et ceci afin de bénéficier des éléments positifs du développement des programmes et des décisions pour l'enseignement et l'apprentissage de la langue arabe pour les locuteurs natifs.

Mots-clés: compétence, éducation, apprentissage, apprentissage des langues, angle, touat